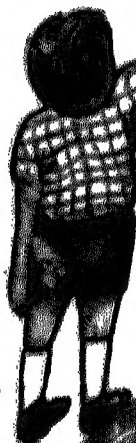
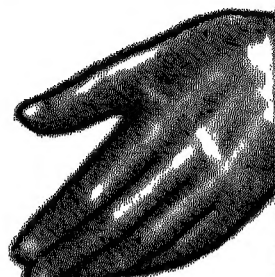


# سايكولوجية التنشئة الاجتماعية

الدكتور  
عبد الرحمن العيسوي  
أستاذ علم النفس  
بجامعة الكويت والإمام محمد بن سعود الإسلامية



اهداءات ٢٠٠٢

د/ ابراهيم طصطفى ابراهيم

كلية الاداب -منهور

# سَیْکُولُوجِیَةُ التَّنَشِئَةِ الْإِجْتِمَاعِیَةِ

الدكتور  
عبد الرحمن العيسوي  
أستاذ علم النفس  
بجامعة الإسكندرية والإمام محمد بن سعد بن الإمام

١٩٨٥ - ١٩٨٤

دار الفكر الجامعي  
ر. ٢٠ شارع سنبل - الإسكندرية



« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »  
صدق الله العظيم



« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها »  
صدق الله العظيم



إهداء

~~~~~

إلى روح أبي الطاهرة





# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

يسرني أن أقدم للقارئ العربي الكريم كتابي « سيكلوجية التنشئة الاجتماعية »  
واقدم راعيت فيه سهولة الأسلوب ويسر العبارة ليسكون في متناول الجميع  
وليفيد منه القارئ العادي إلى جانب القارئ المتخصص ، ونظراً لأهمية عملية النمو  
فلقد راعيت إبراز الجوانب التطبيقية في هذا الكتاب راجياً أن يفيد منه الآباء  
والأمهات والمعلمين والمعلمات والأطفال والمراهقين أنفسهم .

ولا شك أنه على أساس من عملية النمو يتوقف تمتع الفرد بالصحة النفسية  
والعقلية وبالتكيف النفسي والصحة الجسمية . فإذا سارت في مسارها الصحيح  
شب الطفل متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه ومنتعماً بالقوة والصحة ،  
ومن ثم يضحى قادراً على الإنتاج وعلى الخلق والإبداع وعلى التفكير العائب .  
وبنحن في الأمة العربية في هذه الحقبة التاريخية في أمس الحاجة إلى إعادة بناء  
الإنسان العربي وتكوين الأجيال الصاعدة على أساس من العلم والإيمان وعلى هدى  
من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ، ولا بد أن يتحلى المواطن المسلم المعاصر  
بقيم الحق والخير والعفة والفضيلة والشجاعة والإفدام والأمانة والصدق .  
ولا بد أن يتربى على الشعور بالواجب وتحمل المسؤولية وأن يؤمن بالإيثار  
وتقدير الصالح الوطني والإلتفاف حول القادة والمصلحين والإلتزام بالقانون  
الخلق والوضعى والطاعة وإسترام حقوق الغير وما إلى ذلك من القيم الإسلامية  
الرفيعة بغية أن يحرر الفرد العربي من رواسب الانامية والطمع والجشع وما  
أصابه من السوا كل والكسل والتراخي والسلبية والرغبة في تحقيق الأهداف

دون الإستعداد لبذل الجهد والعطاء ودون الكفاح والنضال والجسد والإجتهاد  
والمثابرة، ولا بد من تحريره من العادات السلبية وحمايته من التسيب والإهمال.  
وعلى قدر ما يتمتع به المواطن من الصحة والسواء ومن الإيمان ومن الخلق القويم  
وعلى قدر ما يتحلى به من سمات الفقه والفضيلة والأمانة والشرف والطهر والطهارة  
والصدق والوفاء وحسب العمل والنضال على قدر هذا ترتقي أمتنا الناهضة وتنهض  
مكائنها المرموقة بين أمم العصر .

والله ولي السداد والتوفيق ؟

## الفصل الأول

أيها أكثر تأثيراً في شخصية الفرد  
البيئة أم الوراثة ؟



## الفصل الأول

### أيها أكثر تأثيراً في شخصية الفرد

#### البيئة أم الوراثة ؟

منذ زمن بعيد وهذه المشكلة تثير الجدل بين العلماء ، ومن الدراسات الحديثة في هذا المضمار دراسة توماس وزملائه ( ١٩٧٠ ) الذين وجدوا أدلة تجريبية تؤيد فكرة الوراثة في السمات المزاجية للطفل ، وأن الأطفال يختلفون ، عند الميلاد ، في أحوالهم المزاجية . فقد استطاع هؤلاء العلماء أن يميزوا ما وصفوه بأنه الطفل « السهل » والطفل « الصعب » ثم الطامل البلب . ولقد أيدت الملاحظة الدراسات التي أجريت على التوائم twins وكذلك أطفال التاني adoption . قد أسفرت عن تأثير الوراثة في القدرات ، وفي سمات الشخصية ، وفي الميول المهنية vocational interests (١) . والحقيقة إنه في الإمكان ملاحظة أن بعض الأطفال حديثي الولادة تغلب عليهم كثرة الحركة والحيوية ، والبعض الآخر السكون والهدوء . بل إن كثيراً من السمات العصبية كص الأصابع والإلتواء في الجسم والصياخ ترجع إلى عوامل وراثية . وكثير من أنماط السلوك تلاحظ في الأطفال الرضع كما تلاحظ في أمهاتهم ، قبل أن يتمكن هؤلاء الأطفال من التعلم أو الإكتساب . أما أصحاب نظرية البيئة environment فيوردون أدلة مؤيدة أن التعلم هو المصدر الرئيس في نمو الشخصية في الطفولة . وعلى سبيل المثال فإن الأطفال الذين تربوا على نظام التغذية الذي يسمح للطفل بتناول الغذاء كلما طلبه ،

---

(1) Cited in, Samuel, w personality, Mc Graw Hill Book Co., New Delhi, 1981.

تنموا عندهم سمات يغلب عليها النشاط والخيرية . أما نظام التغذية المقيد بمجدول محدد تحديداً قاطعاً فإنه يؤدي إلى تكوين سمات البلادة . كذلك فإن إنزال العقاب بالطفل في أثناء التدريب على قضاء الحاجة *toilet training* قد يؤدي إلى نشأة صراع الإقبال والإحجام في علاقة الطفل بالديه *approach - avoidance* . ومؤدى هذا الصراع *conflict* أن يختار الطفل داخلياً بين الإقبال على والده مثلاً أو البعد عنه وتحاشيه . ومثل هذه الصراعات تؤدي فيما بعد إلى تعرض الطفل لبعض الحالات المرضية . وهناك دراسات كثيرة قد أسفرت عن إمكان تعليم الطفل تعليماً شرطياً الإبتسامة والإمتصاص وغير ذلك من أنماط السلوك . فلو فقد أمكن تعليم الطفل الخوف من لعبته التي كان يسعد بها ، وذلك بعد إقتران رؤية هذه اللعبة بسماع الطفل لأصوات فجائية عالية . كذلك فقد تعلم بعض الأطفال الرضع إستجابة فتح الفم على أثر تغطية الطفل بقطعة من القماش ، بعد أن يرتبط هذا العطاء بوضع قطعة من الحلاوى في فم الطفل . ولقد دل البحث والتجريب على وجود عناصر بيئية وأخرى وراثية في المهارات الحركية والإدراكية كالمشي والإبتسامة وكذلك الإنفعالات وإدراكها والتعبير عنها . ويتعلم الطفل اللغة عن طريق التعزيز المباشر والتعزيز الشلاوى أى إعطاء الطفل المكافأة المادية أو المعنوية كلها بنجح في تقليد الآباء في نطق العبارات أو إدراك معاني الكلمات التي يسمعونها منهم . ولكن فشل التجارب التي استهدفت تعليم القدرة اللغة ، يعطى تأييداً لأصحاب النظرية الوراثية في القدرة اللغوية .

ومن المعروف أن التفكير يبدأ على المستوى الحسى والحركى ثم ينتقل إلى المستوى التجريدى الرمزي . وفي هذا الصدد هناك دراسات حديثة أجريت على الدماغ *Brain* أن القدرة اللغوية والمنطقية والعمليات التحليلية الأخرى تتركز في النصف الكروى الأيسر من الدماغ . بينما يختص النصف الأيمن بالقدرات

المكانية التي تتضمن التعرف على الوجوه والتعبير عن الإنعجابات . وأنماط التفكير الحدسي أى الطفرى أو الإلهامى (١) .

وعلى كل حال فإن الذى يهم عالم النفس هو كيف ينمو الفرد ، ثم ما هى العوامل المسئولة عن هذا النمو . ومما قيل من أمر العوامل البيئية المكتسبة ، فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أثر العوامل والامس البيولوجية فى نمو الكائن البشرى . ولاشك أن العوامل التكوينية genetic factors تلعب دوراً هاماً فى ظهور السمات الفيزيائية والعقلية والسلوكية كالدكاء intelligence والنزعة الإجتماعية Sociability والإستجابات الإنفعالية وفى بعض الأمراض النفسية . ولكن العوامل البيولوجية تتأثر بالعوامل البيئية وما يكتسبه الفرد من الخبرات (٢) .

والواقع أن الحنين فى بطن أمه يتأثر بكثير من العوامل والظروف حتى قبل أن يولد . وقد تؤدى بعض العوامل غير الموائمة إلى سوء تكوين الجنين malformation . من هذه العوامل مرض الأم واضطراباتها ، وتناول الأدوية والعقاقير Drugs وما تناوله من غذاء وما قد تتعرض له الأم من الإشعاعات ، الاختلاف فى تكوين الدم Bloodin compatiities والحالة الإنفعالية ، والسنة . ولقد وجد أن حالات التسمم الناتجة من قلة الاوكسجين فى الدم ، وكذلك ضعف الوزن عند الميلاد ترتبط بالعديد من حالات العنصف الفيزيقي والعصبى والمعرفى أو العقلى والنفسى أو الإنفعالى لدى الأم . وبالسبب لمظاهر الشذوذ والمرضى وجد أن هاك انفعالا بين مجموعة العوامل البيئية ومجموعة العوامل

(1) Ibib.

(2) Hetherington, E.M., child Psychology Mc Graw - Hill Book cop. 1979.

«الوراثية . فاتجاه الآباء وسلوكهم والمستوى الإجتماعى والإقتصادى كل هذا يؤثر فى حالة الاطفال الذين تعرضوا لإصابات ولادية .

وجدير بالذكر أن الطفل الوليد يولد مزوداً بمجموعة من الإنعكاسات الحسية المنظمة تنظيمياً دقيقاً ومن القدرات الحسية . وبطبيعة الحال هناك فروقاً فردية واسعة فى هذه القدرات . ولقد وجد أن الطفل الوليد يستطيع أن يميز بين أصوات ذات كثافات مختلفة ، ولها ديمومة مختلفة ، ويستجيب بصفة خاصة للأصوات الإنسانية . وبالنسبة للقدرات البصرية تبين أن الوليد يستطيع أن يدرك التغيرات التى تطرأ فى درجة الإضاءة أو فى الحركة ويستطيع كذلك تتبع حركة جسم ما يتحرك أمامه . ولقد وجد أن الرضيع يفضل رؤية الأشياء التى تشبه الوجه . وبلوغ الطفل من الخمسة شهور يستطيع أن يدرك الأشياء على شكل Patterns أكثر من إدراك أجزاء من الشكل فقط . وبالمثل يستطيع الرضيع إدراك العمق والحجم . وبالنسبة لتمر حركات الطفل من الحبو حتى المشى ، فخلقد وجد أن التغيرات الكبيرة فى بيئة الطفل قد تعرق قدرته على المشى .

ولقد تمت دراسة نمو الطول والوزن منذ الطفولة المبكرة وما بعدها وأظهرت الفروق بين الجنسين أن البنات أسرع فى نموهن ووصولهن للنضج عن الذكور . كذلك كشفت المقارنة بين الأجيال أن هذا الجيل أكثر طولاً وأثقل وزناً عن الأجيال السابقة . وتصدق هذه الملاحظة على جميع الطبقات الإجتماعية ما عدا أبناء الطبقة الإجتماعية العليا . وتعد مشكلة السمنة obesity فى الأطفال من المشا كل الرئيسية فى النمو التى يتعين وضع البرامج للوقاية منها .

هل تؤثر التجربات المبكرة على حياة الفرد اللاحقة ؟

للإجابة على هذا التساؤل اتبع العلماء منهجين أحدهما يقوم على أساس



الحرمان deprivation عن طريق تعديل البيئة الطبيعية لحسومات التجربة فيما يتعلق بانخفاض المثيرات الحسية والإدراكية والاجتماعية . والمنهج الآخر يقوم على أساس زيادة هذه البيئة غنى و ثراء enrichment ولقد كشفت تجارب المنهج الأول عن زيادة فى حجم ووزن وفى درجة تعقيد الحساء المخ نتيجة للتربية فى بيئة غنية ولقد زاد تبعاً لذلك قدرة فئران التجربة على التعلم . ولقد تبين أن الأثر الذى يتركه الحرمان أو خبرة الحرمان يتوقف على مدى طول خبرة الحرمان وعلى مدى تعقيدها واكتمالها والوقت الذى يحصل فيه الحرمان . فعزلة الحيوان والقرد ، الكلية وحرمانه من المثيرات الحسية والإدراكية وقطع وسائل الاتصال بالقردة الأخرى أكثر تأثيراً من الحرمان الجزئى ، بحيث كان القرد يتمكن من الرؤية والسمع ولكنه لا يستطيع فيزيقياً أن يتفاعل مع غيره من القردة . ولقد كانت الإعاقة فى النشاط الاجتماعى تتناسب مع طول فترة الحرمان .

وكان الحرمان الذى يلى الميلاد مباشرة أكثر تدميراً ، كذلك فإن الحرمان الذى امتد لمدة عام كامل أدى إلى الضياع الاجتماعى الكلى . ويختلف تأثير الحرمان من نوع إلى آخر من أنواع الكائنات الحية ، كما أن الذكور تتأثر أكثر من الإناث من الحرمان المباشر للميلاد .

وبالنسبة للإنسان كشفت الدراسات التى أجريت على أطفال المؤسسات institutionalization الذين تعرضوا لحرمان من المثيرات الحسية والإدراكية ، والذين لم تتوافر لهم إلا فرص قليلة من التفاعل الاجتماعى social interaction كشفت تأثير على نمو الطفل الاجتماعى والعقلى والحركى . والحقيقة أن من الأهمية بمكان وجود الطفل فى بيئة تتجاوب معه اجتماعياً . وتحدث هذه التأثيرات من نمو إتجاهات سلبية لدى الطفل كشعوره بأنه لا حول له ولا قوة وفيما يتعلق

بأهمية الإنفعالات emotions في حياة الأطفال ، فإنها تساعد، نقبل الحاجات needs . والمشاعر والأمزجة ، وخلال التعبير الإنفعالي يستطيع الأطفال أن ينظموا البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها التي تتضمن أنشطة مثل تقديم التحيات للآخرين والمحافظة على الاتصالات الاجتماعية ، أو يبدو الفرد كشخص هجومي . وعلى سبيل المثال لاستجابة الإبتسامة تمر بمراحل من المثيرات الداخلية إلى الإستجابة على المثيرات الخارجية وذلك عندما يصل الطفل سن ثلاثة شهور . وعندما يصل الطفل إلى حوالي سن الخمسة شهور ، فإنه يستطيع أن يمارس الضحك . وإذا كان الضحك يعتمد على أسس بيولوجية ، إلا أن التعلم المبكر يحدد معدلات الضحك . وبالنسبة لتعلق الطفل ببعض الأشخاص الذين يقومون بالإعتناء به . حيث يستطيع في عامه الأول ، التمييز بين الأشخاص المألوفين لديه وغير المألوفين . في حوالي سن الشهور الست يبدأ إرتباط الطفل بشخص معين . ويلزم لشعور الطفل بالإرتباط أن يكون من يعنى به حساساً ومستعداً للإستجابة للطفل . ويمكن أن يرتبط الطفل بأكثر من شخص ، ومعظم الإرتباطات تتكون تجاه الأم والأب والأخوة والأخوات ورفقاء السن Peers . ويقوم الأب بدور رفيق اللعب للطفل في المراحل الأولى من حياته . play partner . ويؤثر نمط الإرتباط هذا على عادات الطفل فيما بعد .

ولقد وجد أن مخاوف الطفل يثيرها في أول الأمر أمور داخلية ، وبعد ذلك تثار مشاعر الخوف بواسطة مثيرات خارجية . ويتوقف أسلوب الطفل في التعبير عن الخوف على طبيعة الموقف وعلى موضوع الخوف وعلى رد الفعل الصادر من المحيطين بالطفل . وهناك فرض مؤداه أن المواقف الغامضة التي يميزها الطفل عن تفسيرها تثير فيه الخوف . وتختلف طبيعة مخاوف الأطفال بتقدمهم في السن حيث تقل المخاوف المتصلة بالكائنات الخيالية

imaginary creatures والمخاوف الشخصية Personality safety بينما :  
تزداد المخاوف من المدرسة ومن القلق الاجتماعى Social anxiety . وليكن  
من الإيمية التطبيقية بكان أن تعرف على الأساليب التى تساعد على علاج مخاوف  
الأطفال .

### أساليب علاج مخاوف الأطفال :

يدلنا التراث التجريبي فى هذا المضمار على إمكان علاج مخاوف الأطفال عن  
طريق الإشتراط المضاد counterconditioning أى التعلم الشرطى المضاد ،  
وفى هذا النمط من التشريط أو التعلم الشرطى يتم إرتباط المثير الخفيف  
fear stimulus بنشاط سعيد ومحجب كتناول الطعام أو الحلوى ، حيث يودى  
هذا الإرتباط إلى تقليل مخاوف الطفل تدريجياً نتيجة لارتباطه بحالة من السعادة  
والرضا والإسترخاء . كذلك يمكن علاج هذه المخاوف عن طريق منهج تقايل  
الحساسية Desensitization ومؤدى هذا المنهج تعاليم الطفل مثلاً الإسترخاء  
التام لكافة أعضاء جسمه وأطرافه وتفكيره ، وفى هذه الأثناء تعرض على الطفل  
المثيرات التى تسبب شعوره بالخوف بدرجات متفاوتة من الشدة ، بحيث يبدأ  
العلاج بأبسط المثيرات إثارة للخوف ، ثم تتدرج حتى نصل إلى أكثرها إثارة  
للخوف . وطالما كان الطفل فى حالة تامة من الإسترخاء Relaxation فإن شعوره  
بالخوف يتلاشى تدريجياً .

والمنهج الثالث فى علاج مخاوف الأطفال هو إستخدام نموذج غير خائف  
nonfearful model حيث نعرض الحائف لرؤية طفل آخر غير خائف وهو  
فى نفس الموقف ، فلقد أمكن علاج الأطفال الذين كانوا يخافون من الكلاب ،  
وأصبحوا قادرين على التفاعل مع الكلاب دون خوف أو هرب بعد أن شاهدوا

فإنه لا لهم يلعبون مع الكلاب .

والاطفال يتعلمون التعرف على الإنفعالات في غيرهم، وأن يطلقوا الأسماء على  
الإنفعالاتهم . وهم يدركون ويتعرفون على الإنفعالات الإيجابية ويعبرون عنها  
أسرع من الإنفعالات السلبية . ومن الإنفعالات السلبية الكره ومن الإنفعالات  
الإيجابية الحب (١) .

# الفصل الثاني

## اهمية دراسة نمو الكائن البشرى



## الفصل الثاني

### أهمية دراسة نمو الكائن البشري

قبل التعرض لمرحلة المراهقة والشباب ينبغي أن نشير إلى الخصائص العامة للنمو وإلى المراحل السابقة على ذلك نظراً لأن حياة الإنسان سلسلة متصلة الحلقات .

لدراسة مراحل النمو Developmental stages أهمية بالغة بالنسبة للبشرية لأنهم يتكثرون من ميادين العلم المختلفة ، فمعرفة خصائص نمو الطفل والمراهق والراشد ، والشيخ الكبير تفيد الطبيب والأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي والمعلم ، ورجال الوعظ والإرشاد والقادة وزعماء الإصلاح الاجتماعي والسياسي والديني ، كما يفيد منها على وجه الخصوص الآباء والأمهات ، وذلك لأن معرفة طبيعة المرحلة التي يمر بها الفرد ، طفلاً كان أم مراهقاً أم راشداً ، تساعد على توجيهه الوجهة السليمة التي ينبغي أن يسير فيها لكي يصبح مواطناً صالحاً متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه .

وإذا كانت معرفة خصائص النمو في جميع مراحل الحياة المختلفة هامة ، فإن معرفة تلك الخصائص في مرحلة الطفولة childhood بالذات تعد أكثر أهمية ، وذلك لأن مرحلة الطفولة هي المرحلة التي يتكون فيها بذور شخصية الفرد ويتحدد إطارها العام ، وهي التي يتكون خلالها ضميره الواعي ، وذلك لأن الطفل يكون في طور التكوين والإكتساب ، كما أن عقله يتصف بالمرونة وتقبل الإجهادات الجديدة ، ولذلك تنطبع فيها الخبرات التي يمر بها الطفل وتظل ثابتة إلى حد كبير

طوال مراحل حياته المقبلة ، وعلى وجه التحديد تفيد دراسة مراحل النمو في وضع المعايير والمقاييس التي يعرف بواسطتها مدى تقدم الطفل أو تأخره في أى ناحية من نواحي النمو ، فإذا دلتنا دراسة مراحل النمو مثلاً أن طفل الثالثة المتوسط يستطيع أن يكون جملاً مفيدة ، نستطيع أن نعرف إذا كان طفلاً معيناً ينمو في هذه القدرة ، نمواً طبيعياً أو شاذاً ، سواء كان نموه أسرع من المتوسط أم أبطأ منه .

وبذلك نستطيع بناء على هذا التشخيص أن نضع وسائل العلاج .  
اللازم ، إذا كان النمو متأخراً ، وأن نضع الخطط التي تفيد في تربية الطفل إذا كان نموه سريعاً ، وقس على ذلك في جميع مظاهر النمو الجسمي والحركي والعقلي والاجتماعي والإنفعالي ، ولا شك أن معرفة خصائص النمو وسرعته تساعدنا في التشخيص والعلاج وفي رسم الخطط والبرامج الاستفادة من مواهب المتفوقين من التلاميذ .

وإلى جانب هذا فإن دراسة مراحل النمو تساعدنا في معرفة تأثير البيئة على مظاهر النمو المختلفة ، وذلك بمقارنة الطفل البدائي بالطفل الحضري أو طفل المدينة وطفل القرية وطفل الطبقات الاجتماعية المتوسطة والطبقات العليا والدنية ويساعدنا هذا في معرفة البيئة المثالية لنمو الطفل ومن ثم نعمل على توفيرها ، ولذلك لا تقتصر دراسة النمو على معرفة خصائص النمو الطبيعي الجسمي والعقلي والنفسى ، ولكنها تتم أيضاً بمعرفة أثر العوامل البيئية كالغذية أو التربية ، وكذلك أثر العوامل الوراثية ، كإفرازات الغدد والجهاز العصبي في سرعة النمو واتجاهاته .



ويمكن تلخيص أهمية دراسة النمو فيما يل :

(١) أهداف تربوية Educational Aims حيث أن معرفة خصائص النمو فى كل مرحلة تساعد على توفير أنواع النشاط الجسمى والعقلى والاجتماعى التى تتناسب وقدرة الفرد ، وعلى ذلك فلا يعقل أن تطالب من طفل السادسة ما تطلبه من الراشد الكبير ، ذلك لأن تكليف الطفل القيام ، بأعباء تفوق قدراته الطبيعية من شأنه أن يشعره بالفشل والإحباط Frustration ويولد عنده الشعور باليأس والمقص Inferiority وبالمثل فإذا عرفنا أن من خصائص النمو فى مرحلة المراهقة مثلاً ميل المراهقين نحو النشاط التعاونى والعمل الجماعى ، فإننا نسعى لتوفير مثل هذه الأنشطة فى المدارس والأندية وجماعات الكشفة وأندية الشبيلية وفى الأسرة وغير ذلك من المجالات .

(٢) أهداف علاجية Therapeutic Aims تنتج عن معرفتنا بالمبول الطبيعية والنزعات الشاذة فى كل مرحلة ، فمن المعروف أن ما هو طبيعى فى مرحلة قد يعد شاذاً فى مرحلة أخرى ، فالطفل إذا تبول تبولاً لا إرادياً فى عامه الأول لا يعد ذلك شذوذاً ومن ثم لا يدعو إلى شعور الآباء بالقلق ، أما إذا استمر الطفل فى ذلك حتى سن السادسة مثلاً اعتبر ذلك غير طبيعى ، ووجه أنظارنا إلى ضرورة توفير العناية اللازمة للطفل لمساعدته للتخلص من مثل هذه العادة وعن عن البيان أن المعرفة بجميع العوامل التى تؤثر فى سلامة النمو وسرعته تفيد فى الوقاية من الإصابة بكثير من الإضطرابات كما تفيد فى تقديم العلاج Therapy .

(٣) أهداف علمية بحثية ، حيث تفيدنا دراسة مراحل النمو المختلفة فى معرفة الصفات الوراثية Inherited characteristics التى يولد الفرد مزوداً بها ، وتلك

— ٢٤١ —

الصفات المكتسبة من البيئة ، ونحن نحصل على مثل هذه المعرفة عن طريق مقارنة أطفال من بيئات مختلفة وأجناس مختلفة ومن أعمار مختلفة ، فما يوجد عند جميع الأطفال الذين ينحدرون من بيئات اجتماعية وجغرافية مختلفة فهو وراثي فطري ، وما يوجد عند أبناء بعض البيئات ولا يوجد عند غيرهم فلا شك أنه مكتسب acquired بالخبرة والتعلم . وعلى هذا النحو يمكن تحديد الصفات الوراثية والصفات المكتسبة . وعن هذا الطريق أيضاً يمكن تحديد الأعمار التي تظهر وتضع فيها قدرات الطفل الحركية والعقلية المختلفة .

## ١ - تعريف النمو وخصائصه

والآن يجدر بنا أن نتساءل... ما هو إذن معنى النمو؟

نحن نعرف من مجرد الملاحظة العابرة أننا نرى الطفل رضيعاً ثم نراه طفلاً ثم صبياً مراقباً ثم رجلاً ناضجاً ثم شيخاً كبيراً وهكذا... ويعنى ذلك أن النمو سلسلة متتابعة من التغيرات التي تسير نحو إكمال النضج ، فهو إذن ظاهرة طبيعية وعملية مستمرة تسير بالسكان الحى نحو النضج ، ومن أبرز خصائص هذا النمو أنه لا يحدث فجأة ، أى أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى لا يحدث فجأة وإنما يتم تدريجياً ، فالطفل لا يصبح مراقباً بين يوم وليلة ، ولكنه ينتقل من الطفولة إلى المراهقة انتقالاً تدريجياً كما أنه لا ينتقل من المراهقة إلى مرحلة الرشد انتقالاً مفاجئاً وإنما يتم تدريجياً

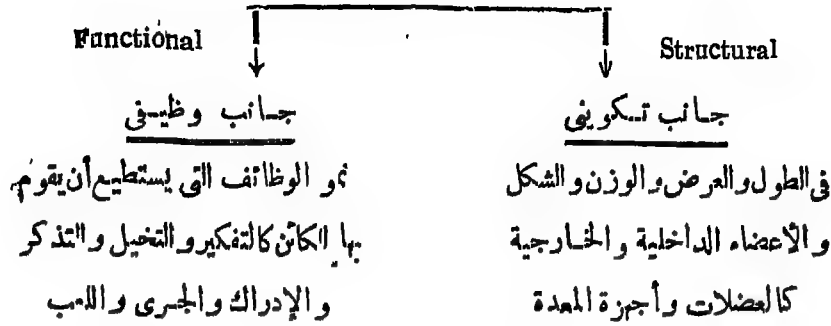
Development = a Sequence of Continuous change in a system extending over a considerable time (١) \*

ومن ملاحظ أن النمو يحدث فى جانبين : جانب تكوينى حيث ينمو الفرد فى طوله وعرضه ووزنه وشكله الخارجى ، كما ينمو نمواً تكوينياً أيضاً ولكنه نمو داخلى فى أعضاء ، أما الجانب الآخر فهو الجانب الوظيفى ، ونقصد به نمو الوظائف الجسمية والعصبية والعقلية والاجتماعية والنفسية فالطفل ينمو تفكيره وإحساسه وإدراكه وخياله كما تنمو قدرته اللغوية وسلوكه الاجتماعى ، وذلك طوال انتقاله من مرحلة إلى أخرى .

---

(1) Stanford, psychology. Wadsworth publishing Co. San Francisco. 1961.

## مظاهر النمو



ونحن نلاحظ أن نمو الفرد قد يكون نمواً طبيعياً أو سريعاً أو بطيئاً، كما أنه قد يكون نمواً في الاتجاه المنحرف، فقد تنمو إتمامات الطفل الاجتماعية نحو اكتساب الأصدقاء الأسوياء، وقد تنمو نحو صحة أقران السوء والأشرار.

ومن الخصائص الأساسية في عملية النمو أيضاً أن يسير من العام إلى الخاص، أو من الكلي إلى الجزئي، فحركات الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة تكون حركات كلية وعشوائية وإجمالية بحيث يقوم بها أعضاء متخصصة من جسمه بل يقوم بها كل جسمه تقريباً، ولكن بمرور الزمن تأخذ هذه الحركات في التخصص والانتظام، واستجابات الطفل تسير من العام إلى الخاص أو من الكلي إلى الجزئي.

والطفل عندما يحاول أن يتعلم مهارة الكتابة فإننا نلاحظ أنه يكتب بكل ذراعه، بل ويحرك كل جسمه، وقد يخرج لسانه، ويظهر التحمس أو الانفعال واضحا على تعبيرات وجهه.

وتتصل بهذه الخاصية خاصية أخرى هي أن النمو يسير نحو التكامل والتآزر والتناسق والتعاون بين الاستجابات المختلفة، حيث تتعاون عضلات الجسم في أداء

الوظائف المختلفة، فاليد تتأزر في حركاتها مع العين، والقديمان تتعاونان مع اليدين، كما يحدث مثلاً في حالة إتقان مهارة ركوب الدراجات، أو كما يحدث في عملية السباحة ولعب الكرة وغير ذلك من الأنشطة.

ومن الحقائق الأساسية أيضاً في عملية النمو أنه لا يسير في النواحي المختلفة بمعدل واحد خلال مراحل النمو المختلفة، فمن المعروف أن النمو يسير بمعدل سريع في مرحلة الصغر، ثم تقل سرعته تدريجياً بالتقدم في العمر حتى يصل الفرد إلى مرحلة الشيخوخة فتبدأ حيويته في التناقص، وينطبق هذا المبدأ على النمو العقلي والنمو الجسمي أيضاً، فشلاً وزن الطفل عند ولادته يكون في المتوسط حوالي سبعة أرطال، وعندما يصبح منه ستة شهور يرتفع وزنه إلى نحو خمسة عشر رطلاً، وعندما يكمل الطفل عامه الأول يصبح وزنه ٢٢ رطلاً وفي سن ١٨ شهراً يصل وزنه إلى ٣٠ رطلاً. ويعنى ذلك أنه أصبح يزن أربعة أمثال وزنه عند الميلاد في مدة مداه ١٨ شهراً، ومعدل السرعة هذا لا يحدث في أى مرحلة من مراحل النمو اللاحقة.

كذلك من الحقائق الأساسية المعروفة عن عملية النمو أن لكل فرد سرعته الخاصة، ولذلك يوجد فروق فردية واسعة بين الأفراد في سرعة قدراتهم ومستوى نضجها فقد يتأخر وصول الطفل إلى مرحلة معينة ولكن هذا يجب ألا يسبب شعور الأم بالقلق لأنه سيصل ختماً إلى هذه المرحلة، ولكن وفقاً لمعدل سرعته هو.

ولذلك فنحن نلاحظ أن جميع الأطفال لا يبدأون المشي أو الكلام في سن واحدة ذلك لأن لكل منهم معدل السرعة الخاص به بحسب تكوينه البيولوجي، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك الطفل المتوسط الذي يسير مع غالبية أطفال منه.

كذلك فإن هذا لا يمنع من أن غالبية الأطفال الأسوياء لا بد وأن يمروا بمراحل النمو المختلفة ، فالمفروض أن غالبية الأطفال يصلون إلى مرحلة البلوغ في السن التي تتراوح بين تسع سنوات ، ١٤ سنة .

وأخيراً فإنه من الحقائق المعروفة عن النمو أيضاً أن نمو البنات يسبق نمو البنين بنحو سنة أو سنتين ، فنحن نلاحظ أن البنات يصلن إلى مرحلة المراهقة في سن مبكرة عن البنين بنحو عامين وهذا هو الحال فيما يتعلق بالنمو الجسمي عامة .  
ويلاحظ أنه من الخصائص الأساسية لعملية النمو أنها عملية داخلية و كلية ، بمعنى أنها تحدث داخل الكائن الحي نفسه أى أن الكائن الحي هو نفسه مصدر نموه ، كما أن النمو الكلي بمعنى أنه يحدث في جميع النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية على حد سواء . والنمو عبارة عن وحدة مستمرة ومتصلة يتأثر فيها النمو في المرحلة الراهنة بالنمو في المراحل السابقة ، كما أن مظاهر النمو الحالي تؤثر في مظاهر النمو في المراحل المقبلة فالنمو يتأثر بالمراحل السابقة ويؤثر في المراحل اللاحقة . ولقد دلت التجارب على أن عملية النمو ليست عملية تلقائية ثابتة ، ولذلك يجدر بنا أن نتساءل عن العوامل التي تؤثر في سير عملية النمو .

## ٢ — العوامل التي تؤثر في عملية النمو

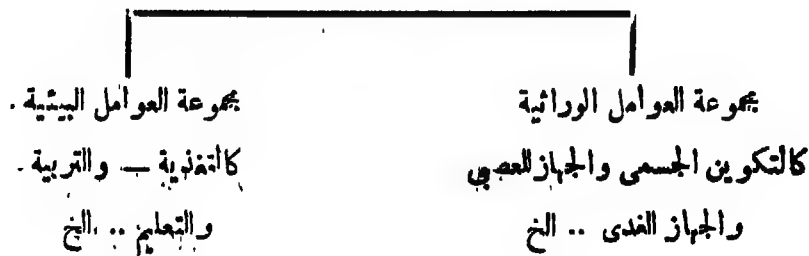
يتأثر نمو الفرد بمجموعة من العوامل من أهمها ما يلي :—

١ — العوامل الفطرية أو الوراثية التي تنقل إياها من آباءه وأجداده والسلالة التي ينحدر منها كالمورثات أو الصفات الوراثية Genes التي تحدد صفاتهم الأساسية مثل طول القامة ولون البشرة وشكل الشعر ولون العينين . فالجينات عبارة عن عناصر نشطة بيولوجياً أو حيويًا Biologically وهي التي تحمل الكروموزوم Chromosomes التي تحدد الصفات الوراثية Hereditary Characteristics .

٢ — التكوين العضوي للفرد ووظائف الأعضاء الداخلية كالغدد الصماء Ductless glands التي تفرز هرمونات Hormones تؤثر على سرعة النمو ،

٣ — البيئة الاجتماعية وما يوجد بها من مؤثرات وما يتيح للفرد من فرص التعليم واكتساب الخبرات وتنمية مهاراته وقدراته وإستعداداته، وعلاقة الطفل بأمه وأبيه ثم علاقته بإخواته في المدرسة والنأدى ، وأخيراً علاقة زملاء العمل . كل ذلك يؤثر على إتجاه نموه وسرعته . والغذاء حيث يؤثر في بناء خلايا الجسم ويعرضه عما فقده من طاقة وأنسجة نتيجة لقيام الكائن الحي بالأنشطة المختلفة .

### محددات النمو



ويلاحظ **إب** العلاقة بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية علاقة تفاعل وتأثير متبادل Interaction فالوراثة تعطي المواد الخام على شكل استعدادات وقدرة فطرية . والبيئة تتناول هذه الاستعدادات بالتنمية والتطوير والتعديل بحيث تعطيها شكلها النهائي . فالظروف الاجتماعية والتربوية التي تتوفر للطفل هي التي تسمح لذكائه مثلاً بالظهور أو الذبول . وهي التي تتيح للطفل أن يستخدم ذكائه في النشاط الإيجابي والبناء ، أما إذا لم تكن هذه الظروف مواتية . فإنها تطمس ذكائه ، وقد يستغله في الجريمة والانحراف .

ولقد دار جدال طويل بين علماء النفس حول أثر كل من البيئة والوراثة . فمنهم من يؤيد أثر الوراثة في تكوين الشخصية ، ومنهم من يناصر أثر العوامل البيئية ، ولكل فريق حججه وبراهينه ، ولكن لم يتمكن أحد من الفريقين من إنكار أثر كل من العاملين كلية وإثبات أثر العامل الآخر ، وعلى ذلك بات من المقبول الإقرار بأثر كل من العاملين . الوراثة والبيئة بيد أن تحديد الأثر النسبي لكل من الوراثة والبيئة أمر يصعب تحديده ، نظراً لتفاعل العوامل البيئية مع العوامل الوراثية منذ ميلاد الطفل ، بل حتى في مرحلة ما قبل الميلاد . فالجنين في بطن أمه يتأثر نموه بما يقع على الأم من مؤثرات كالمرض الطويل أو الاضطرابات النفسية وسوء التغذية وما تنعاطي الأم من الأدوية والعقاقير ومن عاداتها السيئة كالتدخين وشرب الخمر ، بل أنه يتأثر بحالتها النفسية وما تنعاطيها من القلق والتوتر والحزن والاكتئاب كما أنه يتأثر بما يقع للأم من حوادث ، وبما يتعرض له الجنين من صعوبات أو تعسر أثناء الوضع نفسه . فمسألة أيها أكثر تأثيراً في نمو الفرد البيئة أم الوراثة مسألة صعبة جداً .

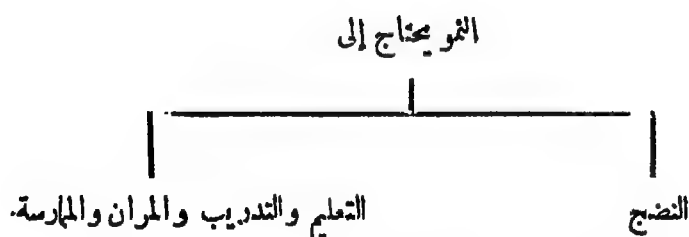
ولكن مع الإقرار بصعوبة فصل أثر العوامل الوراثية عن العوامل البيئية إلا أننا نستطيع أن نلبس أثراً قوياً للعوامل الوراثية في صفات معينة كطول



القامة ولون البشرة والعينين وشكل الشعر . أما البيئة فيظهر أثرها أكثر في الصفات الخلقية والاتجاهات والميول والعادات . وعلى كل حال يعيل علماء التربية ورجال الإصلاح الاجتماعي في العصر الحديث إلى الإهتمام بالعوامل البيئية ، وذلك لأنهم يستطيعون توارثها بالتعديل والتقويم ، فنحن نستطيع أن نتحكم في تغذية الطفل ، وفي توفير فرص التعليم ، بالكَم أو الكيف المناسبين له ، وتوفير الجو الأسرى الملائم للنمو الطبيعي ، ولكن الإعتياد على الوراثة في تحديد السلوك يفتق الباب أمام مجالات الإصلاح والعلاج والتنمية الصحيحة بجميع مظاهرها الشخصية والإنسانية .

## ٣ — العلاقة بين النضج والتدريب

والآن ينبغي أن نتساءل عن الأمور التي يحتاجها الفرد لكي ينمو نموًا طبيعيًا، يحتاج النمو إلى نضج العضلات وأعضاء الجسم المختلفة بحيث تصبح هذه العضلات وتلك الأعضاء قادرة على أداء عملها. فالطفل الرضيع لا تسمح له عضلات ساقيه وعظامه بالمشي، كما لا تستطيع يده القبض على الأشياء الدقيقة، ولكن بمجرد الوقت تنضج هذه العضلات وتصبح قادرة على أداء وظائفها، ولكنها لا تستطيع أن تؤدي عملها من تلقاء نفسها إذ لا بد أيضًا أن يتوفر عامل التعليم والتدريب والمران واكتساب الخبرات. فالطفل إذا تربى في وسط حيوانات الغابة شب يسير على أربع. وعجز عن المشي على قدميه كما يعجز عن استخدام اللغة التي يستخدمها. وعلى ذلك فالنمو يحتاج إلى المران والتدريب بحيث تصبح الاستعدادات الفرد قادرة على القيام بوظائفها.



ولكن هل يمكن لنا أن ندرّب الطفل على أداء أى وظيفة فى أى سن ؟

بالطبع لا يمكن أن نطالب الطفل بالتدريب على أداء عمل معين قبل أن ينضج النضج الكافى ، فمن العبث مثلاً محاولة تدريب طفل الرابعة على حل معادلات رياضية أو الكتابة على الآلة الكاتبة ، إذ لا بد أن تصل أجهزة الجسم إلى حالة من النضج Maturation تسمح لنا بتدريب الطفل دون أن نلحق به أى ضرر .

ولقد أجرى بعض العلماء بعض التجارب للتحقيق من العلاقة بين النضج والتدريب ومن هذه التجارب تجربة جزل « A, Gese II » التي أجراها على توأمين عمرهما ٦ و٤ أسبوعاً ،

أعطى « جزل » التوأم ( أ ) تمريناً منتظماً على اللعب بالمكعبات وتساقى درج السلم لمدة ٦ أسابيع بمعدل ٢٠ دقيقة في اليوم ، وترك التوأم ( ب ) بدون أى تمرينات ، وعندما أصبح عمرهما ٥٢ أسبوعاً وجد أن قدرتها متساوية في اللعب بالمكعبات ، أما في تساقى درج السلم فكان الطفل ( ب ) في حاجة إلى بعض المساعدة ، فأعطاه تمريناً لمدة أسبوعين فقط . وقاس قدرتها معاً فوجد أنها متساوية في تساقى درج السلم . ومعنى هذا أن التدريب الذي تلقاه التوأم ( أ ) وهو في سن مبكرة لم يستفد منه كثيراً ، حيث أنه ( ب ) استطاع أن يستفيد في اكتساب نفس الدرجة من المهارة في مدة أسبوعين فقط عندما بدأ في تلقى تدريباته بعد أن توفر له مزيد من النضج في العضلات .

فالتدريب يجب ألا يبدأ به إلا بعد وصول الطفل إلى مرحلة كافية من النضج العقلي العضلي . ولكن ينبغي ألا نهمل في تقديم التعليم للطفل حتى سن متأخرة بل يجب أن يتوفر له الفرص : مجرد نضج عضلاته واستعداداته بحيث تحقق الاستفادة من قدراته الطبيعية بمجرد إكمال نضجها .



## الفصل الثالث

### مراحل النمو



## الفصل الثالث

### مراحل النمو

يقسم علماء الحياة دورة حياة الفرد ، من اللحظة الأولى التي يتم فيها إلتقاء الحيوان المنوي Male gamete مع البويضة egg وحدوث الانجاب Fertilization ، حتى مرحلة الرشد وإكمال النضج ، إلى مراحل مختلفة ، تمتاز كل مرحلة بخصائص معينة ، ولكن ليس هناك تقسيم واحد . إذ الواقع أن هناك كثيراً من التقسيمات التي تختلف باختلاف العلماء وباختلاف الأساس الذي يتخذه ، للعالم لتقسيمه . وتقسيم علماء الحياة لطور الحياة يقوم على أساس عضوي .

جسمي .

#### النظرية التلخيصية :

ويقصد بالمرحلة فترة من عمر الفرد يمتاز فيها بالإلتفاف بمجموعة معينة من الصفات ، ومن أمثلة التقسيمات الأخرى تقسيم منانلي هول S.Hall صاحب النظرية التلخيصية ، التي ترى أن الطفل من خلال تطوره يمثل تطور الجنس البشري كله فيمر بمراحل تشبه تطور مراحل البشرية ذاتها من الإنسان الأول حتى العصور الحديثة : —

١ — المرحلة الأولى : تمتد من الميلاد حتى سن الخامسة وفي هذه المرحلة يتركز إهتمام الطفل في إشباع مطالب جسمه ، كالأكل والشرب والإخراج . واللبس ، وتمثل هذه المرحلة حياة الإنسان الأول الذي كان يهتم في المحل الأول ، بالحفاظ على حياته ضد أخطار الطبيعة .

٢ — المرحلة الثانية : وتمتد من سن أربع سنوات إلى سن الثانية عشرة. وتتميز بازدياد النشاط الحركي لدى الطفل وبذلك ترى الطفل يميل إلى اللعب والقفز وتسلق الأشجار وغير ذلك من الأنشطة الحركية .

وتشبه هذه المرحلة حياة الإنسان في مرحلة القنص والصيد وإرتياد الغابات والأماكن المجهولة الأخرى .

٣ — المرحلة الثالثة : وتمتد من ٩ سنوات إلى ١٤ سنة ، ويظهر خلالها نزعات حب التملك وإقتناء الأشياء ، كجمع الطوابع البريدية والقواقع ودود القز ، وتشبه هذه المرحلة تلك التي بدأ فيها الإنسان بناء المساكن وإستئناس الحيوان وتربيته .

٤ — المرحلة الرابعة : وتمتد من سن ١٢ إلى ١٩ عاماً ، ويسود لدى الفرد فيها إهتمامه بنشاط فلاحية البساتين ، والإهتمام بالأحوال الجوية . تماثل هذه المرحلة الرابعة من حياة الإنسان ، تلك التي بدأ فيها الإنسان إدراك أهمية إستغلال الأراضى ، وزراعة المحاصيل ، ومن ثم الإهتمام بالأحوال الجوية وإستغلال مياه الأمطار .

٥ — المرحلة الخامسة : وتبدأ من سن ١٩ سنة فأكثر ، ويمتاز سلوك الفرد فيها بالرغبة في التعامل مع الغير ، والإخذ والعطاء ، والبيع والشراء . وتماثل هذه المرحلة تلك بدأ فيها الإنسان الإهتمام بالنشاط التجارى بعد أن تبين له ضرورة عدم الإكتفاء بالنشاط الزراعى .

ويلاحظ على هذه النظرية التكلف وإخضاع مظاهر نمو الطفل لتطور البشرية عامة. وقد أثبتت الأبحاث عدم صحة هذه النظرية ، فالطفل في تطوره من مرحلة إلى



أخرى لا يكرر حياة البشرية عامة ، تلك التي تأثرت بعوامل متعددة مناخية وجغرافية وتاريخية .

وهناك حقيقة هامة سبقتنا الإشارة إليها وهي أن عملية النمو عملية متصلة ومتدرجة ، فالطفل يتقل من مرحلة إلى المرحلة التي تليها بالتدريج ، وليس على شكل انتقال فجائي وطفرى ، كما أن النمو يسير فى خطوات متتالية متعاقبة ومنظمة. فالطفل الرضيع لا يصبح مراهقاً قبل أن يمر بمرحلة الطفولة، وكذلك فإن الطفل الصغير يتعلم كيف يحبو قبل أن يصبح قادراً على المشى ، كما أنه يتعلم لغة الكلام قبل أن يتعلم لغة الكتابة .

ورغم أنه انكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها وسماتها ، إلا أن هذه المراحل لا تنفصل بعضها عن بعض انفصالاً طامقاً ، فالحدود بين مراحل النمو ليست حدوداً فاصلة قاطعة ، وإنما يوجد دائماً كثير من مظاهر التداخل بين مظاهر المرحلة الحالية والمرحلة السابقة واللاحقة .

ورغم ذلك فإن ظاهرة النمو تقسم إلى مراحل معينة وذلك بقصد سهولة الوصف والتحليل وتيسير عملية البحث والدراسة ، ويشبه ذلك تقسيم السنة إلى فصول معينة ، ويحدد لكل فصل بداية ونهاية كما يحدد لكل فصل خصائص معينة إلا أن هذه الخصائص متداخلة ، فخصائص الصيف مثلاً لا تختفى بين ضحية وعشائها ليحل محلها خصائص فصل الخريف .

وإلى جانب ذلك فإن تقسيم النمو إلى مراحل ليس تقسيماً مطلقاً أو ثابتاً بل أنه يختلف باختلاف العلماء ، وباختلاف الأساس الذى يتخذ للتقسيم . فقد يقوم التقسيم على أساس عضوى جسمى أو على أساس نفسى أو اجتماعى أو تربوى وهكذا .

### أسس تقسيم النمو الى مراحل :

١ - تقسم مراحل "نمو أحياناً على أساس نمو بعض الغدد glands ، ويعرف هذا الأساس باسم الأساس الغدى العضوى . وجوهر هذا الأساس هو أن التيموسية Thymus وتقع تحت الرقبة تكون نشيطة فعالة في بدء حياة الطفل وعندما يبلغ الطفل حوالى سن ١١ سنة تبدأ في الضمور والإضمحلال كما أن الغدة الصنوبرية Pineal وتقع في المخ تضمر عند البلوغ Puberty بينما يزداد نشاط الغدة التناسلية . وينتج عن نشاط الغدة التناسلية ظهور الصفات الجنسية على المراهق والمراهقة Sex characteristics . ويستمر نشاط الغدة التناسلية حتى يأخذ في الضعف تدريجياً في مرحلة الشيخوخة Senility ، وعلى هذا الأساس العضوى تقسم ظاهرة النمو إلى مرحلة الطفولة والمراهقة والرشد والشيخوخة .

وتقسم مرحلة الطفولة إلى مرحلة ما قبل ميلاد الطفل ومرحلة ما بعد الميلاد وتبدأ مرحلة ما قبل الميلاد باخصاب البويضة وتنتهى بولادة الطفل ومدتها حوالى تسعة أشهر ويمتاز النمو فيها بالسرعة الزائدة ، حيث يتطور الكائن الميكروسكوبى حتى يصل وزنه إلى ٧ أرطال تقريباً ،

وعلى كل حال ، تبعاً للأساس العضوى أو الغدى ، يقسم النمو إلى المراحل التالية :

١ - مرحلة ما قبل الميلاد وتمتد من الاخصاب إلى الولادة ومدتها تسعة أشهر .

٢ - مرحلة الرضاعة وتمتد من بداية الأسبوع الأول إلى نهاية السنة الثانية .

٣ - مرحلة الطفولة المبكرة وتمتد من بداية السنة الثانية حتى نهاية السنة السادسة .

٤ — مرحلة الطفولة المتأخرة وتمتد من بداية السنة السابعة حتى نهاية العاشرة وذلك عند الإناث ، ومن السابعة حتى الثانية عشرة عند الذكور .

٥ — مرحلة البلوغ وتمتد من بداية الحادية عشر حتى الثالثة عشر عند الإناث ومن نهاية الثانية عشر إلى نهاية الرابعة عشر عند الذكور .

٦ — مرحلة المراهقة Adolescence وتمتد من بداية الرابعة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند الإناث ومن بداية الخامسة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند الذكور .

٧ — مرحلة الرشد وتمتد من سن الحادية والعشرين حتى سن الأربعين .

٨ — مرحلة وسط العمر وتمتد من سن الأربعين حتى سن الستين .

٩ — مرحلة الشيخوخة وتمتد من سن الستين إلى نهاية الحياة .

وتجدر الإشارة إلى أن الأعمار التي يحدد على أساسها بداية ونهاية المراحل ليست إلا متوسطات عامة ، ولكن هناك فروقاً فردية Individual differences واسعة بين الأفراد في السن الذي يصلون فيه إلى هذه المراحل فهناك أشخاص سريعة النمو وهناك متأخرو النمو .

### ٣ — تقييم النمو على أساس اجتماعي :

يعتمد هذا النوع من التقسيم على مدى تطور علاقات الطفل مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، وعلى مدى اتساع الدائرة التي تدور فيها علاقات الطفل الاجتماعية وتعاملاته مع الآخرين ، وعلى التطور النفسي والاجتماعي الذي يظهر في نشاطه كاللعب مثلاً باعتباره عينة من سلوك الطفل الاجتماعي ، فيقسم اللعب إلى الأنواع أو المراحل الآتية :

(١) مرحلة اللعب الإنفرادي حيث يفضل الطفل اللعب بمفرده دون أن يشارك أحداً في اللعبه .

(٢) مرحلة اللعب الانفرادي ، وفيها يلعب الطفل مع جماعة من أقرانه ، ولكنه يحتفظ بمصاحبه الفردية .

(٣) مرحلة اللعب الجماعي ، وهذا يفضل اللعب مع زملائه . ويحترم روح الجماعة ، ومن أمثال هذه الألعاب الجماعية كرة القدم أو السلة .

ووضح أن الاعتناء على اللعب في تقسيم مراحل النمو لا يعتمد به لأن اللعب ما هو إلا نوع واحد من الأنشطة العديدة التي يمكن أن يقوم بها الطفل ، والتقسيم على أساسه يعتبر تقسيماً قاصراً إذ لا بد أن يؤخذ في الاعتبار نشاط الطفل الجسمي والحركي والعقلي والاجتماعي معاً .

### ٣- تقسيم النمو الى مراحل على أساس تربوي :

يهتم المشتغلون بالتربية والتعالم بتقسيم النمو الى مراحل تناظر المراحل التعليمية المعروفة . ويسعى رجال التربية والتعالم الى توفير فرض التعليم لكل طفل حسب المرحلة التي يمر بها ، وحسب ما يمتلك من قدرات وإستعدادات وميول وحسب ما يناسب مع ما وصل إليه من نضج ، وعلى ذلك يمكن وضع التلييف المناسب في المكان الدراسي المناسب .

١- مرحلة ما قبل الدراسة

٢- مرحلة التعليم الابتدائي .

٣- مرحلة التعليم الثانوي .

٤- مرحلة التعليم الجامعي أو العالي .

وواضح أن هذا التقسيم يوضع لتحقيق أهداف تربوية بحثية . وعلى كل حال فمن الممكن وضع تقسيمات مختلفة باختلاف الأساس الذى نتخذه للتقسيم.

### الذهو في مرحلة الطفولة :

رأينا أنه يمكن تقسيم أطوار النمو إلى مراحل متعددة ، بل إن هناك بعض علماء النفس الذين يميلون إلى تعديد مراحل النمو فيجدون عن مظاهره عند الطفل في العام الأول من عمره ثم في العام الثانى وهكذا . ولكننا هنا سنعالج مرحلة الطفولة ككل ، رغم أن هناك من علماء النفس من يقسمونها إلى مرحلة الطفولة المبكرة ثم المتأخرة ، ولكننا لبساطة العرض ولتسابه خصائص مرحلة الطفولة سوف نعالجها كمرحلة واحدة .

ويقصد بمرحلة الطفولة تلك المرحلة التى تمتد من الميلاد حتى نهاية الحادية عشر . توضع البذور الأولى لشخصية الطفل ، ويتكون الإطار الدائم لشخصيته ، ويكون لهذا أكثر الأثر فى تشكيل شخصية الطفل فى المراحل اللاحقة .

كما يميل الطفل ميلاً خاصاً نحو التقليد والمحاكاة ، فيقلد الكبار من المحيطين به ، ولا سيما من يعجب بشخصيتهم ، ولذلك يجب أن يتوفر للطفل القدوة الحسنة والمثال الطيب الذى يستطيع أن يتقمص شخصيته ، وأن يستفيد من هذا التقمص ، وعلى وجه الخصوص يتم علماء النفس التحليليون بالسنوات الخمس الأولى من حياة الطفل لما لها من أهمية بالغة فى تشكيل شخصية الطفل فيما بعد . وفى هذه المرحلة يجب العمل على تجنب الطفل المعاناة من المشكلات النفسية كالغيرة والعناد والعدوان والتبول اللاإرادى ومص الأصابع وقضم الأظافر ... إلخ .

الطفل فى بداية حياته يعتمد اعتماداً كلياً عن أمه فى قضاء حاجاته الحيوية .

لأنه يكون عاجزاً عن قضاء حاجاته بنفسه ، وطفل الإنسان بالذات تطول فترة طفولته عن فترة طفولة الحيوان ، وتمتد فترة حاجته إلى رعاية غيره مدداً أطول منها عند الحيوان ، ولكنه يتعلم الإستقلال تدريجياً .

وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل في تعلم الكلام والمشي ، وعلى ذلك تتسع دائرة اتصاله ، ومن ثم ينمو عالمه الصغير ، كما يزداد إهتمامه بالأشياء والموضوعات المحيطة به فبدأ في التعامل معها واختبارها وتحسسها .

وفي حوالى سن الثانية يميل الطفل نحو العناد ، وإلزام الغير بضرورة الإستجابة إلى مطالبه ، ويتمسك ويصر على تحقيق مطالبه بالإلحاح والصراخ والإرتساء على الأرض . وفي حوالى أربعة يزداد ميله إلى النشاط الحركى والجسمى ، ولذلك يميل إلى الجرى واللعب ، وعدم الإستقرار فى مكان لمدة طويلة ، وذلك لثمصر يف طاقته الحيوية الزائدة .

ويمكن إستغلال هذه الطاقة فى الأعمال النشيطة ، وفى تعويده على الإعتماد على نفسه ، فيتدرب على لبس ملابسه بنفسه ، أو ترتيب حجرة أو المساعدة فى أعمال المنزل ، حتى لا يستخدم طاقته فى السلوك التخريبى وفى تدوير ما تقع عليه يده .

ويميل الطفل ميلاً خاصاً إلى حب الإستطلاع ، وإكتساب المعرفة ، ولذلك يكثر من التساؤل عن كثير من الأمور التى تحيط به . فقد يسأل عن أصل العالم أو مصدر مجيء الأطفال إلى هذا العالم .

واجب الآباء إزاء نزعة الطفل نحو حب الإستطلاع هو الإجابة الصريحة الواضحة على جميع تساؤلاته ، ولكن ينبغى أن تكون إجاباتهم فى المستوى المبسط الذى يستطيع أن يفهمه الطفل .

في مرحلة الطفولة يتسم خيال الأطفال بالقوة ، فخيال الطفل ل يصبح قوياً جداً ، وقد يفوق في قوته الواقع نفسه ، بل إن الطفل الصغير يمتزج عنده الحقيقة بالخيال ، ويعجز عن التمييز بينهما في كثير من الأحوال ، فالطفل الصغير يعامل دميته معاملة الآدى ، فيطعمها ويلبسها ، وينزل بها العقاب ويعالجها إذا مرضت . وكذلك يكافأها إذا أصابت وأطاعت أو امره ، لذلك يجب إستغلال قدرة الطفل الخيالية في الأنشطة الإيجابية كالعرف والموسيقى أو الرقص أو الرسم أو الأشغال وغيرها من الفنون .

وعندما يقترب من سن العاشرة تظهر عنده نزعات حب التملك والإقتناء فيميل إلى جمع الأشياء كطوابع البريد والقواقع أو أوراق الأشجار أو اللعب ودود القز وغير ذلك .

ويمكن تلخيص أهم خصائص النمو في مرحلة الطفولة على النحو الآتي : —

#### النمو الجسمي Physiological Development :

يمتاز النمو الجسمي بالسرعة حيث يتضاعف وزن الطفل في نهاية السنة الأولى ثلاثة أمثال وزنه عند الميلاد . وفي نهاية السنة الخامسة يصل الوزن ستة أمثال وزنه عند الميلاد . ومعدل السرعة هذا لا يصدق بالنسبة للوزن وحسب ولكن أيضاً بالنسبة للطول ونمو العضلات المختلفة وحجم المخ وغير ذلك من المظاهر الجسمية . ولكن هذا النمو لا يستمر في السرعة إلى ما لا نهاية حيث أنه يأخذ في التناقص تدريجياً باقتراب الطفل من مرحلة الطفولة ، فنجد أنه كثير الحركة والإنتقال من مكان لآخر . ويجب تشجيع الطفل على هذا النشاط الحركي المتزايد حتى لا ينزع إلى الإنسحاب والإبتواء .

ويمكن للطلاب تسجيل تطور نمو المشي عند الطفل حينئذ يلاحظ أننا نجد

في الشهور الأولى من حياته يحاول الحبو على بطنه وعندما تنمو عضلاته وتقوى على الحركة نجده يستطيع الحبو على يديه ثم يستطيع الوقوف مستنداً إلى شيء ثم للوقوف مستقلاً ثم المشي في حوالى سن الشهر الخامس عشر .

وفي مرحلة الطفولة المتأخرة ( من السادسة حتى الثانية عشرة تقريباً ) نجد أن معدل النمو يأخذ في التباطؤ بالقياس إلى المرحلة السابقة ويؤدى نضج الجهاز العصبي في الطفل إلى نضج الأعضاء الدقيقة كالأصابع وهنا ينبغي أن تتاح للطفل فرصة التدريب على الأعمال الدقيقة كالكتابة على الآلة الكاتبة أو أشغال الإبرة ، والألعاب الرياضية وغير ذلك .

#### النمو العقلي Mental development

في مرحلة الطفولة المبكرة يكون الجهاز العصبي غير مكتمل النضج ، ولذلك فإن القدرات العقلية لا تظهر بشكل متمايز في هذه المرحلة المبكرة ، ويتصف التفكير الطفل بأنه تفكير مادي وحسي فلا يقوى الطفل على التفكير في الأمور المعنوية المجردة ، فلا يدرك معنى فكرة الحق والخير والجمال والشر أو الواجب ولا يستطيع أن يفكر إلا في الأمور الحسية والمائلة أمام حواسه المختلفة .

والمر اللغوي في هذه المرحلة يتصف بعدم النضج ، وذلك لعدم اكتمال عضلات اللسان والأحبال الصوتية ، وهي التي تساعد الطفل على إخراج الكلمات والمقاطع والطفل أول ما يبدأ التعبير اللغوي يبدأ بكلمات عشوائية غير مفهومة ويزداد النضج يستطيع أن ينطق ببعض الكلمات المفهومة ثم تزداد ثروته اللغوية شيئاً فشيئاً .

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة فنجد أن النمو العقلي - على العكس من النمو الجسمي الذي أخذ في التباطؤ - يأخذ في السرعة والازدياد وذلك لنمو المخ



والجهاز العصبي ولذلك يرتفع مستوى الإدراك الحسى لدى الطفل ويصبح أكثر دقة . كذلك يتطور تفكيره من الموضوعات الحسية المادية إلى الموضوعات المعنوية المجردة . ويجب أن تتاح للطفل من ألوان النشاط العقلي والألعاب العقلية والهوايات ما يسمح بتنمية قدراته العقلية ونموها في الاتجاهات الإيجابية المرغوب فيها .

#### الذهو الاجتهاعى Social Development

في مرحلة الطفولة المبكرة يرتبط الطفل ارتباطاً وثيقاً بأمه ، نظراً لأنها هي التي تقوم على إشباع حاجاته الأساسية من غذاء ودفء وحنان . وبمرور الوقت يتعود الطفل على رؤية بقيمة أفراد الأسرة وعلى البقاء معهم دون احتياج ، وبثقه في العمر تنسع دائرة معارفه لتشمل أناماً من خارج الأسرة ، من الأقارب والأصدقاء والجيران ، ولكنها تظل محدودة بهذه الحدود ، فلا يقيم علاقات طيبة مع الغرباء . وفي بداية هذه المرحلة يفضل الطفل اللعب بمفرده ، ثم يبدأ في اللعب مع غيره من الأطفال ، ويقيم علاقات إجتماعية معهم نتيجة للمشاركة في بعض النشاطات الإجتماعية .

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة فإن الطفل يفضل الاندماج مع جماعات الأصدقاء والانتماء ، ويرجع ذلك إلى نضجه العقلي والوجداني وإلى إيمانه بقيمة الجماعة في تحقيق أهدافه ، ومن هنا يبدأ الشعور بالولاء للجماعة . وهكذا تنسع دائرة الطفل بعد أن كانت محدودة في نطاق الأسرة لتشمل جماعات الأصدقاء والزملاء في المدرسة والنادي والحي .

ونتيجة لإشراكه في أنشطة الجماعة فإن القيم الإجتماعية تأخذ في الظهور عنده ، فيبدأ باحترام القوانين والنظام والعرف والعادات والتقاليد ويؤمن باحترام حقوق الغير .

### النمو الانفعالي Emotional Development

فى بداية مرحلة الطفولة المبكرة نجد أن إنفعالاته تدور حول إشباع حاجاته .  
الأولية مثل الجوع والعطش والإخراج والنوم والراحة ، فالطفل يعتبره  
الغضب الشديد إذا لم تشبع حاجته إلى الطعام ويفرح ويسر إذا أشبعته هذه .  
الحاجة .

وفى منتصف مرحلة الطفولة المبكرة ، تبدأ إنفعالات الطفل تدور حول بعض  
الأمور المعنوية ، فيدرك معنى اللوم والتأنيب والجزر ، والحرمان من الحب .  
والحسان ويتفعل لذلك كله ، كذلك يدرك معنى النجاح والفشل والعقاب  
والخطأ والثواب .

وعلى العموم تتميز إنفعالات الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة بسرعة التغير  
والتقلب فالطفل يغضب بشدة لأنفه الأسباب ، ويعود بسرعة ويأهب ويضحك .  
وبلوه . ويلاحظ ذلك على علاقات الأطفال بعضهم ببعض حيث ينتقل الطفل  
من شجار إلى تعاون ولعب مشترك مع لحظات معدودات وتنصف إنفعالات  
الطفل فى هذه المرحلة أيضاً بالشعور بالغيرة والاثمانية وحس الإتيلاك  
والدكتاتورية والرغبة فى تحقيق حاجاته دون النظر إلى مقتضيات الواقع .

أما فى مرحلة الطفولة المتأخرة فيمتاز الطفل بالهدوء والإنزان ، فالطفل فى  
هذه المرحلة لا يفرح بسرعة كما كان الحال فى مرحلة الطفولة المبكرة فهو يفكر  
ويدرك الأمور المثيرة للغضب والإنفعال ، ويتقنع إذا كان مخمناً ، كذلك يتغير  
موضوع الغضب فبدلاً من الإنفعال بسبب إشباع الحاجات المادية ، تصبح الإهانة .  
أو الإحسان من الأمور التى تستثير إنفعالاته ، أى الأمور المعنوية .

## الفصل الرابع

النمو في مرحلة الطفولة والمراهقة



## الفضل الرابع

### النمو في مرحلة الطفولة والمراهقة

يطلق اصطلاح المراهقة Adolescence على المرحلة التي يحدث فيها الإمتداح للتدريج نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والنفسى الاجتماعى والروحى والخلقى ، ويخاطب البعض بين كلمة المراهقة وكلمة البلوغ Puberty ولكن يتبنى التمييز بينهما ، فانطاز المراهقة يعنى التدرج نحو النضج الجسمى والجنسى والعقلى والنفسى (أما عن الأصل اللغوى للكلمة فيرجع إلى الفعل ( راقى ) بمعنى أقرّب من راقى الغلام أى قارب الحلم أى بلغ حد الرجال ) على حين يقصد بالبلوغ نضج الأعضاء الجنسية ، واكتمال وظائفها عند الذكر والأنثى ، وعلى ذلك يتضح لنا أن البلوغ يقصد به جانب واحد من جانب المراهقة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يأتي قبل الوصول إلى المرحلة التي يطلق عليها المراهقة ، ففي بداية مرحلة المراهقة تحدث تغيرات كثيرة على المراهق ، من أهمها النضج الجنسي حيث تبدأ في هذه المرحلة الغدد الجنسية في القيام بوظائفها (1) :

وتعرف المراهقة بأنها :

Adolescence, The Period from The beginning of Puberty to the attainment of maturity.

أما البلوغ فيعرف بأنه :

Puberty, a stage of Physical maturation when reproduction first become, possible,

(1) Stanford, Psychology, Wadsworth Publishing Co, San Francisco. 1961.

أما عن السن الذي يحدث فيه البلوغ ، فإنه يختلف باختلاف آلاف الجنس والظروف المادية والاجتماعية والمناخية التي يعيش في وسطها المراهق . ففيملاً يختص بالفرق بين الجنسين لوحظ أن البنات يصلن إلى مرحلة النضج في سن مبكرة عن البنين بمدة تبلغ نحو عامين ، ففي المتوسط تصل البنت إلى هذه المرحلة في حوالي سن الثانية عشرة بينما يصل الولد المتوسط إلى هذه المرحلة في حوالي سن الرابعة عشر ولكن ينبغي الإشارة إلى أن هناك فروقاً فردية واسعة بين الأفراد في سرعة نموهم وإكمال نضجهم .

وهناك علاقة بين نضج المراهق وبين العوامل البيئية كالتهوية والمناخ والأمراض وغير ذلك ، فأطفال المناطق الحارة يصلون إلى مرحلة المراهقة في سن مبكرة عن أطفال المناطق الباردة ، كما أن هناك فرقاً يرجع إلى نوع السلالة التي ينتمى إليها الفرد ، فالشعب الذي يسكن الجزء الشمالى الغربى من أوربا أبطأ من سكان حوض البحر المتوسط في الوصول إلى النضج الجنسي (١) ، وكذلك قلته تؤدي حالات المرض الطويل أو الضاعف العام إلى تأخر النضج الجنسي ، فالمرأة هامة محصلة التفاعل بين العوامل البيولوجية والثقافية والاقتصادية التي يتأثر بها المراهق

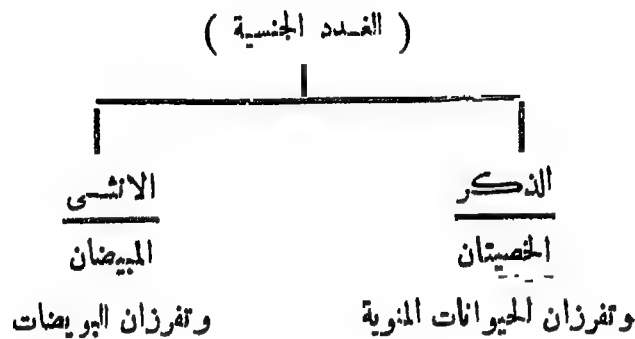
#### النمو الجسمى في مرحلة المراهقة :

في هذه المرحلة تنمو الغدد الجنسية Sexual glands وتصبح قادرة على العمل وظائفها في التنازل ، وهذه الغدد الجنسية عبارة عن المبايض عند الانثى ويقومان بإفراز البويضات ، ويحدث الطمس عند الفتاة نتيجة لإنتفاخ البويضة الناضجة في المبيض ، ويؤدي ذلك إلى نزول دم الخيض وهو دم أحمر قاتى ، ويحدث أوله

(١) د مصطفى فهمى - سيكولوجية الطفل والمراهقة .

تسبب الحيض للفتاة في الفترة ما بين ٩ — ١٤ سنة ، ويتوقف تحديد هذا السن على عوامل سلالية وفسولوجية ووراثية وبيئية . ويطلق على مظاهر النضج الجنسي عند البنين والبنات إصطلاح « الصفات الجنسية الأولية »

#### Primary Sex characters



ولكن يصاحب النضج الجنسي ظهور ميزات أخرى يطلق عليها إصطلاح « الصفات الجنسية الثانوية » Secondary Sex characters ، مثلاً عند البنات تنمو عظام الحوض بحيث تتخذ شكل حوض الانثى ، وإختزان الدهن في الأرداف وتتميزها ونمو الشعر فوق العانة وتحت الإبطين وكذلك نمو أعضاء أخرى كالرحم والمهبل والشدين وعند الذكور نمو شعر الذقن والشارب وخشونة الصوت وظهور العضلات .

وتحدث دورة الحيض للفتاة كل ٢٨ يوماً ، ولكنه ليس من الضروري أن تحدث بصورة منتظمة في بداية مرحلة البلوغ ، إذ قد يتأخر ظهورها بعد ظهور أول حيض فترة تتراوح بين شهر وعام ، ولكن لا ينبغي أن يثير ذلك أى شعور بالقلق ، إذ أن ذلك أمراً طبيعياً وسوف تعود الدورة إلى الانتظام من تلقاء نفسها بعد إكمال نضج الجهاز التناسلى أما الغدد التناسلية في الذكر فهي الخصيتان ،

وتقوم بإفراز الحيوانات المنوية والهرمونات الجنسية ، وتمتزج الحيوانات المنوية  
بمسائل منوى لزوج تفرزه البروستاتا ويحدث الإخصاب ويتكون الجنين في الرحم .  
نتيجة لإلتقاء حيوان منوى وبويضة .

عرفنا أنه يمكن تحديد النضج الجسمي عند الفتاة بظهور أول حيض ، أما عند  
الفتى ، فإننا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة أول عملية قذف ، ولذلك يمكن  
تحديد بداية البلوغ عند المراهقة عن طريق ملاحظة الصفات الجنسية الثانوية ،  
كظهور شعر العانة وخشونة الصوت وبروز العضلات . ولقد وجد د كثرى «  
من دراسته على السلوك الجنسي عند الذكور أن القذف الأول يحدث في المتوسط  
في حوالى سن الثالثة عشر والنصف .

### ( التغيرات الجنسية تحدث )

|                                    |                               |
|------------------------------------|-------------------------------|
| في الصفات الجنسية الأولية          | في الصفات الجنسية الثانوية    |
| كنمو الغدد الجنسية كالمبيض والخصية | كنمو الثدي والأرداف في الانثى |
| وخشونة الصوت في الذكر              |                               |

وإلى جانب نضوج الغدد الجنسية في الذكر والانثى ، فإن هناك بعض  
التغيرات التي تحدث في إفرازات الغدد الصماء Endocrine glands وهى عبارة  
عن مجموعة من الغدد عديمة القنوات ، ولا تصب إفرازاتها خارج الجسم ، وإنما  
تصبه في الدم مباشرة . وإفرازات هذه الغدد عبارة عن مواد عضوية تسمى  
هرمونات Hormones .

ففي مرحلة المراهقة يزداد إفراز الغدة النخامية وهى من الهرمونات المنبهة .



للجنس بينما يحدث ضمور في الغدد "صنوبرية والتيموسية .

وعلى الجملة نستطيع القول إن النمو في المراهقة يحدث على شكل تغيرات جسمية خارجية يستطيع أن يلاحظها المراهق نفسه كما يلاحظها المحيطون به ، ثم هناك تغيرات فسيولوجية تظهر في وظائف الأعضاء .

### النمو العقل :

تتميز فترة المراهقة بنمو القدرات العقلية ونضجها ، ولقد سبق أن أشرنا إلى أن النمو الحركي في الطفل يسير من العام إلى الخاص وينطبق هذا المبدأ على النمو العقلي ، فتسير الحياة العقلية من البسيط إلى المعقد ، أى من مجرد الإدراك الحسي والحركي إلى إدراك العلاقات المعقدة والمعاني المجردة ، ففي مرحلة المراهقة ينمو الذكاء العام ، ويسمى القدرة العقلية العامة ، وكذلك تنضج الإستعدادات والقدرات الخاصة ، وتزداد قدرة المراهق على التيسام بكثير من العمليات العقلية العليا ، كال تفكير والتذكر والتخيل والتعلم .

أما الذكاء العام فهو القدرة التي تمكن وراء جميع أنماط السلوك العقلي ، ولذلك أطلق عليه سبيرمان الاسم « العامل العام » The general Factor ويقابل ذلك عوامل خاصة Specific Factors يوجد كل منها في نشاط عقلي معين ، ولا يوجد في غيره كالعامل الخاص بالموسيقى مثلا .

فالتفوق في الرياضيات مثلا يتطلب إلى جانب قدر معقول من العامل العام ( الذكاء ) قدرة خاصة في الرياضيات :

ويختلف علماء النفس في تعريف الذكاء ، ولكن نستطيع أن نلبس أن الذكاء قدرة عامة تظهر في قدرة الفرد على التعلم واكتساب المهارات ، وفي القدرة على

التكيف مع المواقف الجديدة أو المشكلات الجديدة التي تواجه الفرد وفي القدرة على ممارسة العمليات العقلية العليا كالتمكير والتذكر والتخيل وإدراك العلاقات وحل المشكلات (١).

ومن خصائص النمو العقلي أنه يظل مستمراً ، حتى من السادسة عشرة ثم يتوقف هذا بالنسبة للطفل المتوسط ، أما متفوقوا الذكاء فإن نموهم يستمر حتى سن العشرين .

وجدير بالذكر أنه أصبح الآن من الممكن قياس ذكاء الفرد وتقدير عمره العقلي تقديرأ دقيقة ، وذلك عن طريق استخدام إختبارات دقيقة وموضوعية تسمى « إختبارات الذكاء » Intelligence tests ، من الإختبارات التي تطبق في العالم العربي وثلاثم البيئة العربية الإختبارات الآتية :

- ١ — إختبار الذكاء المتوسط للاستاذ كامل النحاس .
- ٢ — إختبار الذكاء النانوى للاستاذ إسماعيل القباني .
- ٣ — الإختبارات الحسية للذكاء للدكتور عبد العزيز القوصى .
- ٤ — إختبار القدرات العقلية للدكتور أحمد زكى صالح .
- ٥ — إختبار الذكاء المصور للدكتور أحمد زكى صالح .
- ٦ — إختبار الذكاء الإعدادى والعالى للدكتور السيد محمد خيرى (٢).

---

(١) د. فؤاد البهى السيد .. الذكاء.

(٢) يمكن الإطلاع على نماذج من هذه الإختبارات في مختبرات علم النفس وفى العيادات النفسية .

وتصلح هذه الاختبارات وغيرها لقياس الذكاء في سن المراهقة ، ونستطيع جواسطتها تحديد ذكاء المراهقين ومعرفة الفروق الفردية بينهم في مقدار ما لديهم من ذكاء .

ومن المعروف أنه في مرحلة المراهقة تأخذ الفروق الفردية في الذكاء وتأخذ القدرات والاستعدادات والميول في الظهور والوضوح ولذلك يمكن في هذه المرحلة توزيع التلاميذ إلى أنواع التعليم التي تناسبهم أو المهن التي تتفق وميولهم وقدراتهم .

ومن أبرز خصائص النشاط العقلي في فترة المراهقة أيضاً أنه يأخذ في البلورة والتركيز حول نوع معين من النشاط كأن يتجه المراهق نحو الدراسة العلمية أو الأدبية بدلاً من تنوع نشاطه واختلاف إهتمامه ، كذلك من خصائص هذه الفترة نمو قدرة المراهق على الإلتباه ، فبعد أن كانت قدرته على الإلتباه محدودة وكانت المدة التي يستطيع أن يركز إلتباهه فيها نحو موضوع معين محدودة أيضاً يصبح قادراً على تركيز إلتباهه لمدة طويلة . كذلك تنمو القدرة على التعليم والتذكر فبعد أن كان تذكره تذكراً آلياً أى تذكراً يقوم على أساس السرد الآلى دون فهم لعناصر الموضوع يصبح تذكره تذكراً يقوم على أساس الفهم وعلى أساس إدراك العلاقات القائمة بين عناصر الموضوع الذي يتذكره .

كذلك يقوم على أساس استنباط علاقات جديدة بين عناصر الموضوع .

وفي هذه المرحلة أيضاً يصبح خيال المراهق خيالياً مجرداً ، أى مبنيّاً على استخدام الصور اللفظية وعلى المعاني المجردة . ولقد سبق أن عرفنا أن خيال الطفل خيال حسي بصرى .

يمتاز النمو العقلي بالسرعة في مرحلة المراهقة والنضج حيث يصبح المراهق

قادراً على التفكير في الأمور المعنوية المحردة ويعنى ذلك نمو الذكاء والقدرات الخاصة والميول والاتجاهات ويصبح تفكيره أكثر دقة ونضجاً ويميل إلى التفكير النقدي ، ويعيد النظر في كثير مما سبق أن تقبله عن طيب خاطر في المراحل السابقة .

ويهتم المراهق بالقصص وبأبطال التاريخ ومشاهير العلم والفن ، ويحاول أن يتقمص شخصية بطل من الأبطال، ويعجب عامة بمظاهر البطولة والشجاعة وغير ذلك ، ما ينطوي تحت نزعة عبادة الأبطال ويمتاز خياله بالعمق والخصوبة ويميل إلى أن يشبع كثيراً من رغباته عن طريق أحلام اليقظة Day-dreams .

وفي مرحلة المراهقة بالذات ينبغي أن توجه عناية كبيرة لتنمية التفكير العلمي لدى المراهقين وتوعيمهم على استخدام التفكير المنطقي المنظم في حل ما يجابههم من مشكلات .

### النمو النفسي والاجتماعي :

يتأثر النمو النفسي ( الإنفعالي ) والنمو الاجتماعي للمراهق بالبيئة الاجتماعية والأسرية التي يعيش فيها فما يوجد في البيئة الاجتماعية من ثقافة وتقاليد وعادات وعرف واتجاهات وميول يؤثر في المراهق ، ويوجه سلوكه ويجعل عملية تكيفه مع نفسه ومع المحيطين به عملية سهلة أو صعبة .

ومن العادات السائدة بين الغالبية الساحقة من الأسر العربية الإهتمام الزائد بتعليم أبنائهم وذلك لتحقيق نوع من الاستقرار الإقتصادي والاجتماعي لأبنائهم لتأمين مستقبلهم ، ولكن يبالغ الآباء ، في كثير من الحالات ، في ممارسة الضغط على المراهق ويطالبونه الوصول إلى مستوى عال من التحصيل لا تقوى عليه قدراته الطبيعية ، ومن ثم يستشعر بالفشل والإحباط فضلاً عما في ذلك من ضياع الكثير من الجهد .

والمال على مستوى الأسرة ومستوى الدولة . ولذلك ينبغي أن تكون نظرة الآباء نظرة واقعية لا تحمل المراهق فوق طاقته الطبيعية ، كذلك يجب أن تكون نظرة الأسرة للمراهق نظرة شاملة تتناول أوجه النشاط الأخرى التي يستطيع المراهق أن يبرز فيها ، فليس التحصيل الدراسي إلا وجهاً واحداً من وجوه النشاط المختلفة ، والعجز فيه لا يعنى فشلاً مطلقاً ، فقد يحقق المراهق نجاحاً كبيراً في الميادين العملية أو التجاربية ، كذلك فإن الإهتمام يجب أن يوجه إلى شخصية المراهق ككل متكامل ، وليس للجانب التحصيلي فقط ولذلك ينبغي أن نتبع له فرصة النمو العقلي والجسمي والنفسي والإجتماعي ، وأن نقدر نجاح المراهق مهما كان الميدان الذي ينجح فيه إذ العبرة بشكامل الشخصية Personality Integration .

ومن أبرز مظاهر الحياة النفسية في فترة المراهقة رغبة المراهق في الإستقلال عن الأسرة وميله نحو الإعتماد على النفس : فنتيجة للتغيرات الجسمية التي تطرأ على المراهق يشعر أنه لم يعد طفلاً قاصراً ، كما أنه لا يجب أن يحاسب على كل صغيرة وكبيرة ، أو أن يخضع سلوكه لرقابة الأسرة ووصايتها . فهو لا يجب أن يعامل كطفل ، ولكنه من الناحية الأخرى ، ما زال يعتمد على الأسرة في قضاء حاجاته الإقتصادية ، وفي توفير الأمن والطمأنينة له ، فالأسرة تود أن تمارس رقابتها وإشرافها عليه بهدف توفير الحماية له ؛ ولكنه لا يقر سياسة الأوامر والنواهي ، ولذلك ينبغي أن يشجع على الإستقلال التدريجي والإعتماد على نفسه ، مع ضرورة الإستفادة من خبرات الأسرة الطويلة ، فهو في هذه المرحلة يريد أن يعتنق القيم والمبادئ التي يفتح بها هو لا تلك التي لفتتها له الأسرة تلقائياً ، بل أنه يتناول ما سبق أن قبله عن طيب خاطر ، من مبادئ وقيم ، بالقدر والفحص ، فيعيد النظر في المبادئ الدينية والإجتماعية التي سبق أن تلقاها من الوالدين على وجه الخصوص ومن الكبار على وجه العموم ، ويبدأ يسأل نفسه عن مدى

صحتها وفوائدها . والاسرة المستنيرة هي التي تأخذ بيد المراهق وتساعد على حل مشكلاته ، وتقدر موقفه وظروفه الجديدة ، ولكن لابد من إقتناعه أنها تستهدف مصلحته ، وأن خبرته ، مهما تصورها ، فهي لا زالت محدودة ، ولذلك فلا بد أن يتقبل نصيح الآباء والأمهات والمدرسين وغيرهم من الكبار وخاصة رجال الدين .

وعلى كل حال يجب أن يتعلم المراهق تحمل المسؤولية في هذه المرحلة ، كما يجب العمل على أن يستفيد المجتمع من الطاقات الكامنة في شبابه ، كما يجب العمل تنمية قدراتهم وإزكاء مواهبهم وتوفير الفرص التي من شأنها أن تؤدي إلى نمو شخصياتهم نمواً سليماً من النواحي الروحية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية بحيث يصبح الشاب متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يحيط به .

أما التغيرات الوجدانية فتتصف بمدة الإنفعال ، حيث يغضب ويشور المراهق لأسباب تافهة ، كما يمتاز الإنفعال بالتقلب وسرعة التغير . ومرجع الانفعالات المراهق في معظمها هو شعوره بأنه أصبح رجلاً ، ومع ذلك فإن المحيطين به ما زالوا يعاملونه كطفل ، هذا إلى جانب وقوعه في طائفة العديد من الصراعات النفسية الأخرى Psychological Conflicts .

ويحكم نضج الوظائف الجنسية لدى المراهق ، فإن الميل نحو الجنس الآخر يأخذ في الظهور ، كذلك تتكون عاطفة توكيد الذات في هذه المرحلة حيث يحدد المراهق لنفسه نمطاً معيناً من الشخصية ويبدأ في الإعتماد بنفسه والثقة فيها فيهم بهندامه وبظهوره .

ويدين المراهق بالولاء الشديد لجماعة الأقران ، لأنها البديل لجماعة الاسرة التي يرغب في الانفصال عنها والاستقلال بعيداً عن تأثيرها وسلطانها .

وعما يميز الحياة الوجدانية لدى المراقق الشعور بالشك والإرتياب في القيم الاجتماعية السائدة ، ومصدر هذا الشك رغبة المراقق في التمرد على السلطة الأسرية وسلطة المجتمع ، لأنه يريد أن يبنى لنفسه قيمة ومعايير الشخصية التي تقوم على أساس إقناعه ، هو لا على أساس التلقين من الغير .

ويميل المراقق لا إلى نقد هذه القيم ، وحسب ، ولكن لقد آبائه ومدد ميه أيضاً محارلاً إيجاد الخطأ في تصرفاتهم .

وهنا نجد أن كثيراً من التساؤلات تجول وتصول في ذهنه عن أصل العالم وحقيقة الكون وجوهر الألوهية وحقيقة الرسل وغير ذلك من المسائل الميتافيزيقية العميقة

ويعتري المراقق حالات من القلق والتوتر والشك نتيجة لرفضه القيم التي سبقت أن تلقاها وقبلها قبولاً عن طيب خاطر في المرحلة السابقة ، ويظهر على هذا الحال حتى يشتهي به الأمر إلى الإيمان والوصول إلى تكوين رأى نهائى فى المشكلات التي أزعجته .

ومن الناحية الوجدانية أيضاً نجد أن حاجات المراقق تنسع وتزداد فيصبح فى حاجة إلى التقدير الاجتماعى وإلى الاعتراف به كرجل و إلى الإلتزام إلى جماعة وإلى الشعور بالثقة بالنفس .

ولكن ينبغي الإشارة إلى أنه ليس هنالك نوع واحد من المراهقة إذ تختلف المراهقة باختلاف البيئة التي يعيش فيها المراقق .

## أنواع المراهقة

الواقع أنه ليس هناك نوع واحد من المراهقة فلكل فرد نوع خاص، حسب ظروفه الجسمية والاجتماعية والنفسية والمادية، وحسب استعداداته الطبيعية، فالمراهقة تختلف من فرد إلى فرد ومن بيئة جغرافية إلى أخرى، ومن سلالة إلى سلالة، كذلك تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في وسطها المراهق فهي في المجتمع البدائي تختلف عما في المجتمع المتحضر، كذلك تختلف في مجتمع المدينة عنها في المجتمع الريفي، كما تختلف في المجتمع المترنم الذي يفرض كثيراً من القيود والإغلال على نشاط المراهق، عنها في المجتمع الحر الذي يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة، كذلك فإن مرحلة المراهقة ليست مستقلة بذاتها استقلالاً تاماً وإنما هي تتأثر بما مر به الطفل من خبرات في المرحلة السابقة، وكما قلنا، إن النمو عملية مستمرة متصلة.

وجدير بالذكر أن النمو الجنسي الذي يحدث في المراهقة ليس من شأنه أن يؤدي بالضرورة إلى حدوث أزمات للمراهقين، ولكن ذلك التجارب على أن النظام الاجتماعية الحديثة التي يعيش فيها المراهق هي المسؤولة عن حدوث أزمة المراهقة، فقد دلت الأبحاث التي أجرتها مارجريت ميد M. Mead (وهي من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية) في المجتمعات البدائية أن المجتمع هناك يرحب بظهور التوضيح الجنسي، ومجرد ظهوره يقام حفل تقليدي ينتقل بعده الطفل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة المباشرة، ويترك المراهق فوراً السلوك الطفلي ويتسم سلوكه بالرجولة كما يعهد إليه المجتمع، بكل ساطة ومسؤوليات الرجال، ويسمح له بالجلوس وسط جماعات الرجال، ويشاركونهم فيما يقومون به من حيد ورعى، وبذلك يحقق استقلالاً اقتصادياً واجتماعياً، وفرق كل هذا يسمح



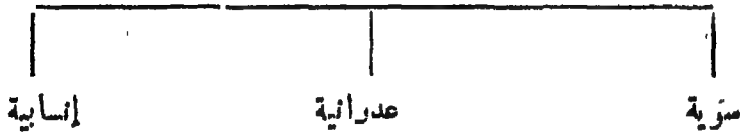
لله فوراً بلء ج وتكوين الأسرة ، ومن ثم يتمسكن من إشباع الدافع الجنسي بطريقة طبيعية . وبذلك تختفى مرحلة المراهقة فى هذه المجتمعات البدائية الحالية من الصراعات التى يقاسى منها المراهق فى المجتمعات المتحضرة (١) .

فالانتقال من الطفولة إلى الرجولة فى المجتمعات البدائية لانتقال مباشر .

أما فى المجتمعات المتحضرة فقد أسنرت البحوث على أن المراهقة قد تتخذ أشكالاً مختلفة حسب الظروف الاجتماعية والثقافية التى يعيش فى وسطها المراهق . وعلى ذلك فهناك أشكالاً مختلفة للمراهقة منها :

- ١ — مراهقة سوية خالية من المشكلات والصعوبات .
- ٢ — مراهقة إنسحابية حيث ينسحب المراهق من مجتمع الأسرة ومن مجتمع الأقران ويفضل الإنعزال والافتراق بنفسه حيث يتأمل ذاته ومشكلاته .
- ٣ — مراهقة عدوانية ، حيث يلتمس سلوك المراهق فيها بالعدوان على نفسه وعلى غيره من الناس والأشياء (٢) .

#### أنماط المراهقة فى المجتمعات المتحضرة



(1) Mead, M., and Temperament in three Primitive Societies, New York Marrow; 1935.

(٢) د. صمويل مغاريوس .. المراهق المصرى ،

## مشكلات المراهقة وعلاجها

من أبرز المشاكل التي تظهر في مرحلة المراهقة الإنحرافات الجنسية مثل الجنسية المثلية أى الميل الجنسي لأفراد نفس الجنس والجنوح ، وعدم التوافق مع البيئة ، وإنحرافات الأحداث ، من إعتداء وسرقة وهروب . وتحدث هذه الإنحرافات نتيجة لحرمان المراهق فى المنزل والمدرسة من العطف والحنان والرعاية والإشراف وعدم إشباع رغباته ومن ضعف التوجيه الدينى ، وكذلك نتيجة لعدم تنظيم أوقات الفراغ . وبذلك يجب تشجيع النشاط الترويحى الموجه والقيام بالرحلات والإشتراك فى مناسبات الساعات الشعبية والأندية . . . ومن الناحية التربوية ينبغى أن يلم المراهق بالحقائق الجنسية عن طريق دراستها علمية وموضوعية .

كذلك من المشكلات الهامة التى تظهر فى المراهقة ممارسة العادة السرية أو الإستمناء Masturbation ويمكن التغلب عليها عن طريق توجيه إهتمام المراهق نحو النشاط الرياضى والكشفي والإجتماعى والثقافى والعلمى . وتعريفه بأضرارها وينتج عن النمو السريع فى أعضاء جسم المراهق إحتساسه بالحنول والسكسل والتراخى ، كذلك يؤدى سرعة النمو إلى أن تصبح المهارات الحركية عند المراهق غير دقيقة ، فقد تسقط من يد المراهق الكوبل التى يحملها دون أن يكون ذلك نتيجة لإهمال أو تقصير ومع ذلك يلقى الكثير من اللوم والتأنيب من جانب الكبار . كثيرا ما يعترى المراهق حالات من اليأس والحزن والام الق لا يعرف لها سبباً .

فالمراهق طريقه مجتمع الكبار والصغار ، إذا تصرف كطفل سخر منه الكبار وإذا تصرف كرجل إنقذوه أيضاً ، وعلاج هذه الحالة يكون بقبول المراهق فى

بجتمعات الكبار وإناحة الفرصة للإشتراك في نشاطهم ريتحمل المسئويات التي تناسب مع قدراته .

ومن المشكلات التي تتعرض لها الفتاة ، في هذه المرحلة ، شعورها بالقلق والرهبة عند حدوث أول دورة من دورات الطمث ، فهي لا تستطيع أن تناقش ما تحس به من مشكلات من المحيطين بها من أفراد الأسرة ، كما أنها لا تفهم طبيعة هذه العملية ، ولذلك تصاب بالدهشة والقلق .

إن إحاطة الأمور الجنسية بهالة من السرية والكتمان والتحريم تحرم الفتاة من معرفة كثير من الحقائق العلمية التي يمكن أن تعرفها من أمها بدلا من معرفتها من مصادر أخرى .

ومن الملاحظ في هذه المرحلة أن الفتاة يعتبرها الخجل والحياء وتحارب إخفاء الأجزاء التي نمت فيها عن أنظار المحيطين ، وينتج عن تعليقاتهم الغير واعية على مظاهر النمو هذه وعلى التغيرات الجديدة شعور الفتاة بالحياء والخجل وميلها للإنطواء أو الانسحاب ، ولذلك ينبغي أن ينظر الكبار لهذه التغيرات على أنها أمور طبيعية عادية .

وتتماز مرحلة المراهقة بسرعة النمو الجسمي وإكتمال النضج حيث يزداد طول والوزن وتنمو العضلات والأطراف ، ولا يتخذ النمو معدلا واحدا في السرعة في جميع جرائب الجسم ، كذلك تؤدي سرعة النمو هذه إلى فقدان المراهق القدرة على حركاته ، ويؤدي ذلك إلى اضطراب السلوك الحركي لدى المراهق كذلك يلاحظ زيادة إفرازات بعض الغدد وضعف بعضها الآخر فالغدة النكفية يزداد إفرازها ، ويؤدي ذلك إلى سرعة النمو في العضلات وخلايا الأعصاب .

ومن أهم المشكلات التي يعانها المراهق الإصابة بأمراض النمر ، مثل فقر الدم ، وتقوس الظهر ، وقصر النظر ، وذلك مرجعه أن النمو السريع المتزايد في جسم المراهق ، يتطلب تغذية كاملة وصحية حتى تعوض الجسم وتمده بما يلزمه للنمو . وفي الغالب ما لا يجد المراهق الغذاء الصحي الكامل الذي تتوفر فيه جميع عناصر الغذاء الجيد ، ولذلك يصاب ببعض الأمراض . ولذلك يجب العمل على توفير الغذاء الصحي الكافي للمراهق .

أما حالات تقوس الظهر فإنها تنتج من العادات السيئة في ثني الظهر والإحناء أثناء الكتابة والقراءة ، وكذلك قصر النظر ينتج من إتباع عادات سيئة خاصة بالقراءة عن قرب ، ولذلك يجب تنبيه المراهق إلى أضرار هذه العادات ومساعدته على تجنبها .

ونتيجة لنضج الغدد الجنسية وإكتمال وظائفها ، فإن المراهق قد ينحرف ويمارس بعض العادات السيئة كالعادة السرية أو الاستمناء Masturbation ولا ينبغي أن يكون توجيه المراهق للإبتعاد عن هذه العادة قائماً على أساس التخويف والتهويل في أضرارها ، ولكن ينبغي أن يكون أساسه التبعيض المستير والإقناع والحقيقة العلمية ذاتها . كذلك يتحقق العلاج عن طريق إعلاء غرائز المراهق والتساي بها Sublimation وتحريكها إلى أنشطة إيجابية بناءة . والمعروف أن تخويف المراهق من هذه العادة يخلق عنداً نفسية تدور حول الجنس عامة .

وقد يميل المراهق في هذه المرحلة إلى قراءة القصص الجنسية والروايات البوليسية وقصص العنف والإجرام ، ولذلك يجب توجيهه نحو القراءة والبحث الجاد في الأمور المعرفية النافعة وأهمها وأنفعها التراث الديني الإسلامي والمستغلل - نزعة حب الاستطلاع لديه في تنمية القدرة على البحث والتقيب وغير ذلك من

الخوايات النافعة . ويجب الإهتمام بقدرات المراهق الخاصة والعمل على توفير فرص النمو لهذه القدرات .

ومن المشكلات الوجدانية في مرحلة المراهقة الفرز في الخيالات وفي أحلام اليقظة التي تستغرق وقته وتبعده عن عالم الواقع .

وكذلك يميل المراهق إلى فكرة الحب من أول نظرة فيقع في حب الفتاة معتقداً أن هذا حب حقيقى ودائم ، ولكنه في الواقع ينقصه الضج والإتزان ، وكثيراً ما تنتهى الزيجات التي تتم في سن مبكرة بالفشل لأنها لا تقوم على أساس من النضج الوجدانى ولا تستند إلى المطلق السليم .

كذلك يمتاز المراهق بحب المغامرات وإرتكاب الأخطاء ، ويمكن توجيه هذه النزعة نحو العمل بمسكرات الكشافاة والرحلات والإشتراك في مشروعات الخدمة العامة والعمل الصيفى .

وفي العصر الحالى ظهرت نزعات وفلسفات تتصف باللامبالاة عند الشباب . الأوروبى كما هو الحال في جماعات الهيبى وغيرها وليست هذه السلبية إلا تعبيراً عن ثورة الشباب وسخطه على المجتمع ونتيجة للنشل التربوى .

وعلى كل حال فإن المراهق يميل إلى التقليد الأعمى وإلى البدع والمودات الجديدة ، ولذلك ينبغى توجيه المراهقين عندنا وجهة إيجابية تتفق مع فلسنة المجتمع العربى وأهدافه في التقدم والرخاء وعلى هدى من تعاليم إسلامنا الحنيف . كذلك يقع على رجال الدين والثقافة والإعلام والتربية والإصلاح والقادة مسئولية تزويد المراهقين بالحقائق والمعلومات المقنعة التي تثبت إيمانهم وترسخ عقيدتهم وتحميمهم من نزعات الإلحاد والشك .

ومن الوسائل الجديدة لإشراك المراهق في المناقشات العلمية للمنظمة التي تتناول

علاج مشكلاته وتعويدة على طرح مشاكله ومناقشتها مع الكبار في ثقة وصراحة .  
وكذلك ينبغي أن يحاط المراهق علماً بالأمور الجنسية عن طريق التدريس العلني .  
الموضوعي حتى لا يكون فريسة للجهل والضياح (١) .

ويعبر الدكتور أحمد عزت راجح عن الصراعات التي يعاني منها المراهق على  
هذا النحو : —

- ١ — صراع بين مغريات الطفولة والرجولة .
- ٢ — صراع بين شعوره الشديد بذاته وشعوره الشديد بالجماعة .
- ٣ — صراع جنسى بين الميل المثيقظ وتقاليده المجتمع أو بينه وبين ضميره .
- ٤ — صراع ديني بين ما تعلمه من شعائر وبين ما يصوره له تفكيره الجديد .
- ٥ — صراع عائلي بين ميله إلى التحرر من قيود الأسرة وبين سلطة الأسرة .
- ٦ — صراع بين مثالية الشباب والواقع .
- ٧ — صراع بين جيله والجيل الماضي (٢) .

---

(١) أحمد زكي صالح - علم النفس التربوي سنة ١٩٥٤ م .

(٢) د. أحمد عزت راجح - أصول علم النفس دار الطالب سنة







## الفضائل الخمسة

### نمو الانفعالات

— الانفعال عبارة عن أى خبرة ذات شعور قوى وغالباً ما يصاحب هذه الخبرة الإنفعالية تعبيرات جسمية مثل الدورة الدموية والتنفس وإفراز العرق وفى الغالب ما تصاحب أيضاً بأفعال قهرية عنيفة أو كثيفة أو شديدة أو حادة وتعتبر الانفعالات مقابلة للهدوء والإسترخاء كما يعرفه جورج ميلر :

— أما جيمس درفر فيؤكد أن الانفعالات يعرفها علماء النفس تعريفات مختلفة ولكنهم يتفقوا بأنها حالة معقدة لدى الكائن الحى وليست حالة بسيطة .

فالانفعال يتضمن استجابات وأفعال ظاهرية وأخرى داخلية باطنية ويمكن أن يعرف أو يسهل هذا الانفعال استجابات الفرد :

— أما الجدل فيعرف الانفعال بأنه حالة معقدة من الشعور يصاحبها بعض الافعال الحركية والغدية أو أنه ذلك السلوك المعقد الذى تسود فيه المناشط الحشوية أو الداخلية .

ومن بين الظواهر التى تتعارف على أنها انفعالات الخوف والغضب والفرح والتقزز والشفقة والتعاطف ويلعب الجهاز العصبى المستقل دوراً هاماً فى الانفعالات .

وهناك بعض علماء النفس الذين ينظرون إلى الانفعالات على أنها حالات معقدة تنتج من فقدان سيطرة لحاء المخ على سلوك الفرد واستجاباته .

وإلى جانب الصعوبة المتمثلة فى معرفة طبيعة الانفعالات أو تعريفها هناك

محدوبة أخرى وقت عائقاً في سبيل قيام نظرية متقدمة في الإنفعالات تتمثل هذه الصعوبة في وجود نقص في المعطيات التجريبية الثابتة أى نقص في المعلومات الثابتة المستمدة من التجارب والدراسات العقلية المعتمدة التي يمكن إستخدامها في وضع نسق نظري دقيق يفسر الخبرة الإنفعالية

فالصعوبة الأولى تتمثل في تلك التساؤلات : ما هي الإنفعالات وما هي طبيعتها وما هو مصدر الإنفعال ولماذا ينفع الناس أى لماذا تنضب أو تشور أو تحب أو تكره وما هو جوهر هذا الحب ؟

أما الصعوبة الثانية فتتمثل في التساؤلات الآتية :

ما هي الأدلة التجريبية التي يمكن أن نستخدمها في صياغة نظرية شاملة عن الإنفعالات أما وجهه النظر الأخلاقية فإنها بعيدة عن نظريته التجريبية الصرفة. قلنا هناك اخلافاً في تعريف طبيعة الإنفعالات ولذلك سرف تعرض لمفهوم الإنفعال في ضوء مدارس علم النفس المختلفة وبذلك يحاط القارئ علماً بموضوع الإنفعالات منظوراً إليه من وجهات النظر المختلفة .

**الانفعالات في المدرسة البنائية :**

يذهب تيتكزوهو من أنصار المدرسة البنائية إلى أن الخبرة عملية عقلية أولية تمتاز بالشعور والإنفعال مثل لافعال الحب والكره والفرح وهنا ينبغي أن نفرق بين لمصطلح الشعور وبين الإنفعال ، فالشعور حالة تمثل الارتباط البسيط بين الإحساس والخو الذى يهيمن في هذه الحالة على وعى الفرد .

فالجوع مثلاً عبارة عن إحساس يضاحبه حالة وجدانية أو عاطفية هي الشعور فقد يكون جوعاً قانلاً وقد يكون شعوراً لطيفاً بالجوع ومتوقفاً وفي كلا الحالين

فإن العنصر الوجداني يضاف إلى الإحساس الصرف .

ويمكن إستخدام اصطلاح الشعور إستخدماً محدداً ليشير إلى الإحساس باللمس والخشونة والصلابة وما شابه ذلك مثل هذه الخبرات اعتبرها إدراكات حسية . وليست لإنفعالات أو مشاعر ولكنه آثار مشكلة أخرى هي كيف يمكن فصل عنصر الإحساس عن عنصر الإنفعال أو كيف يمكن التمييز بين هذين العنصرين . والإحساس يتضمن أربع عناصر بينما يحتوى الإنفعال على ثلاثة عناصر فقط .

| الإحساس    | الإنفعال   |
|------------|------------|
| ١ - كيف    | ١ - الكيف  |
| ٢ - الشدة  | ٢ - الشدة  |
| ٣ - الوضوح | ٣ - الدوام |
| ٤ - الدوام |            |

ومعنى ذلك أن الإنفعال لا يوجد فيه عنصر الوضوح ولكن يدلنا ذلك أن كلا من الإحساس والإنفعال عمليات عقلية من نفس النوع أو من نفس الطراز ذلك لأن هناك ثلاثة صفات يشتركان فيها . أى يوجد في كل منهما ولا يختلفان إلا من حيث إفتقار الإنفعال للوضوح ويوصف الإنفعال بصفات أخرى منها السرور أو عدم السرور فالإنفعال إما أن يكون ساراً أو غير سار .

ما هي وظيفة الإنفعال أو الإحساس ؟ هل هناك فوائد للإنفعالات ؟

لإحساس كما للإنفعال وظيفة في تكيف الفرد مع البيئة المحيطة به فإذا وضعت يدك في ماء دافئ فانك سرف تحس إحساساً لطيفاً . بالدفء ولكنه سرعان ما يتغير عندما تتلامم اليد مع درجة الحرارة المحيطة بها أو مع درجة حرارة المياه .

المدافئة .

= ٧٤ =

بعد إلقاء الضوء على طبيعة الإلهالات والمقارنة بينها وبين الإحساسات يهتم،  
تتميز بمسألة المنهج المعمل المستخدم في دراسة الإنفعالات ويمكن تمييز بين -  
طريقتين : -

أ - طريقة الإنطباع .

ب - طريقة التعبير .

أما طريقة الإنطباع فيعبر عنها بطريقة المقارنة المزدوجة ومعنى ذلك مقارنة -  
كل قضية بغيرها من القضايا أو كل مثير بآثاره الأخرى ونستطيع أن نسوق -  
مثلاً حسياً فإذا فرض أن كان لدينا لوناً وارداً من شخص معين أن يصنف هذه  
الالوان أو أن يرتبها حسب درجة قدرتها على أحداث الشعور بالسعادة أو عدم  
السعادة في نفسه .

هذه طريقة الإنطباع أما طريقة التعبير فتضمن قياس التغيرات الجسمية التي  
تصاحب العملية الإنفعالية . والطرق التي يذكرها تتميز ما زالت مستخدمة في  
القياس حتى الآن رغم تلك الطرق بقياس التنفس والدورة الدموية والعضلات .  
أو التغيرات التي تحدث في هذه المجالات أثناء الخبرة الإنفعالية .

أما فونت : فيصف نظريته في الشعور التي نشرها عام ١٨٩٦ بأنها نظرية -  
ثلاثة أبعاد ويرفض إمكان وصف الشعور في ضوء بعد واحد هو السرور -  
عدم السرور أما الوصف الصحيح في نظره فهو الذي يعتمد على ثلاثة أبعاد هي :

١ - السرور - عدم السرور .

٢ - التوتر - الاسترخاء .

٣ - الإثارة - الاكتئاب .

ويعترف فونت أن كل شعور يتحرك أولاً بين قطبي البعد الأول أى بين السرور وعدم السرور ثم يتحرك بين قطبي الإثارة والهبوط وأخيراً بين قطبي التوتر والإسترخاء .

لقد حازت هذه النظرية قبول الكثيرين ولكن تبتكر رفضها ويرى أنها نظرية خاطئة ويؤكد أن الشعور يختلف فقط تبعاً لبعد واحد هو البعد الذى قرره وهو السرور — عدم السرور. ويرى أن بعدى التوتر والإسترخاء والإثارة والهبوط عبارة عن إنجماحات عضلية وليست عمليات عقلية بسيطة بل أن التوتر والإسترخاء ليسا ضدّين بالمعنى الحقيقى .

فالإسترخاء عبارة عن نقطة الصفر الخاصة بالتوتر وليس الإسترخاء عكس التوتر وبالمثل فإن الإثارة والهبوط ليسا ضدّين بل أنه يزعم أن الهدوء عكس الإثارة أو الثورة وليس الهبوط أو الإكتئاب فالهدوء يقابله الثورة ويعتبر الشعور عنصرأ من عناصر العملية الانفعالية .

كيف تتكامل وتتوحد هذه المظاهر الجسمية والشعورية أو العاطفية ؟ - أن الإستجابات العضوية أو الحشوية مما هى إلا أشكال مكبرة وبجسمة لرد الفعل الشعورى أى الشعور العاطفى ونحن نعرف أن التغيرات الجسمية المصاحبة للإنفعال تحدث فى شكل سرعة دقات القلب وفى التنفس والاضطرابات فى إفرازات الغدد . هذه التغيرات إذا حدثت بصورة خفيفة فإنها تكون من خواص الحالة الشعورية . أما إذا كانت هذه التغيرات بشكل عنيف أو شديد أو كئيف فإنها تكون من خواص الحالات الانفعالية . ويعتقد تيميكيز أن الإنفعال من خصائص مرحلة بدائية من المراحل الحضارية عندما كان الإنسان يعبر عن إنفعالاته تعبيراً صريحاً

في المواقف الصعبة أما في الحضارة الحديثة فإن الإنسان يميل إلى قمع أو كبت  
لإحتياجاته الإنفعالية بحيث لا يحدث إلا التغيرات الداخلية أو الخسوية .

الواقع أنه يعتبر الإستجابات الشعورية العاطفية تمثل قلب ولب الإنفعالات  
أما الإستجابات أو التغيرات العضوية فإنها مجرد تغييرات مرتبطة بها أو يحدث  
خوارنة لها .

فالإنسان يسعى لتحقيق أهداف معينة وهو في سعيه هذا يشعر بالإنفعالات  
بمعددة مثل الفرح أو السعادة أو الغيرة أو الغضب بل أننا نشعر في حياتنا اليومية  
بالإنفعالات التي نمر بها أكثر من إدراكنا لدوافعنا فمن نشعر بالإنفعالات  
أكثر من شعورنا بالدوافع التي تكون وراء السلوك ولكن ما هو السبب  
في ذلك .

إن العمليات الإنفعالية التي تصاحب السلوك نشعر بغناها وبرائتها وقوتها في  
جمال الوعي أو الشعور الواعي كما أن خبرتنا الذاتية بالإنفعالات خبرة شخصية  
وعينية ومباشرة وشخصية .

إن الإنفعال قد يسهل السلوك . فلاعب الكرة مثلاً عندما يبدأ لعبة وهو آمل  
في النصر وتملؤه السعادة والسرور والإشراح فإنه لا شك يلعب بأقصى ما لديه  
من مهارة وطاقة . ولكن الإنفعال قد يتدخل في السلوك ويعوقه .

فالشخص الثائر الغاضب المبتلى بالعنف لا يستطيع أن يصلح الساحة أو  
يحل مشكلة رياضية في التكامل والتفاضل أو يقوم بأي عمل فكري دقيق .

والواقع أن الوصف اللفظي أو التعبير اللفظي عن الإنفعالات عملية صعبة .  
حتى حد قول سافورد أننا نعرف عن انفعالاتنا أكثر مما نستطيع أن نقرله عنها .

فنحن نمر بتجبرات إنفعالية في غاية الحيوية والقوة ونشعر بها تمام الشعور .  
ولكن وضع هذه المشاعر في عبارات موضوعية مسألة صعبة الإنفعالات  
تجبرات معقدة وليست بسيطة ولكن المعروف أن الصياغة الموضوعية هي  
الأساس الذي يساعدنا على تناول الأمور تناولا عليا . فالعلم لا يقوم على أساس  
التجبرات الذاتية . وإنما على أساس الأمور الموضوعية .

فالإفعال خبرة ذاتية ومن هنا فهو غنى وثرى وغزير المعنى وشخصى وقوى .  
وحي ولكن صعب إخضاعه للدراسة العلمية الموضوعية . فالشخص يستطيع أن  
يصف لنا الآن - خائف والآن أصبح غاضبا ولكننا لا نستطيع أن نعرف إذا  
كان الخوف أو الغضب اللذان يقرره شخص آخر هو نفس الخوف أو الغضب .  
اللذان خبرهما الشخص الأول . بل أنك نفسك عندما تقول أنك كنت غاضب  
بالأمس وأنت أنت غاضب اليوم لا تستطيع أن تجزم أن غضب الأمس هو  
عينه غضب اليوم .

وبالنسبة لتجارب الحيوان في علم النفس فإننا أيضا لا نستطيع أن ندرس .  
إنفعالات - القطة والكلب لأنهما عاجزان عن وصف انفعالاتهما ولكننا نستطيع .  
فقط دراسة التغيرات الظاهرية الخارجية المرتبطة بالإنفعالات عند هذه  
الحيوانات .

أما الإنفعال في الحيوان فعباره عن نمط سلوكي تثيره مشيرات خارجية معينة .  
فالقطة عندما يحاصرها كلب وهو غاضب نأج سوف تخفض أذنيها ثم تقبع أو  
تجثم أو تقعد أترقصاء وتزجر . وترفع ظهرها وتحرك ذيلها . وتقرباً سوف  
تتصرف كل القطط بهذه الطريقة في جميع المواقف المتشابهة والذي يساعد القطة  
على هذا السلوك هو إجهاء من المنخ يسمى هيبوثلاموس وهو من مراكز المنخ .

المستثناة عن الإنفعالات .

والواقع أن الأفعال التي تبدو لإنفعالية عند الحيوان تكون ذات صلة مباشرة بالمحافظة على الحياة ولها قيمة كبيرة في بقاء الحياة . فالقطة رأيناها محاصرة جمع الكلاب تستطيع أن تقول أنها تتصرف هكذا دفاعاً عن النفس وللمحافظة على الذات .

أما في الإنسان . خلاف لما هو الحال في الحيوان . فلا يوجد أنماط سلوكية محددة بالنسبة للإنفعالات اللهم لا انفعال الفزع . فإذا انطلق فجأة عيار نارى — مباشرة من وراء أذنك فإننا سوف نلاحظ مجموعة من الحركات الظاهرية التي تسمى بمط إستجابات الفزع .

هذه النماذج يمكن تفسيرها على أنها تعبير بدائي من أجل المحافظة على الحياة . أو تعبير غريزي وبدائي . .

أن أثر الإنفعال يعرفه مديرو الأندية الرياضية على لعب الكرة وذلك يسعون لخلق الإنفعالات المناسبة في اللاعبين قبل المباراة وبعضهم يعتمد على تشجيع اللاعبين قبل المباراة مباشرة وفي فترة الإستراحة وفي وسط المباراة وبعضهم يعتقد أن الأفضل توفير نوع من الأحداث والمناقشات في خلال الأسبوع الذي سيتم في نهايته اللعب ويمتدنون على تلك الأحداث في خلق خليط من الإنفعالات الخوف والغضب والتماؤل ولكنهم يحرصون حتى لا يتفق الفريق في نفسه أكثر من اللازم .

فكرة الباسكت لا تتطلب أيضاً الثقة الزائدة في النفس وكذلك لا يصلح فيها ذو الفولت المرتفع جداً للشمار الذي يقول أما أن تعمل أو تموت لا يصلح لهذه اللعبة .



هذا فيما يختص بالسلوك الإنساني الذي يشبه سلوك الحيوان أما السلوك العقلي  
التأملي الدقيق فإن الانفعال يعتبر من العوامل التي تعوقه فالانفعال القوي يتدخل  
في الأداء العقلي الدقيق أو الأداء الذي يتطلب قدراً كبيراً من التركيز والانتباه  
والتأزر . مثل تركيب الساعات أو الأجهزة الصغيرة والدقيقة .

#### الاستجابات الداخلية :

أن الفرد في الواقع عندما يتعرض لموقف يشير لإنفعال معين عنده فإنه يستجيب  
ككل فالإنسان يتحرك ككل ويدخل في الموقف المثير ككل أيضاً .

وكما زادت قوة الانفعال وعنه كلما اتسع إنغماس الفرد في هذا الانفعال فإلى  
جانب التهم الانفعالي والسلوك العنيف الذي يصاحب الانفعال هناك عمليات عصبية  
وفسيولوجية معقدة تصاحب الانفعال .

فما هي هذه العمليات وما هو العضو المشغول عنها ؟ .

عندما يتعرض الفرد لموقف مثير للانفعال فإن رسالة أو إشارة حسية تصل  
إلى أحد المراكز داخل الحاء المخ في هذا المراكز تقوم المشيريات العصبية بإرسال  
نمطاً أما غريزياً أو متعلماً من أنماط السلوك عن طريق إرسال رسائل عصبية إلى  
العضلات المختصة .



## الفصل السادس

### نمو القدرة على الإبداع



## الفصل الثاني

### نمو القدرة على الإبداع

« الإبداع »، هي تلك السمة التي خص الله بها الإنسان ، لتكون وسيلة في الابتكار وخلق كل ما تزخر به الحضارة الراقية عبر تاريخها الطويل .  
حضارة الإنسان وليدة تلك القدرة الرفيعة ، أو هي نتاج الجهود حثيثة من العباقرة والمبدعين الذين كرسوا حياتهم في خدمة مجتمعاتهم ، وانكبوا على البحث والفحص والتنقيب حتى كانت ثمار عقولهم فيما ينفع الناس جميعاً . ولذلك فإن أمة كأمته العربية ، تقيم نهضة شاملة ، لا بد وأن تستهدف إعادة بناء الإنسان . بتوفير أقصى درجات الرعاية لمواهبه وقدراته وإمتهاداته ، وإفساح المجال أمامه للخلق والإبداع والاختراع والابتكار وتسخير مواهبه الإبداعية في مجالات الخير دون الشر والنفع دون الضرر والبناء دون الهدم والسلام دون الحرب .

فكيف تغذي قدرة الإنسان العربي على الخلق والإبداع والابتكار والتجديد ، وكيف يمكن أي نثير أو تحريك السلوك الإبداعي في الفرد ؟ ومن هو الشخص المبدع ، أي الذي يستطيع الإتيان بالأعمال الإبداعية ؟ ثم ما هي البيئة الأممية التي تنود أفرادها إلى عالم الإبداع ؟ ثم ما هي طبيعة العملية الإبداعية وما خصائصها وهل هي قدرة فطرية يولد الفرد مزوداً بها أم أنها قدرة يتعلها الفرد ويكتسبها عن طريق المراتب والتدريب والممارسة والتأهيل والتعليم والتشجيع ؟

هذه بعض التساؤلات التي تدور حول عملية الإبداع التي هي في الواقع عملية معقدة مثابكة وأدست عمالية سهلة أو بسيطة .

## الإبداع والذكاء :

يظن البعض ، خطأ ، أن الإبداع هو الذكاء ، ولكن في الحقيقة الإبداع يختلف عن الذكاء ، وإن كان هذا لا يمنع من أن الإبداع يتطلب قدراً معيناً من الذكاء لتمكين الفرد من إحكام فهم الحقائق الأساسية والمفاهيم العامة في مجال إبداعه . كما أن هذا القدر يختلف من مجال لآخر ، فقد يكون كبيراً في مجال ما صغيراً في مجال آخر .

ففي أي جماعة ذات مستوى واحد من الذكاء نجد أن البعض أكثر إبداعاً من البعض الآخر ، وعلى سبيل المثال فلقد دل البحث أن أرباب القدرة الإبداعية العالية من علماء الرياضيات لم يحصلوا على درجات أعلى في إختبار وكسلر للذكاء عن زملائهم أرباب القدرة الرياضية المتوسطة .

كما يظن البعض ، خطأ ، أن الإبداع مساو للأصالة Originality وذلك لأن الإبداع أكثر شمولاً واتساعاً من الأصالة أو الجودة . فالأصالة أو الجودة إن هي إلا أحد عناصر الإبداعية Creativity ، فيسلوك بعض المرضى النفسيين ، أو العقليين قد يكون جديداً لم يسبقهم إليه أحد ، ومع ذلك فلا يعد من باب الإبداع ، ذلك لأنه لكي يكون لفعل أو السلوك إبداعياً لا يكفي أن يكون أصيلاً أو جديداً ، ولكن لابد وأن يخدم بعض الأغراض وأن يتفق مع بعض المحركات أو المعايير Gireterion ، كأن يكون العمل المبدع ذات معنى ومغزى وهدف إيجابي نافع .

وقد يبدو هذا الشرط كما لو كان قيداً لحرية الإنسان المبدع ، ولكن هذا الشرط هو الذي يميز في نظر العامة بين ما هو إبداع وما هو تقليد زائف .

### تعريف الابداع :

العملية الإبداعية عدة عناصر تتحددها وتوضح خصائصها . من بينها أنها تتضمن جمع عدد من العناصر في كل موحد تلك العناصر التي لا تبدو في عين الرجل العادي مترابطة أو ينتمى بعضها لبعض . جمع هذه العناصر لتكون تركيباً أو تكويناً جديداً New Compination أى جمع الأشياء المتباعدة في كل جديد متكامل أو متفاعل . فالإبداع لا يعنى مجرد جمع عناصر قديمة ووصف بعضها فوق بعض ، وإنما قد يكون رؤية جديدة لعناصر قديمة . أو استخداماً جديداً لعناصر معروفة من قبل ، أو تركيباً جديداً لعناصر قديمة لم يسبق لها أن تجمعت معاً ، كرية العلاقة بين سقوط التفاحة والجاذبية الأرضية أو إدراك العلاقة بين الغاز وضغطه . فالإختراع ليس من الضروري أن يكون جديداً في عناصره ، وإنما يكفي أن يكون تركيباً أو تكويناً جديداً لهذه العناصر على شرط أن يكون هذا نفع أو فائدة .

ولا يقتصر الإبداع على مجال العلم والتكنولوجيا ، ولكنه يظهر في الشعر والأدب والفن والفلسفة والموسيقى . وقد يتخذ أشكالاً عدة منها الأعمال الفنية الجمالية أو المسرحية أو الروائية . وقد يكون طريقة أو أسلوباً أو منهجاً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً لحل مشكلة ما .

وهناك كثير من الإختبارات وضعها علماء النفس لقياس القدرة الإبداعية على الفرد . منها ما يتطلب معرفة المفحوص للإستخدامات غير المألوفة لشيء ما ، كأن نسأله عن الاستخدامات التي يستطيع أن يفكر فيها لقالب الطوب الأحمر ، كأن يقول نستخدمها في صنع بدرة حراء أو لإغراق قطعة غير مرغوب فيها ، وأو نطلب منه أن يعدد الاستخدامات المختلفة لدبوس الأبرة . وهناك إختبارات

التناسج أو المتتبعات التي يفكر فيها المفحوص إذا حدثت بعض التنذيرات ، كأن نسأله ماذا يحدث لو لم يجر النيل في مصر . أو ماذا يحدث إذا لم يعد الإنسان قادراً على السير أو الوقوف منتصب القامة . وهناك نوع من الاختبارات يعطى فيه للمفحوص كلمة ويطلب منه أن يستخدم حروفها في ابتكار أكبر عدد من الكلمات ، كأن نعطي كلمة "سفينة" ليكون منها كلمات مثل : نفس ، فن ، سن ، سنة ، فنية ، فقى ، ثية ، سننية ، يسين ، نسي وهكذا . ونحسب درجة الفرد في الإبداع على أساس ندرتها وملائمتها . وهناك اختبارات تقوم على أساس الربط بين العناصر المتباعدة عن طريق إيجاد كلمة مثلاً تربط بين هذه العناصر وهكذا . وإن كان هناك من يشك في قدرة هذه الاختبارات في الكشف عن قدرة الفرد الإبداعية ، ويرى أنها لا تظهر إلا في المواقف العلية التي تتطلب السلوك الإبداعي .

والكن الذي يهمنا في المحل الأول هو التعرف على سمات الشخص المبدع وذلك بغية العمل على تنمية هذه السمات وإبرازها بحيث يتوفر للمجتمع أكبر قدر من المبدعين في شتى المجالات .

#### سمات الشخص المبدع :

لا شك أن الشخص المبدع شخص غير عادي، ذلك لأن الإبداع نفسه يتطلب بذل قدر كبير من الجهد مع توقع قدر ضئيل جداً من المكافأة المباشرة . وهذه سمة لا تتوفر في كثير من الناس . ولما كان الإبداع يقتضى اتخاذ موقف التحدى والتصدى للأساليب والطرق المقبولة والخاصة بالنظر للحقيقة ، فإن الشخص المبدع يقابل بالسخرية أو المعارضة . ولذا فإننا نتساءل لماذا يهتم بعض الناس بأن يصبحوا مبدعين ؟



ولعل هذا جعل بعض علماء النفس يفترضون وجود حاجة في الإنسان تدفعه إلى الجدة أو الأعمال الجديدة والأصيلة Novelty . ولقد كشفت بعض الدراسات على أن الأصالة ذات أهمية عند بعض الناس منها عند البعض الآخر الذين وجد أن لديهم حاجة إلى الخبرة المتوقعة أو الآمنة أى تلك الخبرات التي يمكن التنبؤ بها Predictable . ولكن عشق الأصالة ليس هو العامل الوحيد المميز للشخصية المبدعة . ولقد جعل هذا بعض العلماء يتساءلون عما إذا كان هناك نمط معين من سمات الشخصية Personality traits غير المبدعين . وكانت الإجابة ، بعد استقراء العديد من الدراسات ، أنه لا يوجد مثل هذا النمط ، لأن كل أنماط الشخصية من الممكن أن يكون أصحابها مبدعين Creative . وإن كان هذا لا يمنع من وجود أسلوب عام لإدراك والتفكير يميز الشخص المبدع .

ولقد أجرى معهد قياس وبحوث الشخصية بجامعة كاليفورنيا العديد من الدراسات على إمتداد سنوات طويلة ، حيث تم دراسة أصحاب القدرات الإبداعية العالية من المهندسين المعماريين والرسامين والكتاب والأطباء وعلماء الفيزياء وعلماء الحياة ورجال الإقتصاد وعلماء الأثر وولوجيا والرياضيات والمهندسين . وأسفرت هذه الدراسات عن تمييز عدد من الصفات العامة في الشخصية المبدعة من أهم هذه الصفات التفضيل الواضح للأمور المعقدة وتقديرها واستحسانها في مقابل البساطة Complexity v Simplicity . فلقد عرضت عليهم مجموعة من الرسوم والأشكال المعقدة ومجموعة أخرى من الأشكال البسيطة ففضلوا الأولى دون الثانية مما يدل على أنهم يستحسنون التعقيد Appreciation of Complexity ومن سمات المبدع أيضاً الإنفتاح على الخبرة Openness to experience :

ولقد ظهرت هذه السمة من إجابة المبدعين على بعض الأسئلة والتي منها :

ما يلي :

١ — إذا سألك البعض في صباح يوم الجمعة عما تنوى عمله في ذلك اليوم فهل :

- (أ) ستكون قادراً على أن تذكر ذلك بوضوح كبير .
- (ب) عليك أن تنظر لترى ماذا سوف تفعل (اختار هذه الإستجابة المبدعون) .

٢ — هل يصعب عليك التكيف مع :

- (أ) الروتين (اختارها المبدعون) .
- (ب) التغيير المستمر والدائم .

٣ — هل تحب :

- (أ) أن تنظم مواعيدك وحفلاتك قبلها بفترة طويلة (مقدماً) .
- (ب) أن تظل حراً أن تفعل ما يبدو ممتعاً في حينه (اختارها المبدعون)

٤ — هل أنت في أحسن أحوالك :

- (أ) عندما تتعامل مع الأمور غير المتوقعة (اختارها)
- (ب) عندما تتبع خطة موضوعة بأحكام دقيق .

وتكشف مثل هذه الإستجابات أن الشخص المبدع يكره القيود والروتين ، ويجب الحرية والتحرر والتعامل مع الأشياء الجديدة والمتغيرة وغير المتوقعة ، ما يدل على وجود نزعة نحو اكتساب الخبرات الجديدة .

ومن سمات المبدعين كذلك الحدس Intuitiveness حيث يثق المبدع في قدرته على الحدس وهو المعرفة الفجائية الظرفية أكثر من ثقته في العمليات العقلية المنطقية .

و تعبر هذه النزعة عن ذاتها من خلال تفضيلهم للكلمات الآتية عندما طلب من مجموعة منهم أن يوضحوا أى من الكلمتين من كل زوج من هذه الكلمات تروقهم أو تمجيبهم أكثر من الأخرى ( الإستجابة المفضلة لدى المبدع يوضحها وجود دائرة على الحرف الدال عليها ) .

(أ) — النظرية — ب — اليقين

أ — يبنى — (ب) — يخترع

أ — العبارة — (ب) — المفهوم

أ — الحقائق — (ب) — الأفكار

أ — المبتدع — (ب) — المجرد

أ — الأساس — (ب) — القيمة

(أ) — النظرية — ب — الخبرة

حرفى — (ب) — مجازى أو استعارى أو رمزى أو تشبى .

وتدلنا هذه الإستجابات أن الشخص المبدع يفضل النظرية العامة ويميل إلى التجربة والإختراع والإبتكار ويفضل الأفكار عن الأمور الحرفية والحقائق الواضحة . كذلك من سمات الشخص المبدع الإستقلال Independence ،  
فإن الشخصية المبدعة شخصية إستقلالية وليست إمتثالية أى لا تمتثل لآراء الغير

. NonConformity

فلقد وجد أن الشخص المبدع يقاوم ضغط الجماعة لكى يمتثل ويستجيب بحسنة عن غيره من الناس فلا يتأثر فى أحكامه بأحكام الجماعة .

### صحة العقلية :

ومن الأهمية بمكان أن تساءل عما إذا كان الشخص المبدع يتمتع بالصحة العقلية الجيدة أم لا ؟ .

لقد كانت العلاقة بين الصحة العقلية أو التكيف النفسى وبين الإبداع مشار جدال طويل بين العلماء ، لأن هناك من المبدعين من كان يعانون من بعض الأمراض العقلية ، ومنهم من كان تظهر عليه علامات الشذوذ . ولقد تم تطبيق الكثير من إختبارات التكيف النفسى على الأشخاص المبدعين وكشفت على أن هناك من بين المبدعين من يصنف ضمن فئات المرض العقلى ، ولكن كشفت أيضاً تلك الدراسات أن لديهم قدرة أكبر على الضبط السيكولوجى . وعلى الرغم من أن المبدع قد يشغل نفسه بكثير من الأفكار الشاذة وغير المألوفة إلا أنه يستطيع أن يرتد إلى المعقولة والمنطقية وأن يمارس كثيراً من النقد الذاتى Self - Criticism ولعل وجود هذا التنوع فى سمات المبدع هو الذى جعل عالمياً . شـبـلـ فـرانـك بـارون Frank Barron يقول أن الشخص المبدع أكثر بدائية وأكثر نقاعة ، أكثر هدماً وأكثر بناءاً .

### كيف يمكن تنمية الإبداعية فى الفرد ؟

أن ما يهمنى من الناحية التطبيقية ، هو كيفية تنمية القدرة على الخلق والإبداع فى الفرد ، وهذا يقودنا إلى التساؤل عن الظروف التى تؤدى إلى تغذية الإبداع فى الفرد .

وما هى الخلفية التى ينحدر منها المبدعون ؟

ومن أهم ، ولا شك ، المؤسسات التى تؤثر فى نمو الفرد وفى صقل شخصيته ، هى الأسرة التى يترعرع الفرد ويتربى فيها . لقد دل البحث أن آباء المبدعين .

كانوا يظهرزون إحتراماً غير عادى لطفلم ، كما يظهرزون الثقة فى قدرات الطفال على أن يفعل الامور المناسبة فى المكان المناسب وذلك فى معظم المواقف . ويتمتع الطفل بقدر كبير من الحرية حتى فى سن مبكرة وذلك لكى يستكشف العالم المحيط به ويسهر أغواره ويتخذ القرارات المناسبة . وإن لم يكن الطفل ملتصقاً جداً بأبويه ، ولكنه لم يكن منبوذاً Rejected . كما أنه لا يوجد إرتباط عاطفى قوى بين الآباء وبين الطفل . ولا يفلح الطفل المبدع فى التوحد أو التقمص مع شخصية أحد الوالدين ، ولكنه يتمتع بنوع غامض من التقمص أو التوحد مع كليهما Identification وقد لا يتقمص شخصية أى منها ، بل يتقمص شخصية أحد الأقارب أو شخصية عامة من خارج دائرة الاسرة . ولكن الآباء رغم هذا يؤثرزون فى سلوك الطفل ويقدمون له النموذج الذى يقتدى به . ولقد وجد أن الطفل المبدع كان يخضع لنوع ثابت من التأديب والنظام ، ذلك التأديب الذى يتوقعه وهو التأديب العادل والمعقول . ولقد نال التشجيع لإقامة معايير شخصية لسلوك . ويؤكد الآباء على نمو المعايير والقيم الخلقية تلك القيم التى تبدو متكاملة ومتناسقة . ويتعرض الطفل لثقافات غنية كما يمر بخبرات عديدة ، ولذلك يصبح الطفل وحيداً بعيداً عن أهل الجيرة خجولاً منعزلاً أو منطوياً . ويتمتع الطفل بحرية لظهار مواهبه وإهتماماته . وفى الغالب ما يكون أحد الوالدين أو كلاهما مبدعاً بدوره ؛

وتوفر هذه البيئة الاسرية التربة الخصبة لكى تنمو بذور الإبداع وسماته الشخصية الأخرى . ورغم وجود هذه السمات المبكرة فى الفرد إلا أنه يمكن تدريب الناس على التفكير الإبدعى . ويقودنا هذا إلى التساؤل هل يمكن تعليم الإبداع ؟

فالطفل الذى يعيش فى كنف بيئة غنية ثقافياً وعلمياً وتربوياً من المحتمل أن-

يشب مبدعاً ، كذلك فإن الطفل الذى يتربى على حرية التعبير عن الذات ، والذى لا يجد صدأ أو زجراً أو إحباطاً من قبل المحيطين به عندما يعبر عن ذاته ، فإنه يجد فرصة لكى ينمو مبدعاً . وتلعب القيم التى يكتسبها الطفل دوراً أساسياً فى نمو قدراته الإبداعية من ذلك قيم التكامل والإمتياز والحق والخير والجمال والعدل .

كذلك فإن مواجهة الطفل بالمشكلات التى يتطلب حلها تفكيراً إبداعياً تؤدي إلى تدريب الطفل على الإبداع . فلقد دل البحث والتجريب أن القدرة الإبداعية يمكن زيادتها وتنميتها عن طريق التدريب على ممارسة التفكير الإبداعى . كذلك تأسست الدراسة الميدانية على أنه يمكن زيادة القدرة الإبداعية عن طريق تعزيز السلوك الإبداعى وتدعيمه بتقديم المكافأة أو الجزاء لمن يقوم به . كذلك فإن تربية الأطفال على المثابرة والصبر والجدد وقوة الإحتمال وتحمل المسؤولية تؤدي إلى نمو القدرات الإبداعية وبذلك تستطيع الأسرة والمؤسسات التربوية فى عالمنا العربى على اختلاف مستوياتها كما يستطيع المجتمع أن يسهم إسهاماً إيجابياً فى خلق مواطن المبدع والمنشود .

# الفصل السابع

## نوم الأطفال





## الفصل الثاني نوم الأطفال

لقد أثارت ظاهرة النوم دهشة الإنسان منذ القدم وتعجبه ، بل أثارت حيرته وتأمله في تفسيرها ومعرفة أسبابها وكيفية اكتشاف غموضها . وحار في فهم الفرق بين حالة اليقظة والوعي وحالة النوم واللاوعي وقارن تقدماء الأجداد بين حالة النوم وحالة الموت واعتبروا النوم إختفاء مؤقتاً للروح ، واعتبروا أنها تصعد في مكان ما ثم تعود أدراجها عند الإستيقاظ . كذلك أدى إصطحاب النوم لظاهرة الأحلام إلى إثارة مزيد من دهشة الإنسان وفصله لمعرفة أسرار الحياة والموت أو الفناء والأحلام والتفكير والوعي واليقظة .

إعتقد القدماء أن الموت إختفاء كلياً للروح ، أما النوم فهو إختفاء إختفاء جزئياً ، وكانوا يفسرون الأحلام بأن الروح تترك البدن في أثناء النوم لكي تنطلق بمفردها مرحلة مسرورة بعيدة عن قيود البدن وأغلاله . والآن وقد لمبتعدت فكرة الروح في مجال التفسيرات العلية وحلت محلها تفسيرات تقوم على أساس آلية في تفسير وظائف الإنسان .

ومن تلك النظريات القول بأن جسم الإنسان يعتره التعب والإرهاق بما في ذلك جهازه العصبي ويملكه الإنهاك بعد القيام بالعديد من الأنشطة الذهنية والعضلية ومن ثم لابد أن يسترد طاقته المفقودة من ثانياً فترة من السكون أو الهدوء أو الخلود .

وهناك فرض مؤداه أن حالة التعب هذه تؤدي إلى تراكم السعوم في الجسم وهي التي تنتج بدورها من نشاط العضلات والجهاز العصبي لقد سجل بعض العلماء

وجود تفسيرات أساسية على خلايا الحاء المنخ عند الكلاب التي حرمت من التمتع بالنوم لمدة وصلت إلى أسبوع كما لاحظوا أن الكلب النائم المستريح إذا أعطى حصة من السائل المنخى الشوكى من كلب آخر محروم من النوم شعر الكلب بالرغبة الشديدة في النوم لأن هذا السائل نقل الإحساس الشديد من الكلب المحروم منه إلى الكلب النائم .

ولكن اللز المحير هو ما هو النوم ولماذا ينام الناس وكيف يمكن تفسير النوم فسيولوجيا ونفسيا وعقلياً ؟

هناك نظرية مؤداها أن وجود شحنة من الإحساسات ( السمعية والبصرية والذوقية والشمية ) هي التي تسبب حالة اليقظة . وتؤكد هذه النظرية حالة مريض كانت له أذن واحدة وعين واحدة وعندما كانتا تغلقان تماماً كان يسبح في نوم عميق لا يستيقظ منه إلا بعد رفع الغطاء الموضوع فرقها . ولكن هذه الحالة لا تكفي لتأييد هذه النظرية تأييداً كاملاً نظراً لما كان يعاني منه هذا المريض من شذوذ في قواء الحسية وفي جهازه العصبي . كذلك فإن النظرية التي تعزى النوم إلى حالة التعب fatigue لا تفسر لماذا لا ينام الناس الذين يجلسون ساعات لا يفعلون شيئاً مبدداً أقل من أولئك الذين يقومون بأعمال شاقة . ذلك لأنه إن كان حقاً النوم ناجماً عن الإرهاق فإن الناس الذين ينامون أكثر ينامون أكثر .

أما النظرية الثابتة في تحدث عن اليقظة وترى أن سببها يمكن في استقبال الحواس لحشود من المثيرات والمنبهات الخارجية ، ولكنها لا تتحدث عن النوم ذاته ، وعلى كل حال يميل العلماء في الوقت الحاضر إلى اعتبار النوم حالة خاصة لدى الكائن الحي تتميز بفترة النشاط النسبي وانخفاض الوعى أو الإدراك أو الشعور وانخفاض ( استجابة الفرد للمثيرات الخارجية كالمثيرات السمعية أو البصرية )

ولا شك أن النوم هو أعظم أشكال الراحة حيث لا تستريح العضلات الإرادية والعينين وحدهما بل يحدث هبوط أيضا في الأعضاء وفي الأنشطة الأخرى فالسورة الدموية Circulation وكذلك التنفس تنخفض معدلاتهما ويستهلك البدن طاقة أقل بدائل انخفاض معدلات عملية الأيض Metabolic rate ومن ثم فإن مزيداً من الطاقة يتوفر لعملية النمو growth أن النوم هو أحد وجهي دائرة النوم - اليقظة Sleep-wakefulness cycle هذه الدائرة هي عبارة عن نموذج موروث من التبادل بين الراحة والنشاط . في الطفل حديث الولادة يتم التحكم في يقظته عن طريق ما تحت القشرة المخية ويؤدي التعب أو الانخفاض الدائري لأنشطة هذا النظام تحت الحائي Subcortical system يؤدي إلى النوم ويتم تنظيم هذه الدائرة طبقاً لحاجات الرضيع من الطعام والماء ويسيطر عليها ساقب النوم ، ويتقدم الطفل في العمر وينضوج المحساء المخي Cerebral cortex وبتراكم وتجمع الخبرات يظهر نسق جديد يوحد أو يوائم بين فترة النوم وفترة اليقظة بحيث تطول فترات اليقظة .

وترتبط هذه الدائرة بدورة الليل والنهار وتغيرات الضوء والحرارة وبالأحوال الاجتماعية وجدول العمل اليومي تلك التي توفر إضاءة لأنشطة كالنوم والارتباطات السعيدة . ويرتبط الاستعداد أو التهيؤ الفيزيقي للنوم بانخفاض درجة حرارة الجسم في وقت معين ، ولكنه يختلف باختلاف الأفراد .

والمطلب العام على كل حال هو الانتظام في توقيت الأنشطة اليومية كالأكل والاستحمام واللعب والعمل ذلك النظام الذي يتبع في أول الأمر حاجات الطفل الفيزيكية وبعد ذلك يخضع لتكيف الطفل مع الأوضاع في الأسرة ثم الأوضاع في المجتمع الذي يعيش فيه وينمو فيه . وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة يخضع :

إلى نظام يقوم على أساس الحاجة الداخلية وخبرات الطفل. وعلى حد قول عالم النفس (جينيل) فإن الطفل يظل في حاجة إلى أن يتعلم النوم من سن الخامسة إلى سن العاشرة. وكان (جينيل) يرى أن عملية النوم عملية معقدة وتتم بعدة مراحل. كما كان يرى أن الطفل يواجه كثيراً من الصعوبات عند الذهاب إلى النوم، ويتطلب كثيراً من المساعدات من والديه. وما يزال وقت الذهاب إلى النوم يمثل بالنسبة للطفل فرحة الالتصاق بينه وبين الوالدين. وبنمو إستقلالية الطفل ربما يرفض الذهاب إلى النوم ليس من أجل مقاومة النوم في ذاتها، ولكن لفرض إرادته على الآباء. وبوصول الطفل إلى سن الرابعة عشر على حد قول جينيل وزملائه Geel فإن الطفل يتحمل مسؤولية الذهاب إلى النوم في المراحل المحددة ويقفم حاجته إلى النوم بنفسه. وبلوغه سن الخامسة عشر يصبح المفهوم الحاجة إلى النوم تأثيراً كبيراً.

وجدير بالذكر أن يدرك الآباء والأمهات أن النوم من حيث نوعه ومقداره خلال سنوات النمو يختلف من طفل إلى آخر ويختلف عند الطفل الواحد باختلاف عمره ولذلك فلا مجال لفاق الأمهات إذا لم يتبع الطفل النموذج الشائع. فبعض الأطفال يعتبر النوم بالنسبة لهم راحة كاملة، ومن ثم يستيقظون وهم يشعرون بالراحة، بينما هو بالنسبة للآخرين لا يمثل خبرة الراحة أو الإستشفاء. وقد لا يستيقظ الطفل منتعشاً بعد ليلة من النوم إذا لم تكن هادئة أو مريحة أو إذا لم يحصل على قسط وافر من النوم،

كذلك فإن الطفل لا يرقد ما كتأكلية وإنما هناك حركات تختلف من طفل إلى آخر ومن ساعة لآخرى من ساعات النوم ومن ليلة لآخرى. وبالطبع يرجع بعض هذه الحركات من النوم لفترة طويلة في وضع واحد:

وَأُخِرَ عَلَى ذَلِكَ فَالْحَرَكَاتُ تَمْنَعُ مِنْ وَجُودِ ضَغُوطٍ عَلَى بَعْضِ الْمَضَلَّاتِ وَمِنْ هُنَا  
تَقَاتُهَا تَسَاعَدُ عَلَى حَقُولِ النَّوْمِ الْمَرِيحِ وَقَدْ تَكُونُ الْحَرَكَاتُ الزَّائِدَةُ عَنْ الْحَدِّ دَلِيلًا  
عَلَى التَّجَبُّهِ .

وَتُخْتَلَفُ كَمِيَّةُ النَّوْمِ بِالْإِجْتِمَاعِ ، فَبِهِ تَقَلُّ بِتَقَدُّمِ الْفَرْدِ فِي الْعُمُرِ  
فَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ يَقْضِي مَعْظَمَ وَقْتِهِ نَائِمًا ، وَكُلَّمَا نَمَا كَلَّمَا زَادَتْ سَاعَاتُ الْبَقِيَّةِ عِنْدَهُ .  
وَحِينَ سَبِنَ مَا قَبْلَ الْمَدْرَسَةِ يَنَامُ مَعْظَمُ اللَّيْلِ وَيَأْخُذُ سَنَةً مِنَ النَّوْمِ nap صَغِيرَةً خِلَالِ  
النَّهَارِ . وَعِنْدَ الْذَهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ قَدْ تَلْقَى هَذِهِ السَّنَةُ مِنَ النَّوْمِ أَمَّا تَلْقَائُهَا أَوْ  
بِسَبَبِ الْذَهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ : وَهَنًا بَعْضِ الْمَدَارِسِ الَّتِي تُقَدَّرُ أَهْمِيَّةُ إِعْطَاءِ فِتْرَةٍ  
قَلِيلَةٍ مِنَ النَّوْمِ لِتَلَامِيذِهَا وَمِنْ ثَمَّ تَوْفُرُ لَهُمْ ذَلِكَ ضَمْنِ الْجُدُولِ الدِّرَاسِيِّ .

« وَطَبَقًا لِمَا قَرَّرَهُ « دِيسِيرْت » « Despert » ، فَإِنَّ الطِّفْلَ قَبِيلَ سِنِ الْمَدْرَسَةِ يَنَامُ  
١٢.٥ سَاعَةً مِنْ مَجْمُوعِ ٢٤ سَاعَةً يَوْمِيًّا . وَلَا يُمْكِنُ وَضْعُ قَاعِدَةٍ تَحْصِفِيَّةٍ  
لِلْأَطْفَالِ الْأكْبَرِ مِنْ ذَلِكَ إِذْ يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى تَكْوِينِ الطِّفْلِ الْفِيْزِيْقِيِّ وَالْعَاطِفِيِّ .  
وَهَذَا بِسُرْعَةِ النَّمُوِّ عِنْدَهُ ، وَجِدْوَالِ نَشَاطِهِ الْيَوْمِيِّ وَسِدَى مَا يَلْقَى مِنْ إَشْبَاعٍ  
وَاهْتِمَاحَاتٍ نَحْوِ الْحَيَاةِ : فَبِهَذَا الطِّفْلُ الَّذِي يَسْتَيْقِظُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بِذَهَابِ أَمْرَاسِهِ  
تَلْقَائُهَا وَيَسْمَعُ بِالْحَيَوِيَّةِ وَيَقْوُمُ بِأَعْيَادِ الْيَوْمِ بِكَفَافَةٍ ، وَهَذَا الطِّفْلُ الَّذِي يَحْتَاجُ  
إِلَى مَنْ يَنَادِي عَلَيْهِ وَيُلِحُّ فِي النَّدَامِ فِي الصَّبَاحِ وَالَّذِي يَجِدُ صَعُوبَةً بِاللُّغَةِ حَتَّى يَسْتَعْرِقَ  
فِي النَّوْمِ وَالَّذِي يَحْتَوِيهِ التَّجَبُّهُ وَالْإِوهَاقُ لِمَلِكُوهُ فِي يَوْمِهِ الْعَمَلِيِّ ، مِثْلُ هَذَا الطِّفْلِ  
يَحْتَاجُ إِلَى إِعَادَةِ تَنْظِيمِ جَدْوَالِهِ الْيَوْمِيِّ وَبِإِحْتِيَاجِ الْمَزِيدِ مِنَ النَّوْمِ . وَالْأَطْفَالُ  
سَرِيعُونَ الْفَوِّ يَحْتَاجُونَ إِلَى سَاعَاتِ نَوْمٍ أَطْوَلٍ : وَلِذَلِكَ يَحْتَاجُ الْمَرَاهِقُ بِكَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ  
مِنَ التَّوْنَمِ . وَكَثِيرًا مَا يَرَى هَؤُلَاءِ الْمَرَاهِقُونَ بِالسَّكْسَلِ لِأَنَّهُمْ يَنَامُونَ حَتَّى سَاعَةً  
مُتَأَخِّرَةً مِنَ النَّهَارِ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ النَّوْمُ قَدْ يَكُونُ تَعْبِيرًا عَنْ حَاجَةٍ حَقِيقِيَّةٍ . وَمِنْ  
ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ يَنَامَ الْمَرَاهِقُ مُبَكِّرًا طَالَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَيْقِظَ مُبَكِّرًا لِإِعْطَائِهِ بِمَدْرَسَتِهِ .

١٢٠

ولقد قرر جينزيل وزملاؤه أن ساعة النوم تتأخر بنحو نصف ساعة كل سنة حتى تصل إلى الساعة ١١، وذلك من واقع ملاحظته لأطفال من سن ١٠ - ١٦ سنة. وتتوقف عادات النوم لأطفال سن المدرسة على الخبرات المتراكمة من السنوات السابقة. فالتعب الطبيعي والمنقول، ولكن دون الإثارة الزائدة عن الحد، والنشاط والعادة اليومية كلها تعد أساساً للنوم الجيد.

ولذلك يقال أن الطفل يأخذ يومه معه إلى الفراش، ومعنى ذلك إشبعاته وإحباطاته تعامله مع الآباء والزملاء ومع المدرسة وقلقه ومتاعبه ومخاوفه وتوتراته وصراعاته ومشاكله، ومقدار ما حصله من أفراح وآمال.

كل هذا يحدد نوع النوم الذي سينعم به الطفل. وما يساعد على التمتع بنوع جيد تحديد ساعة للنوم ثابتة، ولكنها غير جامدة. تناول وجبات معقولة ومعتدلة، التمتع بحو من الإسترخاء قبل النوم ووجود مكان للنوم خالياً من الضوضاء وغير ذلك من المثيرات الخارجية وخاصة تلك المثيرات غير المألوفة، وتوفير عناصر الراحة، كوجود مخدع مريح وغطاء دافئ ولكنه ليس ثقيلاً وملابس خفيفة. ولكنها دافئة أيضاً يمكن تحقيق كثير من ذلك إذا كان للطفل مخدع خاص به. أما فيما يتعلق بانجاء الطفل نحو الذهاب إلى الفراش، فإنه يتوقف على اتجاهات الأسرة كلها نحو هذا. فهناك أسر لديها اتجاهات إيجابية نحو النوم، ومن ثم فإنها تغرس نفس هذا الإتجاه في نفوس أطفالها. كما أن هذه الإتجاهات قد تنبع من العلاقة السائدة بين الآباء والأطفال ومن المشاعر المتبادلة بينهم. قد تتكون الاتجاهات غير المرغوب فيها من جراء دكتاتورية الآباء الزائدة أو سلطة الآباء الأزيد من اللازم وقلة الإرشادات أو التوجيه وثقل شعور الطفل بالمسؤولية. عن سلوكه الحديث الزائد عن الأرق أو الخوف من الظلام أو الإحساس بالعقاب عند الذهاب للنوم.

ويرفض الطفل الذهاب إلى النوم إذا أحس أنه إذا فعل ذلك فلسوف يحرم من التمتع بشيء ما. فقد يشعر أنهم يخدعونه ويضعونه في الفراش بينما يظل الباقون يستمتعون بنشاطهم الليلي كشاهدة التليفزيون .

وهكذا تتضح أهمية النوم في تحقيق شعور الطفل بالسعادة والرضا والنشاط والحيوية والراحة الجسمية والذهنية ، ولذلك من الأهمية بمكان أن يتمتع أطفالنا بنوم هادئ مستقر مريح ويتطلب ذلك إشباع حاجات الطفل من الطعام والشراب . قبل الذهاب للفراش وتوفير الدفء والهدوء ، وعدم إرغام الطفل على النوم كوسيلة لعقابه حتى لا يرتبط في ذهنه فكرة النوم بفكرة العقاب ومن ثم يكره فكرة النوم ، وإنما ينبغي أن يقتنع أنه ينام لكي يستريح وأنه بذهابه إلى النوم لن يفقد التمتع بأي شيء ثمين وأن النوم يفيد في الصحة والحيوية والنشاط .

ولخلو الطفل من التوترات والالزمات والصراعات النفسية أو الآلام الجسمية قيمة كبيرة جدا في التمتع بنوم صحي سليم .

كذلك فإنه لا ينبغي تشجيع الطفل على تكوين عادة النوم أزيد من اللازم .





# الفصل الثامن

## المشي أثناء النوم لدى الأطفال



## الفضائل الشافعية .

### المشي أثناء النوم لدى الأطفال

شاهدنا على الشاشة الصغيرة مسلسل « عيون » بطولة الأستاذ فؤاد المهندس ويونس شلبي وغيرهما من النجوم . وأهم ما يلفت الانتظار إصابة الأستاذ فؤاد المهندس بحالة نفسية تعرف باسم « المشي أثناء النوم » وتذهب أحداث القصة إلى قيام المصاب بإطلاق النار من مسدس حربي على خطيب إبنته ، مع إمكانية تهديد حياة جميع أفراد الأسرة بالقتل . وقيام المصاب من فراشه واتجاهه لأخذ سيارته ثم قيادتها بسرعة جنونية وهو في حالة نوم ، ثم الصعود إلى منزل خطيب ابنته . وما أن يفتح له الباب حتى يطلق عليه رصاصات مسدسه التي كانت زوجته — حسب أحداث القصة — قد أفرغتها وأبدلتها برصاصات فارغة فلا يموت البصحية .

ومثل هذه الحالة في الواقع لا تحدث إلا نادرا ، وهي عرض من أعراض المرض النفسي وليس العقلي — الذي يعرف باسم الهستيريا . ومن بين أعراض الهستيريا الأخرى حدوث شلل في الأطراف كالأيدي أو الأرجل . وفقدان الإحساس كالسمع أو البصر .

وفي هذه الحالة يصاب المريض بما يعرف باسم العمى الهستيرى وهو عمى وظيفي فقط وليس عضويا ، بمعنى بقاء أعضاء العين سليمة من الناحية العضوية حتى حين تصاب وظيفة العضو بالخلل والعجز عن أداء وظيفتها . وفي الهستيريا يفقد الفرد القدرة على النطق أو الكلام ، وقد يصاب بالإسهال أو العرج أو الصمم

وفقدان الحركة . وقد يصاب بنوبات من الثورة والتعبج ، كذلك قد يصاب بفقدان الذاكرة كلياً أو جزئياً .

وقد ينسى الفرد اسمه وعنوانه وهويته وزوجته وأبنائه وينسى كل ماضية ومحل سكنه وقد يهيم على وجهه ويرحل إلى مكان آخر ويتخذ لنفسه اسماً آخر وهوية جديدة ويتمص شخصية أخرى فى أثناء نوبة التوهان هذه التى يهيم فى خلالها فى أماكن مختلفة .

مثل هذه الحالات الغريبة فى النفس البشرية جديرة بالدراسة والبحث وللقام الضوء عليها لما لها من خطورة على المريض نفسه وعلى المحيطين به أيضا .

وتظهر الأعراض المستيرية أكثر ما تظهر فى شكل أعراض جسمية . وكان يعتقد قديماً أن مرض المستيريا يرجع إلى اضطراب كان يصيب رحم المرأة ، ولذلك كانت المستيريا تعرف بأنها مرض نساءى ولكننا الآن نصيب الرجال والنساء على حد سواء وهى تعبير جسمى فى الغالب عن مشاعر القلق التى تعمل داخل الإنسان . وقد يلجأ الفرد أمام مواجهة مواقف الخطر والقلق إلى الإحتماء بالمرض فالجندى الذى يخشى أن يجابه ساحة القتال تجده وقد أصيب بالعمى أو الشلل حتى إذا ما نقل بعيداً عن ساحة القتال عاد إليه إصابته . وفى الواقع فإن مريض المستيريا لا يدرك المشكلة التى أدت إلى إصابته لأنها ترجع إلى عوامل مترسبة فى اللاشعور . ويطلق على حالة المشى أثناء النوم اصطلاح سوماتوبوليزم وتعنى المشى أثناء النوم والقيام أيضاً ببعض الأنشطة المعقدة ، ويطلق على هذه الحالة بالعربية أحياناً البلبول .

وإذا ما تساؤلنا عن نوع الشخصية التى تصاب بهذا العرض لوجدنا أنها تلك شخصيات تمتاز بعدم النضج ، وبشدة القابلية للإيهام والتأثير عليهم بسهولة عن

= ١٠٧ =

طريق الإيقاظ ، وتمتاز نظرتهم للحياة بأنها تتمركز حول ذواتهم ، ومعنى ذلك أنهم يعانون من الأناثية والغرور . ويمكن التخلص من هذا العرض إذا نجح الفرد في حل صراعاته ومشاعر الفشل والإحباط التي تعرض لها .

وفي أثناء النوم يقوم المريض من نومه وهو يفتح عينيه كلياً أو جزئياً ثم يبدأ بالتحرك ويتجول . وقد يصعد فوق سطح العهارة التي يقيم فيها ويمشي فوق سورها . وفي الغالب ما تكون هذه المناشط التي يقوم بها أثناء النوم رمزية في طبيعتها أي ترمز إلى ما يعانيه داخلياً من صراعات ، ومعنى هذا النشاط الظاهري ليس هدفاً في حد ذاته وليس له معنى بصورة ظاهرة وإنما هو تعبير رمزي عما يعانيه المريض من صراعات . وقد يؤدي المريض نفسه في أثناء النوم ولذلك فليس هناك ضرر من إيقاظه . ويدخل هذا العرض ضمن أعراض تفكك الشخصية الناتج عن عوامل لا شعورية . وقد تحدث هذه النوبة كل ليلة وقد لا تحدث إلا نادراً وبصورة غير منتظمة . وتبدأ هذه الأعراض في مرحلة المراهقة وتستمر إلى مرحلة الشباب والرجولة .

وإذا ما تساءلنا عن مدى انتشار هذا العرض بين الناس لوجدنا أن هناك بعض الدراسات الأمريكية التي وجدت أن هناك نحو ٥ ٪ من مجموع ١٨٠٨ طالباً مستجداً بالجامعة قرروا أنهم يمشون أثناء النوم . ومثل هذه النسبة أي ٥ ٪ بين جماعة من الأسوياء مثل الطلاب لنذير بالخطر الذي يمكن أن يتعرض له قطاع كبير من الناس بما يتعين معه ضرورة توفير الرعاية لهم وتوفير سبل الوقاية قبل حدوث الإصابة . وعلى الرغم من أن المريض يذهب إلى فراشه بصورة عادية وطبيعية إلا أنه قد ينهض من فراشه ويتجول في الحجرات الأخرى داخل المنزل وقد يغادر منزله كلية إلى الخارج .

- ١٠٨ -

وفي الغالب ما يعود ثانية إلى فراشه ثم ينام ، وفي الصباح ينسى كل ما حدث ،  
وفي أثناء النوبة تكون عينان المريض مفتوحتين كلياً أو جزئياً ومع ذلك يتجاشى  
في أثناء تجواله العقبات والعوائق المادية في طريقه ، والغريب أنه يسمح من يحدته  
وفي الغالب ما يطيع ما يلقي عليه من أوامر كالقول .. عد إلى فراشك .. وعندما  
تصبح فيه أو نهزه فإنه يستيقظ مندهشاً .. كيف وصل إلى هذا المكان ؟  
وقد يتسبب المريض في إيذاء نفسه وقد تصدمه سيارة عابرة ، وهناك اعتقاد  
شائع أنه من الخطر إيقاف المريض ولكن ليس هناك دليل علمي على صحة هذا  
الاعتقاد ، وفي الغالب ما يعاني مثل هؤلاء المرضى من اضطرابات أخرى إلى  
جانب هذا العرض .

وأما العوامل الدينامية التي تكمن وراء هذا الاضطراب ، ففي الغالب ما يكون  
هذا العرض هروباً رمزياً من بعض المواقف الصراعية . فإذا حدثت هذه  
الاعراض في مرحلة البلوغ والمراهقة ففي الغالب ما ترتبط بصراعات جنسية ،  
والصراع بين التواكل أو الاعتمادية على الغير وبين الاستقلال أو ترتبط ببعض  
المشكلات المتصلة بهذه الفترة الزمنية .

ومن أمثلة ذلك الشعور بالذنب أو الصراع أو الخوف من النبذ أو الطرد  
النتائج من ممارسة المراهق لبعض العادات السيئة كالعبادة السرية التي قد تسبب  
المراهق بالشعور باحتقار نفسه .

وبالنسبة للمشي أثناء النوم عند الراشدين ، فإنه أيضا يمثل هروباً وإن كانت  
العوامل المثيرة أو المفجرة أو المنهزة التي تجعل بحدوث الإصابة مختلفة كالخبرة  
المؤلمة التي يحدث بعدها مباشرة الإصابة . وقد يكون الخوف من توقع حدوث  
مثل هذه الخبرة المؤلمة كافياً لحدوث تلك الإصابة .

وعلى ذلك فالمشى أثناء النوم يبدو للمريض كما لو كان وسيلة للهروب من موقف يهدد حياته ويتضمن خطرا عليه . وفى أحيان أخرى يلجأ المريض أثناء النوبة إلى القيام بالأعمال التى كان يرغب فى عملها ولكن تلك الرغبة ترسبت من منطقة الشعور إلى منطقة اللاشعور بحيث تم كبئها . فلقد وجد أن مريضة كانت تنهض من فراشها لتسير إلى غرفة أمها ثم تقبلها وتعود إلى النوم ثانية . ووجد أن هذه المريضة كانت قد تشاجرت مع أمها مشاجرة حامية وعلى الرغم من أهمها يقيمان معا إلا أنهما لا يتكلمان مع بعضهما المدة زادت عن أربعة شهور .

والمشى أثناء النوم يمثل فى هذه الحالة رغبة المريض اللاشعورية فى إقامة علاقة تعاطف مع أمها ولذلك حققها فى أثناء النوم وفى وصف شخصية من يصاب بهذا المرض يقال أنه شخصية هستيرية أى تتسم بعدم النضوج والتمركز حول الذات ، وشدة القابلية والتأثير بالإيحاء وبوجود حاجات مبالغ فيها للدمعة والقبول والأمن أو الأمان . وعلى ذلك فلا يمكن أن تقتصر المعالجة على الأعراض وحدها المتمثلة فى المشى ، بل لابد من مساعدة المريض فى الوصول إلى درجة أفضل من النضوج والشعور بالثقة فى الذات والثقة فى قدراته وفى قيمته وخلق صراعاته الداخلية .

ويلزم للشفاء من هذا العرض الخطير تخليص المريض مما يعاينه من التوتّر والقلق والاضطراب ومن صراعات داخلية . وذلك باستخدام المناهج المعروفة فى العلاج النفسى ومن ذلك التحليل النفسى والتداعى الحر والتنويم المغناطيسى وتحليل الأحلام وكذلك استخدام العقاقير المنومة أو المخدرة .





## الفصل الثاني

الامن النفسى فى الطفولة



## الفصل التاسع

### الامن النفسى فى الطفولة

يتحدث الناس فى هذه الايام عما يسمونه بالامن الغذائى والامن الاجتماعى والامن السياسى والامن العام ، ولكن لم يتحدث أحد عن أم وأخطر أنواع الامن وهو الامن النفسى ذلك لأن الفرد إن كان مهدداً من الداخل لا تفاج معه كافة إجراءات الامن ووسائله الخارجية سواء كانت أمناً اقتصادياً أو غذائياً أو أمنياً عاماً ، فإن الامن النفسى أشدها خطورة وأهمية على وجه الإطلاق أو يظل الفرد مهدداً خائفاً مرتعداً فزعاً دون أن يكون هناك فى العالم الخارجى المحيط به ما يدعو إلى القلق من الناحية الموضوعية . ولذلك قيل أنه لا يقنى شيئاً أن يكسب الإنسان كل العالم ويحضر نفسه .

ولذلك فالذات أو النفس أغلى وأثمن ما يوجد فى الإنسان ، وهى التى تمثل صمام الامن والامان بالنسبة له ، وهى التى تحفظ على الفرد تماسكه وقوته ومساكنه ولذلك إذا انهار الامن النفسى للفرد صعب إشعاره بالامن مهما كانت الجهود المبذولة من أجل ذلك .

ومؤدى أن يشعر الفرد بالامن النفسى ، أن يكون خالياً من التوترات والتأزمات والأزمات من الصراعات والآلام النفسية ، وأن يتحرر من المشكلات والأزمات التى تطحنه وتبدد شعوره بالامن ، وأن يكون خالياً من الانفعالات العنيفة والحادة ، وأن يكون رافقاً من نفسه ، راضياً عنها ، ذلك لأن رضا الفرد عن نفسه أساس شعوره بالرضا عن المجتمع المحيط به .

ويقودنا هذا إلى التساؤل وكيف يمكن أن نحقق للفرد شعوره بالامن النفسى ؟

لا شك أن تكوين هذا الشعور الإيجابي في الفرد يحتاج إلى العناية به منذ الطفولة المبكرة ، فتحسن معاملته الطفل وتشعره بالثقة في نفسه ، وألا نعد إلى صده أو زجره أو حرمانه أو القسوة عليه وضربه ضرباً مبرحاً أو معاييرته ومقارنته بأقرانه من هم أكثر تفوقاً منه ، أو عدم معاملته بالتساوي مع بقية أشقائه وشقيقاته ، وإشباع حاجاته المادية والنفسية والاجتماعية بقدر ما تحتل إمكاناته الأسرية ، وتعويده على تحمل مسؤوليات بسيطة تتفق مع قدراته وإستعداداته وميوله .

وبالنسبة للشخص الراشد الكبير فإن أمنه النفسى لا يتكون من تلقاء نفسه ، وإنما هناك بعض المؤثرات التى قد تؤدى إلى إهتزازه وفقدانه ، من ذلك شعوره بالظلم والإضطهاد وضياع الحقوق المشروعة وهدرها ، وعدم احترام مبدأ تكافؤ الفرص ، وحرمانه من حرية التعبير عن نفسه ، وتهديده في مستقبله وحاضره والخط من قدره ، وعدم إشراكه في الأنشطة الإيجابية التى تشعره بقيمته وبدوره في خدمة المجتمع الذى يعيش في كنفه ،

إن اهتزاز قيم الحق والعدل والخير والجمال يؤدى إلى إهتزاز شعور الفرد بالأمن النفسى . كذلك فإن ظلام الرؤية للمستقبل تجعل الفرد يفقد شعوره بالأمن النفسى ليحل محله الشعور باليأس والقنوط والسخط والغضب حتى على نفسه ، يشعر الفرد الذى يفتقر إلى الأمن النفسى أنه يعيش وحيداً فريداً منعزلاً عن بقية الناس ، يشعر بالوحدة حتى وإن كان يعيش فى مكان يعج بالناس . لأنه وحيد حتى وسط الزحام ، لأنه يعيش منسجماً في عالمه الخاص به . لا يثق في الناس ولا يرتاح للتعامل معهم . عـلاج مثل هؤلاء يكون بتوفير الرعاية النفسية والاجتماعية لهم وتأمين مستقبلهم وحاضرهم ، ولذلك كانت صيغة زعيمنا

«المحبوب الرئيس مبارك بالإهتمام بالشباب وفتح الآفاق أمامه ليأخذ نصيبه  
العادل وفي المناصب وفي القيادة وتحريم إستئثار أرباب المعاشات بالمناصب  
القيادية إلى الأبد .

يشعر الشباب بالأمن النفسى كلما رأى العدالة مزدهرة ترفرف بأجنحتها الحانية  
فى دموع البلاد ، وكلما رأى أن صوت العدالة يعلو كل صوت ، فلا تنهم وتصرع  
أمام أرباب الواسطات والمحسوبيات وأهل السطوة والنفوذ ومراكز القوى ،  
وتقف عاجزة أمام أصحاب الملايين الذين يجمعون بين المناصب القيادية الرفيعة  
سوين الإتجار الواسع والمتنوع حتى مع المؤسسات التى يديرونها .

نظرة إلى أمن الإنسان الداخلى وإلى أمنه النفسى أهم ضروب الأمن والأمان .



## الفصل العاشر

كيف نقاوم الاحباط في الطفولة





## الفضائل العاشرة

### كيف نقاوم الاحباط فى الطفولة

٢ - . طبيعه الاحباط :

هـب أنك كنت على موعد هام مع أحد الشخصيات الهامة ، وهب أنك قبل أن تغادر منزلك دق جرس الهاتف ، وإنشغلت بمحادثة طويلة حتى أظف الموعد ، وهب أنك إندفعت بكل سرعة إلى خارج المنزل ، وصعدت لسيارتك على عجل وأدرت محركها .. ولكن دون جدوى ، فنقد كان بالسيارة عطب ما ، وحاولت . ثم حاولت .. وأخيراً فات الموعد وخرجت من السيارة غاضباً عائداً إلى منزلك .. فى مثل هذه الحالة تقول أنك تعرضت لموقف إحباط . وهو ذلك الموقف الذى يعاق فيه السلوك الذى يستهدف تحقيق هدف ما ، أو الذى يتباطأ فيه هذا التحقيق ، أو الذى يصاب بالتداخل والعرقلة .

ويستخدم علماء النفس لفظة د إحباط ، بمعنى د موقف ، على النحو سالف البيان ، كما يستخدمونه بمعنى حالة نفسية ناتجة عن إعاقه النشاط المهادف للفرد وحيث يشعر بالاضطراب والحيرة والإرباك والضيق والغضب . فالإحباط لإنفعال غير سار أو غير سعيد . والمواقف التى تتضمن تهديداً للفرد تعد مواقف محبطة وهى مواقف تتضمن مشكلات .

فصندا يشار سلوك الفرد نحو هدف ما ثم يعاق هذا الهدف فإن الإنسان يصاب بالإحباط .

### التعرض للمشكلات :

وتظهر هذه المشكلات من خلال وجود عوائق أو عقبات أو ضعف وعدم قدرة ، أو صراعات بين أكثر من هدف واحد في وقت واحد : وبداية فإن الحياة الاجتماعية والبيئة الجغرافية لا يتخلوان من العوائق التي تقف أمام الإنسان وهو في سبيل إشباع حاجاته ، فالبجار الواسعة والمحيطات ، والثلوج ، والجبال الشاهقة والصحارى الشاسعة ، تمثل عوائق تحول بين الإنسان وإشباع حاجاته . والحياة الاجتماعية مليئة بالعوائق التي تحرم الفرد من إشباع حاجاته متى يشاء وكيف يشاء ، من ذلك العادات والتقاليد والتقسيم والمثل والقوانين ، فالرئيس المُنسلط يمنع مروضيه من إشباع حاجاتهم ، والآباء والمعلمون يحدون من إطلاق الطفل وشططه في المطالب التي تلغى أو تؤجل أو تعدل . فالأب يمنع ابنه من قيادة السيارة حتى يبلغ الثامنة عشر ، والام تمنع ابنتها من وضع المساحيق حتى تتزوج ، والمعلم يمنع الطالب من العبث بأمتعة زميله والأب يمنع ابنته من الزواج من ( محمود ) لأنه لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره ، وصاحب العمل يرفض دفع أجر ( سليمان ) لأنه لا ينتج ، كل هؤلاء قد يشعرون بالإحباط .

### الإحباط من داخل الفرد :

وليس من الضروري أن ينتج الإحباط من وجود عائق أو صد أو منع خارجي وإنما يتولد الإحباط من وجود نقض في شيء هام بالنسبة للفرد فالشاب الذي يرغب في الزواج ولا يجد من تقبل الزواج منه يشعر بالإحباط ، والطفل الذي يرغب في شراء لعبة جميلة ولا يجد ثمنها يشعر بالإحباط .

وتمثل نواحي العجز في الفرد ضرباً من ضروب الإحباط وهي لا توجد في البيئة المادية أو الاجتماعية وإنما توجد في الفرد ذاته من ذلك العجز والضعف

هو الشلل أو الضعف والهرال . فقد يرغب الفرد أن يصبح مسيقاراً عالمياً أو مهندساً بارعاً أو جراحاً ماهراً أو طبيباً بارعاً أو خطيباً مفرد ، ولكن قدراته تقف دون ذلك ، فإذا وضع الإنسان لنفسه أهدافاً تتجاوز حدود قدراته كان الاحباط من نصيبه .

### الصراعات والاحباط :

وتلعب الصراعات دوراً هاماً في شعور الفرد بالاحباط . ويعبر المثل السائر القائل « إنك لا تستطيع أن تأكل الكعكة وفي نفس الوقت تحتفظ بها » عن تعارض في أهداف الفرد يقود إلى حالة الصراع ، كثيراً ما تثار دوافع متعددة داخل الفرد وفي وقت واحد ، ولكن أهدافها متضاربة ، فالطالب لا يستطيع أن يكون بطلاً رياضياً وفي نفس الوقت يحتفظ بالتفوق العلى الذي يحرزه دائماً والذي يوقله لدخول كلية الطب البشرى . والطالب الحائر على درجات عالية يكون أمام اختيار صعب لتحديد الكلية التي يلحق بها ، ولذا فهو يعاني من الصراع ومن ثم الاحباط . والفئة التي تحارب بين الزواج من شاب فقير ولكنها تحبه وبين آخر غنى ولكنها لا تحبه ، إنما تعاني من حالة صراع .

### ضرورة تحمل قدر من الاحباط :

فالاحباط من المشاعر المريرة والذي يدل على معاناة الفشل وتسيط الهمة والعزم ، ويشعر الفرد عندما يصاب بالفشل بخيبة الأمل . فالاحباط Frustration من المشاعر السلبية التي تضر بالإنسان والتي أصبح أفراد المجتمع يتعرضون لها بصورة متزايدة يوماً بعد يوم .

ويحدث الاحباط عندما يجد الفرد صداً أو منبأ أو إعاقة لنشاطه ، ومن ثم يتعذر تحقيق أهدافه أو يباق سلوكه نحو هدف ما Goal directed activity

ويطلق الاحباط كذلك على حالة الفرد الإنفعالية أو الدافعية التي تلتج لديه من التهديد وخيبة الأمل والمزمنة أو الاندحار أو الإعاقة والحيلولة بينه وبين تحقيق أهدافه وآماله وإشباع دوافعه وحاجاته النفسية أو الإجتماعية أو المادية . والاحباط شعور يعتري الفرد وقد يصيب جماعة من الناس ، وقد يرجع إلى ظروف سرمان حقيقية أو ظروف غير حقيقية حين يتخيل المرء أنه ظلم ، وأن حاجاته لا تشبع وأن حقوقه مهدورة . ويختلف الشعور بالاحباط باختلاف مستوى طموح للفرد ، كلما ارتفع مستوى طموحه كلما زاد احتمال تعرضه للإحباط والفشل .

وللشعور بالاحباط أثر كبير على سلوك الفرد وشخصيته ، ومن أبرز آثاره أنه يقود إلى العدوان Aggression وهناك ما يسمى « بفرض الاحباط » في تفسير ظاهرة العدوان ، والحقيقة أن الاحباط ظاهرة لا يمكن تفاديها نظرا لظروف الحياة الواقعية التي تحول بين الإنسان وبين إشباع كثير من دوافعه . ذلك لأن هناك بعض الأشخاص الذين يرغبون في تحقيق حاجاتهم وفهم كيفية إشباعهم دون النظر إلى الظروف الواقعية ، ولذلك تكون معاناتهم من الاحباط أشد ، لأنهم لم يتعودوا على تحمل الاحباط Frustration - tolerance .

### الطموح الزائد والاحباط :

ولذلك على الشخص السوي الطبيعي أن يواظم بين مستوى قدراته وإمكاناته وظروفه المادية والإجتماعية من ناحية وبين مستوى طموحه والأهداف التي يضعها لنفسه ، بحيث لا تنطوي على شطط أو مبالغة فلا تتسم بالإستحالة والصعوبة البالغة في التحقيق ، فالأعمى مثلا أو الأصم لا يمكن أن يطمح في مهنة الطيار أو السائق . وشباب اليوم كثير ما يغالون في رسم مستقبل حياتهم وبالمثل نجد

كثيراً من فتيات العصر يطمعن في زوج مثالي وسيارة فاخرة وقصرًا مذهلاً وثرورة طائلة وحياة زوجية حاملة تملؤها الرومانسية والأشعار المتبادلة بالمنزل العفيف وغير العفيف هـ وكثير من خريجي الجامعات - قبل التخرج - تملأ رؤوسهم خيالات المناسبات (الوزارية) وما في مستواها حتى إذا ما تخرجوا بالفعل وجابوا سوق العمالة شرقاً وغرباً وإنتهى بهم المطاف إلى العمل في أرشيف أو جمعية تعارفية أو في حديقة الحيوان .

### الإحباط والإشباع :

وعندما يصاب الفرد بالإحباط فإنه يعاني من حالة من الضيق والاضطراب أو الخلط والغضب الناتج من الفشل والمزيمة أو التهديد أو الحرمان وعدم الإشباع Non-Satisfadion الخاص بدافع معين أو الفشل في بلوغ هدف ما . وينتج عن تعرض الإنسان لكثير من مواقف الإحباط الإصابة بالقلق Anxiety وهو من الأمراض النفسية العصرية واسعة الانتشار .

ولكن ليست كل درجات الإحباط خطيرة على الحياة النفسية للفرد ، فهناك مجالات محتمة ، بل أن تعود الفرد على تحمل مواقف الإحباط تقوى عنده الذات الوسطى ، على حد تعبير نظرية التحليل النفسي ، وهي القوة الداخلية في الإنسان والتي تساعد على التحكم في دوافعه والتي تجعل سلوكه يتمشى مع المبادئ الاجتماعية ومع الواقع .

### نتائج الإحباط : تجربة الأطفال واللبث الناقص :

والإحباط نتائج آتية وأخرى بعيدة المدى ، فما الذي يفعله الفرد عندما يتعرض لموقف محبط .

تجيب على هذا التساؤل تجربة شقة أجراها أحد العلماء على عدد من الأطفال

الاصفار حيث كانوا يحضرون لمعب في غرفة خاصة تحتوى على عدد من اللعب ، ولكن أجزاء من هذه اللعب كانت مفقودة عمداً ، فالمقعد بلا منضدة ، منضدة لكرواء الملايس ولكن دون المسكواة نفسها ، سماعة هاتف دون وجود قرص للهاتف نفسه ، مركب شراعى وغيره من لعب الماء ، ولكن دون وجود الماء نفسها ، واحتوت الغرفة كذلك على كثير من الاوراق والافلام .. فإذا كانت النتيجة ؟ بعض هؤلاء الاطفال جلسوا يلعبون بشغف وفي سعادة غامرة ، لقد استعاضوا عن الاجزاء المفقودة بقدر كبير من الخيال واستخدموا الورق بدلا من الماء ولابحار سفنهم ، وأستخدموا قبضة اليد بدلا من قرص التليفون . ولكن مجموعة أخرى من هؤلاء الاطفال تصرفوا تصرفا مغايراً تماماً ، فلم يتمكنوا من اللعب بطريقة بناءة ، وعجزوا عن اللعب كنشاط مشبع ومرضى ذى معنى ، ولكنهم لعبوا بعنف مع اللعب ، وفي بعض الأحيان كانوا يقفرون فوقها ويدسرونها ، فإذا رسموا بالافلام ، كانت رسوماتهم مجرد عبث بالقلم كرسوم الاطفال الاصغر سناً منهم ، وعند حضور أى شخص كبير كانوا يشكون إليه ويلجأوا إلى البكاء والتجيب ، ولم يظهر أى واحد منهم لثباتها نحو زملائه الآخرين . ولقد نائم واحد منهم فوق أرض الغرفة وأخذ يخلق فى السقف وراح يسترجع بعض الاشعار التى حفظها فى مدرسة الحضانة ، ولم يعر أى شخص آخر أى اهتمام . وهنا تسأل الباحث عن سبب وجود هذه الفروق بين هاتين المجموعتين . وزالاح يطرح تساؤلا مؤداه : د هل كانت الجماعة الإنسانية تحت تأثير المعجانة من الإضطراب الانفعالى فى المنزل

#### Emotional disturbance at home

أو هل خضع بعض هؤلاء الاطفال لسوء المعاملة فى المنزل ؟

أطفال المجموعة الثانية يشبهون تماما أطفال المجموعة الاولى . أنهم ببساطة

انضموا إلى التجربة في مرحلة لاحقة . وأنهم يظهرون أعراض الاحباط ذلك  
الاحباط الذي تم خلق موافقه بصورة عمدية ، ولقد ظهرت هذه الأعراض على  
النحو الآتى :

بعد أن لعب الاطفال بسعادة مع نصف اللعب أو اللعب الناقصة ، كما سبق  
وصفه ، تم إعطائهم خبرة إضافية ، فلقد تم إزالة أو إبعاد شاشة معتمدة من  
وسط الغرفة بحيث إستطاع الاطفال أن يدركوا أنهم في حجرة أوسع ، وأما  
تحتوى على ليس فقط اللعب النصفية ، ولكن توجد لعب أخرى أكثر جاذبية  
واكتمالا — فيوجد في هذا الجزء من الغرفة منضدة للكرسى وقرص وجرس  
للبنائين و بركة من الماء الحقيقي للقارب ، عندما روى الاطفال تعساء جداً في تلك  
المرحلة الأخيرة من التجربة تم وضع شاشة من أسلاك بينهم وبين أرض  
الصيد ، السعيدة وحجب عنهم اللعب الكاملة وسمح لهم باللعب فقط باللعب  
المقترصة ، ولذلك كانوا محبطين .

وهنا تسأل الباحث لماذا كان موقف اللعب النصفية مشبهاً ومرتبياً في المرة  
الأولى ومحبطاً أو مسيئاً للاحباط في المرة الثانية .

تمكن الإجابة على هذا التساؤل في أن نشاط السعى نحو تحقيق المهدف كان  
مشبهاً في المرة الأولى من حيث أن هؤلاء الاطفال تمكنوا من اللعب بسعادة مع  
اللعب المتوفرة أما في المرحلة الثانية فلقد علم هؤلاء الاطفال بوحرد لعب أكثر  
جاذبية وإشباعاً وعلى ذلك فلقد نشأ مهدف جديد — في اليوم الأول أمكن  
الحصول على — المهدف بينما في اليوم الثاني فشل هؤلاء الاطفال في تحقيق  
أهدافهم . اللعب الآن مع اللعب النصفية إنما يحرم هؤلاء الاطفال من التمتع بخبرة  
ممكنة رأ برغنى وثراء ، ومن ثم فهم محبطون ومن نتائج هذا الإحباط ما يلي :

## ١ - التوتر وعدم الشعور بالراحة :

لقد أظهر أطفال هذه التجربة زيادة كبيرة في الحركة ، والتأملل والقلق والضجر وبصورة عامة اتسم سلوكهم بعدم الراحة أو القلق . واتخذت رسوماتهم شكل شجيرة ، أو د خربشة بالقلم ، وذلك لأن عضلات الطفل مشدودة ، ولأن حركاتهم كانت مهزوزة ولقد ارتبطت عدم الراحة هذه بكثير من الحركات التي تدل على عدم السعادة كالشكوى والتندب والبكاء . ولقد لوحظت عدم السعادة هذه عند ٧ أطفال من ٣٠ طفلا وذلك في موقف اللعب الحر ، ولكنها لوحظت لدى ٢٢ طفلا في حالة الموقف المحبط .

وبالنسبة للكبار ، فقد لوحظ أنهم أيضا يعانون من التوتر والقلق والإثارة ، وذلك عندما يحبطون أو يشعرون بالتهديد .

فلقد لوحظ عليهم إحمرار الوجه وأخذوا في قبض أيديهم وبسطها . ومن النتائج الخطيرة للاجباط في هذه التجربة ، أن الأطفال ارتدوا ثانية إلى سلوك مص الأصابع وقضم الأظافر ، بل أن السكين أنفسهم ارتدوا إلى إعادة قضم الأظافر وكذلك لجأوا إلى العودة للتدخين ومضغ اللبان كتنظيف أو تنفيس قلقهم .

## ٢ - التدمير أو التخريب :

من نتائج النعرض للاجباط كذلك الميل للتخريب والتدمير ويرتبط بحالة التوتر الزائدة وحركات عدم الراحة أو القلق حالة الغضب التي تقود إلى التدمير وإلى الهجمات العدوانية . فلقد أعقب حالة الاجباط كثير من الركل والحبط أو الطرق والكسر والتدمير أو التحطيم . فبينما لم يأت مثل هذه الأفعال إلاه تلاميذ في تجربة الألعاب الحرة آتاهما ١٨ طلا في الموقف المحبط من مجموع قيد دره ٣٠ طفلا .



## ٣ — العدوان المباشر :

في الغالب ما يعود الاحباط إلى العدوان ضد الشخص أو الشيء مصدر هذا الاحباط في التجربة السابقة لوحظ هجوم الأطفال على الحيز الفاصل بينهم وبين اللعب الكاملة . في مواقف اللعبة العادية ، عندما يأخذ طفل صغير لعبة من طفل آخر ، فإن الأخير يميل أن يهاجم الأول لاسترداد لعبته . وإن كان هذا الرد بالنسبة للكبار يتخذ شكل عدوان لفظي أكثر منه فيزيائياً أو مادياً . وإذا كان العائق الذي يحول بين الطفل وإشباع حاجته عائقاً مادياً فإنه يسعى لإزالته من طريقه كما يفعل في أسلوب حل المشكلات أو التفكير ، أما إذا كان هذا العائق شخصاً ما فإنه يهاجمه بالعدوان . ولكن ليست هذه هي الطريقة التي يوجه بها الإنسان الاحباط دائماً .

## ٤ — العدوان الزاح أو النقول :

يقال أن الإنسان ينقل أو يزيح انفعاله بطريقة لا شعورية ، فبدلاً من سقوط الانفعال فوق الشخص أو الشيء مصدر الغضب أو الإحباط ، فإنه ينقله إلى شيء آخر ، وذلك إذا كان المصدر الأول قوياً أو خطيراً يخشاه الفرد ، فمدير الموظف البسيط إذا أهانه أو أغضبته ، فإنه يخاف من الرد عليه وإسقاط غضبه عليه ، بل نراه يكظم غيظه في نفسه ، حتى يجد شخصاً آخر أضعف من الرئيس فأول أقل خطراً منه ، وينفجر فيه نائراً .

بالضبط كما يحدث عندما يعود الموظف إلى منزله محبطاً . فيهب في وجه زوجته لأنفه الأسباب .

أحياناً يكون مصدر الإحباط غامضاً أو غير معروف ، وأحياناً أخرى يكون غائباً ولا يمكن الحصول عليه ، أو غير محسوس .

## — ١٢٨ —

ولذلك فلا يعرف أو يجد من يهاجم ، ولذا فهو يبحث عن شيء ما يصب عليه غضبه . وعندما توصل الطرق أمام الفرد للتعبير عن عدوانه ضد مصدر الاعتداء عليه فإنه يلجأ إلى ما يسمى بالعدوان المنقول أو المزاح ، وهو عدوان ضد شخص أو شيء دبرى ، فالطفل قد يحصل على درجات سيئة في الإمتحان ، ولذا يشور أو يسب والطفل الذى يفشل فى اللعب مع أصدقاء المدرسة ، قد يعود إلى المنزل ليجذب بعنف ذيل قطته . ولقد أمكن إثبات هذا العدوان المزاح فى تجارب أجريت على الفئران . وبالطبع إذا كان موضوع العدوان الجديد يشبه إلى حد كبير الموضوع القديم فإن الفرد يجد كفا أو منعاً من ممارسة العدوان عليه تحاشياً لخطره .

### • — البلادة :

لا شك أن السلوك الإنسانى غاية فى التعقيد والغرابة ، فالأفراد المختلفون يستجيبون بطرق مختلفة للوقف الواحد . بينما الإستجابة الشائعة للإحباط هى العدوان "المنشط" أو انفصال ، هناك إستجابة هى عكس ذلك تماماً . كالبسلادة . والإميلالة أو الإنسحاب أو الإنزواء ، أى انعدام النشاط وعدم الإهتمام ، وفى دراسة على مجموعة من الأطفال تبين أن الأطفال المضطربين كانوا أجبراً تردداً فى اللجوء إلى العدوان المباشر بعد الإحباط ، بالقياس بالأطفال الأسوياء أو العاديين .

### ٦ — الخيال :

عندما تصبح المشاكل التى تواجهنا أكبر مما نستطيع أن نحتمل ، فإننا نتحدث عن الحل فى عالم الأحلام ، أى الحل على أساس من الوهم والخيال أكثر

من الإعتماد على أساس من الواقع أو الموضوعية فالأطفال عندما حرموا من المياه التي يصطادون فيها في تجربة اللعب المنقوصة لجأ بعضهم إلى تخيل أرضية الغرفة « بحيرة مملوءة » بالمياه والاسماك وأخذوا في « الصيد » منها . والشاب العربي ، قد يحلم بأنه يخرج وحصل على وظيفة راقية وأنه قد تزوج وعثر على مسكن فاخر وأصبح يقود سيارة فارهة وتجهز إلى جوارحه زوجة حسناء لطيفة . على أن الأشياء المحروم منها هي التي تصبح موضوع أحلام الفرد . فلقد وجد أن مجموعة بين الرجال فقدت إهتمامها بالنساء وبصورهن عندما تعرضوا لحاجة شديدة حيث إنزعوا صور النساء من فوق الحوائط وعلقوا مكانها صوراً لبعض الأطعمة الشبيهة والفاكهة الطازجة :

#### ٧ — النمطية في السلوك :

من الآثار النفسية التي يتعرض لها الفرد نتيجة للإحباط أن يتسم بالنمطية ، حيث يتعرف على نمط واحد متكرر ويغامد ، في الأحوال الطبيعية تحتاج عملية حل المشكلات إلى المرونة واللجوء إلى الحيل والطرق المختلفة في حالة فشل الطرق العادية في الوصول إلى الحل . ولكن عندما يتعرض الفرد للإحباط فإنه يفقد هذه المرونة في التفكير ويظل الفرد يكرر نفس السلوك الفاشل . ففي مجال التربية قد تؤدي صعوبة مناهج الرياضيات أو اللغة الانجليزية إلى النمطية في سلوك التلميذ لزمانها حتى وأن كان سلوكاً فاشلاً .

هذه لمحات عابرة لسبر أغوار الشعور البغيض : شعور الإحباط الذي يحاصر الفرد المعاصر في كثير من مراحل حياته : طفلاً ومراهقاً وشاباً وكهلاً وشيخاً ، الأمر الذي يدعونا للتفكير في مقاييمته والوقاية من أن يمتلك على الفرد رد حياته ويقسد مسعاده .

وعلى الرغم من أن جميع المؤسسات الاجتماعية أو السياسية والإقتصادية والدينية والإعلامية تستطيع أن تضرب بسهم وافز في مقاومة إحباط أفرادها إلا أن المؤسسات التربوية تقع عليها المسؤولية الكبرى في هذا الصدد ، بإعتبارها المؤسسات المهيمنة على صناعة المواطن الصالح وإعدادة وصقل شخصيته وتنميتها وتدعيمها وتحريرها من كل ما يكبل طاقتها ، وإعتبار أن تلك المؤسسات تتناول الفرد وهو ما زال طفلاً قابلاً للتشكيل ، وعقله ما زال غصاً تنقش عليه التجربة ما تشاء وإعتبار أن خبرات الطفولة تضرب بجذورها في أعماق الشخصية وتترك آثارها الدائمة فيما بعد .

ولذا نستعرض مع القارئ الكريم ما يمكن للتربية أن تقوم به لمقاومة الإحباط علماً بأن تلك الحلول المقترحة يمكن ترجيحها وتطبيقها في مختلف المجالات الأخرى التي تستطيع أن تشيع حاجات أفرادها على أسس عادلة .

### دور المؤسسات التعليمية في مقاومة الإحباط

تستطيع مؤسساتنا التربوية والتعليمية ، وقد بلغت والله الحمد ، قدراً كبيراً من التقدم والرقى ، أن تسهم في حماية طلابها من المعاناة من مشاعر الفشل والإحباط وذلك من خلال جميع العمليات التعليمية : إبتداء من نظم قبول الطلاب وإلتحاقهم بها مدهم العلية وطرق التدريس وتحديد المناهج والمقررات الدراسية وأساليب تقويم أعمال الطلاب في الإمتحانات وغيرها ومن خلال معاملة الطالب على أسس تربوية وسيكولوجية سليمة ، وعبر الإدارة التعليمية الديمقراطية ونظم التمويل والإنفاق . إن المجتمع المدرسى يمثل مجتمعاً كاملاً يؤثر في الطالب ويتأثر به ، وترك المدرسة آثارها البعيدة المدى في شخصية طلابها ، تلك الآثار التي تنتقل إلى خارج جدرانها : إلى البيئة الخارجية . ويمكن إيجاز دور المؤسسات

التعليمية فيما يلى وإن كنت أترك الخيال للقارئ الكريم وخبرته أن تلعب دورهما فى إستكمال الصور التى قد أعجز عن عرضها كاملة .

١ — تستطيع الإدارة التعليمية نفسها أن تسهم فى التخفيف من حدة مشاعر الفشل والاحباط وذلك عن طريق إتسامها بمزيد من الروح الديمقراطية فى التعامل مع المعلم أولاً ثم مع الطالب ثانياً ، ذلك لأن ما يتمتع به المعلم من حرية وديمقراطية إنما يعكسه على طلابه ، ولأن « فاقده الشئ لا يعطيه » فالمعلم المسكبل بالأغلال ، لا يمكن أن يفرس الحرية أو يمنحها فى نفوس نشئنا العربى .

٢ — ولا شك أن المعلم المحبط المثقل بالهموم والذى يعانى من الفقر والعوز لا يستطيع أن يكون هو نفسه مصدر إشباع ، ولذلك يتعين رفع المستوى المادى والعلى والمهنى والتربوى لمعلمينا وتجديد خبراتهم والإعتراف بدورهم القومى والوطنى .

٣ — ولما كان لنوع الدراسة أثراً كبيراً على حيساة الدارس ، فإن نظم القبول ينبغى أن تحقق مبدأ وضع الطالب المناسب فى مكانه المناسب ، وهو ذلك المكان الذى يتفق مع قدرات الطالب وذكائه وإستعداداته وميوله وخبراته وسمات شخصيته وظروفه المادية والإجتماعية ؛ ذلك لأن وضع الطالب فى دراسة لا تشبع ميوله ولا يجد فيها ذاته ولا يحققها من خلالها إنما يؤدى به إلى الشعور بالإحباط .

٤ — وللمناهج الدراسية والمقررات دور أساسى فى إشباع حاجات الطالب ؛ ولذلك يتعين أن تتفق محتويات هذه المناهج مع ذكاء الطالب وقدراته الجسمية والعقلية . فعلى واضعى المناهج مراعاة قدرات الدارس العقلية وعدم المبالغة لافى

— ١٣٢ —

كم المعلومات وحشدتها ولا في صعوبتها وعسرها حتى لا يشعر بالإحباط والنقص من جراء القشل في إستيعابها .

٥ — أما في قاعة الدرس فتقع مسؤولية كبرى على المعلم أو الأستاذ ، إذ يتعين عليه عدم صد الطالب أو زجره أو لومه أو تعنيفه على الإجابة الخاطئة أو الناقصة أو منعه من الاشتراك في المناقشة ، وإنما عليه أن يصحح أخطائه دون نقد لاذع أو تجريح ، وأن يبرز الجوانب الإيجابية في إجابة الطالب ، وأن يشجعه على المضى قدماً في إعداد الدروس المقبلة والاشتراك في المناقشة .

٦ — على المعلم الحديث أن يراعى ما يوجد بين طلابه من فروق فردية في سرعة الفهم والضم والامتصاص والاستذكار وأن يعامل كل حسب قدراته ، بحيث يعطى كل طالب أقصى ما عنده دون قسر أو إهمال .

٧ — ولعاملة جميع الطلاب على قدم المساواة أثر طيب في نفوسهم جميعاً ، فلا يحابى أحداً على حساب الغير ، ولا يهتم مثلاً بالإناث دون الذكور ، أو الأغنياء دون الفقراء ، ولا يقصر مناقشة مع قلة من الطلاب تاركاً الباقين ، بل عليه أن يوزع إهتمامه وعطفه على الجميع على قدم المساواة .

٨ — مراعاة عدم تكليف الطالب بواجبات تفوق قدراته الطبيعية أو تتجاوز حدود الفترة الزمنية المخصصة لانجاز عمل ما .

٩ — السير في الانتهاء من وحدات المنهج أو المقرر الدراسي بخطوات معتدلة السرعة حتى لا يلهث الطلاب أنفاسهم .

١٠ — على المؤسسات التعليمية أن تقيم الحفلات التي تكرم فيها الطلاب المتفوقين وأن تكتب أسماءهم في لوحات الشرف وتذيع نتائج نفوسهم وتمنحهم شهادات التقدير .

١١ — لا ينبغي إطلاقاً معـايـرة الطالب أو إشعاره بالنقص وعدم القبول .

١٢ — توفير جو الأمن والهدوء والإستقرار للطلاب وبسط الضبط والربط داخل أرجاء المؤسسة التعليمية ليـشـعر كل طالب بالأمان والحرية وعدم الخوف .

١٣ — عدم اللجوء إلى العقاب البدني مهما كانت الظروف .

١٤ — إلتهاج منهج المعاملة المعتدلة لجميع الطلاب ، فلا إسراف في التذليل أو الحرية المطلقة ، وترك الحبل على الغارب ولا إفراط في الشدة والحزم والصرامة والقسوة عليهم .

١٥ — العمل على إشباع حاجات الطالب بقدر المستطاع وفي حدود الامكانيات المتاحة ويمكن إقتراح توحيد الزى المدرسي والجامعي حتى لا يشعر الفقراء من الطلاب بالاحباط .

١٦ — جعل الحياة المدرسية مليئة بالحيوية والنشاط المتنوع والمحـب للطلاب بحيث يجد كل ما يـوـاه كالأنشطة الرياضية والكشفية والجـوالة والرحلات والرسم والنحت والتصوير والتمثيل وقرض الشعر وكتابة المقالات والخطابة والإذاعة والزراعة وجمع الطوابيع والعاديات والآثار وما إلى ذلك .

١٧ — إشباع حاجات الطالب ، وهي متعددة ومتنوعة ، ومنها الحاجات الفيزيائية كالحاجة للعظام والشراب والدفع ومنها الحاجات النفسية والاجتماعية كالحاجة إلى الأمن والأمان والحاجة إلى الإحترام والقبول الإجتماعي

- ١٣٤ -

والحاجة إلى الشعور بالإلتزام والحاجة إلى الإعتراف وإلى إحترام الذات وتقديرها،  
والحاجة إلى تأكيد الذات وإثباتها وتحقيقها والحاجة إلى إكتساب العلم والمعرفة.  
وما إلى ذلك .

وبذلك تصبح المؤسسة التعليمية واحة يجد فيها الظأآن ماء والجائع غذاء.  
والهاجع آمناً والمحبط إشباعاً .



## الفصل الحادى عشر

عملية التسمى او الإعلاء



## الفصل الحادى عشر

### عملية التسامى أو الإعلاء وبناء الإنسان العربى

هى تلك التى بموجبها يرتفع الإنسان إلى مصاف الملائكة ويرتقى سلوكه إلى أعلى مراتب الإنسانية سموا ورفعة وبلا هى تلك العملية التى تحفظ على الإنسان إنسانيته ، ولولاها لانحدر سلوكه إلى مراتب الحيوان الاعجم ، حيث ترتفع بدوافعه وقواه من السلوك البدائى أو الحيوانى أو الشهوانى المحض إلى قنوات السلوك الإنسانى الراقى والمتحضر ، والملتزم والذى يفيد منه الفرد والجماعة .

فعملية الإعلاء أو التسمى Sublimation هى واحدة من الاليات أو الحيل الدفاعية defense mechanism التى يستبدل فيها الإنسانية تلك الدوافع البدائية أو الحيوانية أو العدوانية الفجة ، أى تلك الدوافع غير المقبولة لاجتماعيا وخلقياً ، يستبدلها بأشكال راقية ومقبولة من السلوك المتحضر الذى يقبله المجتمع ، وتنطبق أكثر ما تنطبق على الدوافع الجنسية ، ولاسيما فى مرحلة المراهقة Adolescence هذه الحيلة الدفاعية تساعد الإنسان على إشباع دوافعه وحل مشكلاته ومن ثم خفض حدة التوتر عند Tension دون أن يكشف لنفسه أو للثمافة التى يعيش فى كنفها عن تلك الدوافع التى لا يرضى عنها هو أو مجتمعه وهنا يستبدل الاهداف التى لا يقبلها ولا يوافق عليها المجتمع بأخرى يقبلها ويوافق عليها . أى إلى الأنشطة التى تقود إلى النجاح وإلى التوبدلا من الفشل والاحباط فالدوافع غير المقبولة لاجتماعيا تجد لنفسها منافذ فى أشكال مقبولة لاجتماعيا .

فادافع الجنسى إذا لم يشبع طبيعيا عن طريق الزواج أمكن اعلائه إلى كتابة

الخطابات العاطفية أو إلى قنوات من الشعر والأدب أو الرسم والتصوير أو النحت والمثالة . وهنا يصبح الدافع مقنعاً حيث يجد طريقاً للتعبير عن ذاته . فدافع العدوان عند المراهق مثلاً إعلائه إلى النشاط الرياضى أو السكشفي حيث يمتص هذا النشاط المشروع والمقبول لإجتماعها الطاقات الزائدة فى المراهق وبدلاً من استخدام هذه الطاقة فى التخريب يستخدمها المراهق فيما يؤدى إلى صقل شخصيته ونموها وتربيتها على الطاعة والإلتزام والتعاون والأخذ والعطاء وغير ذلك من القيم التى ترسخها وتوصلها الأنشطة الرياضية كقبول الهزيمة بروح رياضية وعدم الغرور عند الإلتصار . وبالمثل يمكن إعلاء دوافع حب الإستطلاع من التجسس حول الأمور الشخصية للناس إلى البحث والتنقيب واكتساب العلم والمعرفة وإجراء التجارب والبحوث وكتابة المقالات وما إلى ذلك من الأمور التى تشبع حب الإستطلاع فى الفرد وفى نفس الفرد تنمى المهارات العلمية والمعرفية .

هذا هو فحوى النظرية أما التجارب الحقلية فتدل على أن الدافع المستبدل لا يزول كلية وإنما له رواسبه وبقاياه فالدافع الجلسى لا يمحوه د فرص الشعر ، وبالمثل فإن دافع الأمومة لا يغنى عنه تماماً العناية بأطفال الجمعيات الخيرية .

ووفقاً لما تنطوى عليه الشخصية الإنسانية من الديناميكية والمرونة والحركة والتفاعل ، وتأثر كل عملية من عملياتها بكثير من العوامل — فإن عملية الإعلاء تساعد فى التخلص من عقدة « أوديب » عند الطفل الذكر وعقدة « إلكترا » عند الإناث . حيث يكبت الطفل الذكر شوقه إلى أمه وينمى عاطفة الحب الطيبى نحوها بينما يعيد توجيه طاقته نحو أنشطة أخرى كالرياضة أو الألعاب . ونـ . المجالات التى تصلح لكى توجه إليها شبابنا الأنشطة الترويحية والرحلات وارتداد أماكن العبادة والإشتراك فى النوادى ومشروعات الخدمة العامة كجمع التبرعات للعجزة والأيتام والشيوخ والمرضى والإشتراك فى نظافة الحى أو فى أسبوع

المرور والتطوع في خدمة المرضى ، والإسهام في مشروعات نحو الامة وتشجيع الهوايات في التمثيل والبستنة والرسم والنحت والتصوير والخطابة وقرض الشعر أو في الإشتراك في معسكرات العمل الصيفية وإقامة الحفلات والاشتراك في نظافة المدارس والمعاهد والجامعات والحفاظ على مرافقها العامة .

ويستخدم الإعلاء أو التسمي في علاج كثير من حالات الإضطراب والأمراض النفسية حيث يستخدم لإيجاد منفذ أو مخرج أو طريق لتصريف طاقات الفرد الخبيسة وخفض حدة التوتر والقلق عنده ، ذلك لأن عقاب المراهق مثلاً على سلوكه العدواني لا يجدى نفعا ، طالما كان السبب الذي يكن وراء هذا العدوان غير معروف ، كذلك فإن الوعظ والإرشاد اللفظي قليل الأثر في سلوك المراهقين . أما إعلاء الطاقات فهو وسيلة ناجحة لتقويم السلوك وتوجيهه نحو القنوات الشرعية المفيدة في حياة الشاب اليومية . فالرجل الذي يفقدن وجهته بدلا من الوقوع فريسة هزيلة لآلام الوحدة القاسية نجده ينخرط في لعب الجولف أو ما إلى ذلك ، والطالب الذي يفشل في الإمتحان قد يهتم بجمع الطوايح والعاديات . ومن خلال ممارسته الأنشطة المحبوبة يشعر الإنسان بقيمته وبوزنه وبدوره في المجتمع بدلا من أن يتجرع مرارة الفشل والاحباط والعزلة والركون إلى مشاعر النقص والدونية .

بل أن علماء النفس التحليليين الأوائل كانوا يعتقدون أن العلم والفن يعد مخرجا أو منفذا للدافع الجنسي المحبط ، ولكن تبين أن العلماء والفنانين لديهم هذا الدافع بصورة طبيعية وأنه لا يتحول كلية إلى هذه العمليات العقلية العليا التي يحتاج إليها العمل في العلم والفن . ولا شك أن للعلم والفن أهمية وجاذبية خاصة بهما دون أن يدفعنا لاهيهما دافع محبط أو سدت الأبواب في طريق إشباعه .

وتخضع عملية الإعلاء للسلوك العذواني أو سلوك المقاتلة مثلاً تخضع إلى عدد من القواعد والإجراءات كما يحدث ذلك فى القواعد المفروضة على لعبة الملاكمة أو المصارعة بحيث ياتزم اللاعب بها وقد يتحول السلوك الجسدى إلى بدائل عقلية محضة . على كل حال نظرية التسمى لا تنجو من النقد وخاصة فيما يتعلق بالدوافع النفسيةولوجية فى الإنسان التى لا تنجح كلية فى إمتصاص طاقتها الزائدة وإنما تنجح فى إشباع دوافع أخرى بديلة .

يتضح للقارىء الكريم أن عملية الإعلاء تشبه إلى حد كبير عملية التعويض . ولكن عملية الإعلاء يقصد بها تنقية أو تصفية أو غربلة Refinement الطاقة الجسمية والعقلية والإنفعالية وإعادة توجيهها الوجهة الصحيحة وخاصة من المنافذ البدائية Primitive إلى منافذ غير وراثية أو غير نظرية ولكنها جديدة ومكتسبة أو متعلمة . وتتدخل هذه العملية فى تعديل طريقة إشباع الدوافع الفطرية وجعلها طرقاً حضارية كالتزام الطفل بإشباع قواعد وآداب المائدة أو انتظار الشباب حتى يتزوج ويشبع دوافعه وفقاً للتقاليد والعادات والأعراف . وتلعب الألعاب العقلية ، الشطرنج وما إلى ذلك دوراً فى توجيه الطاقة الذهنية إلى منافذ مسالمة وكذلك القراءة فى القصص والروايات .

هذه عملية التسمى أما عن كيفية دراسة أثرها عند الشباب مثلاً ، فيمكن توفير مجالات من الأنشطة الرياضية والكشفية والعلمية لجماعات من الشباب ، وترك جماعات أخرى منهم عمالة دون أن تحظى بممارسة هذه الأنشطة وبعد ذلك يمكن إجراء دراسة مقارنة على مدى شعور كل مجموعة منها بالإحباط ومدى وجود الدوافع التى تم إستبدالها لدى المجموعة التجريبية ، وذلك للتحقق من أن المجموعة التى وجدت فرصة سانحة للإعلاء تعانى أقل من غيرهما من القلق والإحباط والتوتر .

ولاشك أن مؤسساتنا الترويية فى عالمنا العربى تستطيع أن تقوم بدور أساسى وفعال فى تحقيق تسمى أو تصعيد أو الإرتفاع بدوافع الطلاب ونفقاتها من صورتها البدائية أو الشهوانية أو العدوانية الفجة إلى صوراً أكثر رقىاً وتحضراً وذلك عن طريق إشراك الطلاب فى النشاط الرياضى والتروييحى والترفيهى والكشفى والقيام بالرحلات العلمية والإستكشافية وإشراكهم فى الندوات والمناظرات وتوفير الفرص أمامهم لتنمية مواهبهم فى الشعر والتمثيل والنحت والتصوير ، والإشتراك فى مشروعات خدمة البيئة وإجراء البحوث والمطالعات وكتابة المقالات وتنظيم المباريات والحفلات والمسابقات الثقافية والأدبية والعلمية وإشراكهم فى حل مشكلات البيئة المحلية وغير ذلك مما يتمتع فائضى الطاقة عندهم ويصقل شخصياتهم وينميها ويغرس فيهم قيم المواطنة الصالحة وآداب الدين الإسلامى الحنيف ويركز الشعور بالإعتزاز بالإبداع العربية الخالدة .





## الفصل الثاني عشر

### ترشييد النـمـو الخـلقـي



## الفصل الثاني عشر

### ترشيده النمو والخلق

لعل النمو الروحي والخلق هما أهم أوجه النمو على وجه الإطلاق في شخصية الإنسان ، ذلك لأن الدين عاصم من الدلل وسبيل إلى الهداية والرشاد والتقوى والإصلاح الإجتماعي والفردى . ولذلك فلا يغنى أن يكسب الإنسان العالم كله ويحسر نفسه . وإذا إنهار صلاح الأخلاق في المجتمع فقد إنهار كل شيء منها بلخ المجتمع من القوة المادية .

#### مفهوم الاخلاق :

وينبغى تحديد المقصود بإصطلاح ، الإخلاق ، Morality فهل الإخلاق هي ما يقرره المجتمع حتى ولو كان خصاً ؟ أم أن الأخلاق هي ما يعتبره الفرد عدلاً justice وشذقة kindness وإيثاراً Alturism وما إلى ذلك من القيم الخلقية المطلقة ؟ لا شك أن مفهوم الأخلاق ، كمفهوم تابع عن المجتمع ، هو مفهوم دينامي في طبيعته ، بمعنى أنه يتغير من جيل إلى جيل ومن إجتمع إلى آخر ، وينمو ويتطور أو يتعدل ويتحسن أو يسوء :

ويعرف هادفيلد J. Hadfield الأخلاق فيقول :

« هناك معنيان عريضان لمصطلح « الأخلاق » أحدهما بمعنى الامتثال Conformity لمعايير المجتمع Norms or mores وعاداته ، والمعنى الآخر هو إتباع الغايات والأهداف الصحيحة (1) .

(1) Hadfield, J childhood and Adolescence, Penguin Books, 1964 p. 141.

النوع الاول : يجعلنا آليا نتبع العادات ونتمثل للسلوك الجماعى ، ونزعى التقاليد الاجتماعية ، وطبقاً للمعنى الثانى ، فإن الغايات الصحيحة كالكرم والولاء والامانة تعد خيرة فى ذاتها ، وينبغى إتباعها بصرف النظر عن عادات المجتمع ومعاييره (١) .

والاخلاق بمعنى الامثال لقيم المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر ، فما هو خير فى مجتمع قد يكون شراً فى مجتمع آخر .

ويستخدم أحياناً مصطلح الخلق Character ليعنى السلوك الخلقى Morol behaviour ، ولكن مصطلح الخلق يشير إلى درجة التنظيم الخلقى الفعال لكل قوى الفرد . ويشير إلى الاستعداد النفسى فى الدائم الذى يقع البواعث تبعاً لمبدأ تنظيمى معين .

ومعنى هذا الإشارة إلى الاخلاق Morality كخلق داخلى يكن فى داخل الفرد نفسه .

وهكذا نرى أن مصطلح الخلق يشير إلى سمات الشخصية أكثر من إشارته إلى الاخلاق التى تتضمن قوة إرادية كافية لتوجيه السلوك نحو نوع ما من القيم . وتهتم الاخلاق بنوع خاص بقوى الفرد الإرادية وأهداف كفاحه وإتجاهاته (٢) .

- 
- (١) راجع كتاب « علم النفس ومشكلات الفرد » منشأة المعارف بالاسكندرية لمعرفة الإتجاهات المختلفة فى تحديد السواء والإنحراف ، ( للمؤلف ) .
- (٢) يختلف معنى الاخلاق بالمعنى السلوكى كمعادات فردية وجماعية من الاخلاق بالمعنى الفلسفى ethyics أو كعلم الاخلاق .

ويقصد بكلمة الأخلاق من الناحية السلوكية العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما ، وعلى ذلك فالقيم الخلقية تختلف من مجتمع إلى آخر ، كما تختلف في نفس المجتمع من عصر إلى آخر ، وتختلف في نفس المجتمع وفي نفس العصر باختلاف الطبقات الاجتماعية . فالمبادئ التي تصلح للمجتمع الإشتراكي لا تصلح للمجتمع الرأسمالي . كذلك أخلاقيات المجتمع الديمقراطي تختلف عن أخلاقيات المجتمع الديكتاتوري ، والفرد الذي يعيش متكيفاً في مجتمع رأسمالي يصبح غير متكيف إذا ما نقل إلى مجتمع شيوعي مثلاً ، وطبقاً لوجهة النظر « الإمتثالية » ما على الفرد إلا أن يقبل قيم الجماعة التي ينتمى إليها حتى يعيش في سلام ووثام معها ، ولكن رغم وجود هذه الفروق الثقافية في مفهوم الأخلاق إلا أن هناك بعض المبادئ الخلقية ( المطلقة ) العامة التي تصدق في كل مكان وزمان ، ومنها الصدق والأمانة والولاء ... الخ .

ويعرف الخلق بأنه تكامل العادات والإتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الإستقرار والثبات ، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل (١) . فالنمو الخلقى لدى الطفل يسير من مجرد رغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادئ الخلقية والاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الطفل .

وبتقدم الطفل في العمر تتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجية أى صادرة من الخارج ، من الآباء والأمهات والمدرسين إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل ويتكون هذا الضمير عن طريق امتصاص قيم الآباء وإكتسابها وبذلك تصبح معايير الطفل نفسه .

---

(١) دكتور فؤاد البهى "السيد، الامس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة دار الفكر الجامعى العربى بالقاهرة / ١٩٦٨ م

ويقودنا هذا الموضوع الى التساؤل ايها تصبح له القيمة العليا والمطلقة  
الفرد أم المجتمع ؟

في ضوء الخبرات المستمدة من المجتمعات الديمقراطية والديكتاتورية يتضح ؛  
أن الأمل الوحيد في الإصلاح والتقدم يكن في النشاط الحر لأعضاء المجتمع  
وإتباع مبادئ الشورى وليس هناك ضرورة لإتخاذ موقف دون آخر في أيهما  
تكون له السيادة : الفرد أم المجتمع ، إذ الواقع أنهما يعتمدان على بعضهما البعض  
وهناك علاقة تفاعل قوية بين الفرد والمجتمع . فصالح المجتمع من صلاح أفراد  
وصالح الأفراد يؤدي إلى صلاح المجتمع برمته .

ومن الناحية السيكلولوجية فإن مفتاح الأخلاق هو شعور الفرد بالواجبات .  
والإلزام في كل من الفكر والعمل .

وعلى ذلك فإن السلوك الذي يقوم به الفرد خوفاً من عقاب المجتمع ليس خلقياً  
بالمعنى السيكلولوجي ، ويصبح خلقياً عندما يصدر عن شعور الفرد بالواجب أو  
الولاء أو اللطف أو الشفقة أو الرحمة أو الحب أو الشرف أو البر والإحسان .  
والتقوى ، وغيرها من الإنفعالات المشابهة . ولكن هذه الإنفعالات ليس من  
الضروري أن تكون صحيحة إجتماعياً ، ذلك لأنها قد تنشأ أصلاً عن الأخطاء  
التي يرتكبها المجتمع ضد أفراد .

ولا يمكن قبول الافتراض أن الإنسان خير محض أو شر محض ، إنما تسود  
آراء الكثرة من العلماء بأن في الإنسان الشر والخير معاً ( ولقد هديناه  
النجدين ) ، وتفتح هذه الفكرة الآفاق واسعة أمام المجتمع ومنظمااته  
التربوية لتحمية الجوانب الخيرة في الإنسان وسيطرتها على جوانب الشر فيه ،  
وتلعب الأساليب التربوية دوراً هاماً في توضيح مفاهيم الخطأ والصواب ؛

وخاصة لدى أولئك الذين يمتريهم الخاط و عدم القدرة على التميز بينها فكثير من الناس ، وخاصة الشباب يقفون موقف الحذيرة إزاء الإرشاد من قبل الكبار من ناحية وسلوكهم الفعلي والعمل من ناحية أخرى ، على أن بمجرد المعرفة النظرية بالخير أو الشر لا تتضمن بالضرورة عمل الخير. المهم هو الإرادة التي تفعل الخير وتجنب الشر ( إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرى ما نوى ) إلى جانب ضرورة توفر الإمكانيات البيئية والإنفعالية والجسمية لممارسة الخير. وجد أن قوة الإرادة تتأثر بتعاطى الفرد بعض العقاقير (١) . ويقسم بعض العلماء الناس إلى أنماط أخلاقية معينة .

#### الأنماط الخلقية :

يصنف الناس أحياناً إلى أنماط خلقية مختلفة تبعاً لنوع الاخلاق الذي يتبعونه :

١ — النمط النفعى The expedient type وفيه يسلك الفرد فقط سلوكاً خلقياً على أغراضه الذاتية :

٢ — النمط الإمتثالى Conforming type وهو النمط الذى يفعل صاحبه ما يفعله الآخرون ، وما يقولون أنه ينبغى عليه أن يعمل .

٣ — النمط العقلى أو النمط ذو الضمير الحى

The rational or Conscientious type

وله معايير الخاصة الداخلية فى الصواب والخطأ .

---

(1) Johnes, V. Chorcter development in children : an objective approach, in Manual of child Psychology, ed, By, cornic-hael, L.p. 821.

وتبعاً لهذه المعايير يحكم على تصرفاته وهو نمط إيثارى altruistic ويمثل أعلى مستويات الأخلاق ، ولصاحبه مجموعة من المبادئ الخلقية الثابتة المستقرة والتي توجهه . أنه عقلاني وواقعي Realistic في تقويمه لما هو خير له ولغيره من الناس (١) وهو غير مضطر لعمل كثير من التفسيرات أو التأويلات الخلقية لأنه يتبع « حرفية » القانون الخلقى ، أما الشخص النسبى relativist في مذهبه الخلقى فإنه يأخذ في الحسبان النوايا والدوافع والإصرار أو التعمد والنتائج العملية لعمله ، كما يقول فروم E. Fromm في ضوء الأخلاق السلطوية تضع السلطة \* ما هو خير للإنسان ، وتضع القوانين والمعايير للسلوك . أما في الأخلاق الإنسانية فالإنسان نفسه هو موضوع المعايير وهو الذى يضع هذه المعايير . أنه مصدر المعايير والمسئول والمنظم ، وهو أيضاً الموضوع الذى تنطبق عليه هذه المعايير (٢) .

#### خصائص الفكر والسلوك الخلقى :

يضاف إلى المشاكل السابقة مشكلة عمومية المبادئ الخلقية أو خصوصيتها بمعنى هل يكون الفرد الأمين فى البيت أميناً فى المدرسة وفى النادى وفى العمل وفى الإمتحان وفى اللعب وفى جميع المواقف والأماكن ، أم أن الأمانة تتوقف على الموقف الذى يوجد فيه الفرد ومقدار حاجاته إلى « الغش » مثلاً ؟ وعلى دوافع الفرد وحاجاته ؟ لقد دلت دراسة هارتشون وماى ( Mart shorne ١٩٢٨ )

(1) Jerild, A. The Psychology of Adolescence. p. 368.

\* راجع أنواع القيادة وأثر كل منها على السلوك والشخصية ، فى كتاب المؤلف « علم النفس الاجتماعى » دار النهضة العربية — بيروت .

(2) Fromm, E., Man for himself : an inquiry for The Psychology of ethics, Rinehart, N'y. 1947.



and May على عدم وجود ارتباط ذى دلالة بين الغش في المدرسة والغش في المنزل. Cheating at home and at school ولكننا إذا أخذنا الاختلاق بمعنى الشعور بالذنب ، لتجنبنا الصعاب الناتجة من الاتجاه الإمتثالي السلوكى ، إذ من الممكن أن يخضع الفرد للإغراء Temptation ومع ذلك يشعر بالذنب نتيجة لإمتلاكه معياراً داخلياً . يسير الطفل في بدء حياته بمنطق ( اللذة ) أى أنه يميل إلى تكرار السلوك الذى يجلب له اللذة المباشرة ويجنبه الألم . ويتكون ضمير الطفل عن طريق مجموعة الآوامر والنواهي التى يتلقاها من الوالدين الذين يقومان بوظيفة الضمير في بدء حياة الطفل ، فالطفل لا يسرق لأن ( ماما ) تقول لا تسرق ولأن السرقة تغضب ( ماما ) .

وهنا ينبغى أن نتساءل عن العوامل التى تؤثر في مجرى النمو الخلقى في حياة الطفل ؟ .

#### العوامل المؤثرة في النمو الخلقى :

لقد تساءل كثير من الكتاب: هل يرجع السلوك الخلقى إلى الوراثة أم إلى البيئة والإكتساب ؟ يحتوى التراث السيكلوجى على كلا الاتجاهين ، أى الإتجاه الوراثة والإتجاه الإكتسابى . ومن بين الدراسات العديدة التى تؤيد العوامل الفطرية في الاخلاق The innater factors دراسة الأسر التى إنتشر الجنوح والإجرام بين أعضائها بكثرة كبيرة ، عبر الأجيال المتعاقبة (١) .

ولقد اقترح بعض العلماء قديماً وجود ( حس خلقى داخل الإنسان ) ، ولكن إذا كان للاخلاق حس مستقل فأين يقع هذا الحس من الجسم ؟ وفي

---

(1) Kanner, L., Child psychology, Chorlex., Thoms, U.S.A. 1957; p. 679.

غضنون القرن الثامن عشر الميلادي سادت حركة طبية تفترض أنه نتيجة لإصابة الفرد بمرض ما فإنه يفقد : الحس الخلقى ، بينما تبقى قواه العقلية سليمة ، وأطلق على هذه الحالة المرضية لإصطلاح الجنون الخلقى Moral insanity (١) . ويفترض هيرى مودسلى Henry Maydsley أن معظم المجرمين الصغار ضعاف أخلاقياً في القوة الخاصة بتكوين الحدس الخلقى ، وكان يعتقد أن الطفل قد يكون ما هو عقلياً ، ولكن أعمى خلقياً ، وأن هذا الضعف الخلقى الموروث يبدو أنه ينتشر في أسر معينة عبر الأجيال المتعاقبة . ومن ناحية بناء الشخصية وجد أن كثيراً من الأعراض السيكوباتية والعصابية ترتبط بالجنسوح (٢) وكان لمبوروزو Casare Lombroso يعتقد بوراثية الإجرام . ويعتقد بعض الناس بأن الطفل يولد مزوداً بضمير معين يساعده على التمييز بين الصواب والخطأ ، بل يزعم البعض أن الطفل يرث بعض السمات الخلقية المحددة كالأمانة والصدق ولكن هذه الفكرة تخلص الآباء والمعلمين من مسؤولياتهم إزاء تربية الطفل تربية فلسفية سليمة حيث لا يعزون السلوك غير المرغوب إلى فشلهم ، وإنما إلى نقص وراثى أو فطرى لا يمكنهم التغلب عليه .

الضمير ، فى واقع الأمر ، يتكون خلال الشعور بالإلتزام أو بالواجبات الاجتماعية ، تلك العمليات التى تحول الضبط الخارجى إلى ضبط داخلى (٣) . يقول ولیم مکدوجل McDougall ، مؤيداً الإتجاه الوراثى للعقل البشرى ،

(1) Burt, C., The young delinquent, univ - of London Press, 1957 p. 31 - 40.

(2) Ibid.

(3) Hawkes, G.R., Behaviour and development from 5-21, Harpers and Brothers, N.y. 1962, pp. 122,

أن هناك نزعات نظرية أو وراثية هي المنابع الأساسية أو القوى الدافعة لكل من الفكر والسلوك ، وهي الأساس الذى تنمو عليه خلق وإرادة الأفراد والأمة بالتدريج تحت توجيه الملكات العقلية (١) .

أما فرويد فيرى أن غريزة الجنس أو المحافظة على الذات هي العنصر الأساسى فى الدافعية الإنسانية Human Motivation وتتضمن غريزة المحافظة على الذات من بين ما تتضمن ، حماية معايير الفرد الخلقية والاجتماعية . ويفترض آدار Adler وجود نزعتين مسئولتين عن ارتباط الإنسان بأخيه الإنسان وهما .

١ — الرغبة فى القوة الشخصية والسمو .

٢ — الشعور الاجتماعى .

ولكن مثل هذه الإجهادات التى تحتل الدافعية الإنسانية فى شكل عامل أو عاملين تبالغ فى تبسيط التنظيم الدافعى فى الإنسان ، وهو تنظيم بالغ التعقيد . وتدأنا الدراسات الانثربولوجية التى تناولت بعض المجتمعات البدائية أن القيم الخلقية ليست عامة ، ومن ثم ليست موروثة ، وعلى سبيل المثال فإن مجتمع الأرابيش Arapash ليس فى حاجة إلى كثير من الوسائل التربوية التى تروضه على دراسة السلوك الخلقي ، وإنما يظهر هذا المجتمع كثيراً من مظاهر الإيثار والتضحية (٢) التلقائياً .

(١) لم تعد فكرة الملكات مقبولة فى الفكر السيكولوجى الحديث ، وأصبح ينظر للعقل البشرى على أنه وحدة ويستخدم بدلاً منها لمصطلح القدرة .

(1) Moad, N, Sex and temperament in Three primitive Societies, Routledge and Kegan paul, 1948 p. 137.

وفي مجال تأييد وجهة النظر الوراثة في نمو القيم الخفية ، ربما نشير إلى الفروق الملاحظة بين الذكور والإناث في الاخلاق - فلقد وجد أن الإناث أكثر تأثراً بالنداء الإنفعالي في الحياة الدينية ، بينما الذكور أكثر جذباً بالشرف والعقاب الخلقى والنشاط الإجتماعى أو بالنسبة للعدوان فلقد أعطى بايز وماريكارد Bize and Maricard ( ١٩٣٧ ) حقناً من الهرمون المنشط للذكورة لعدد من الصبيان الصغار، ووجد زيادة واضحة في العدوانية في كل العلاقات الإجتماعية. كذلك أعطى كلارك وبرش Clark and Birch هرمونات ذكورة وأنوثة لقرد ذكر ، ووجد أن الهرمون الذكري يؤدي إلى زيادة السيطرة الإجتماعية عند الحيوان ، وأن الهرمون الانثوى يؤدي إلى خضوع الحيوان ، ويؤكد هذا فكرة زيادة النزعات العدوانية في الذكور ، عنها في الإناث ، وفي مجال الفروق الجنسية في الاخلاق أيضاً هناك ما كشفت عنه دراسة تيودور - هارت Tudor - Hart حيث وجد أن الإناث يمارسون أكثر من الذكور ، كثيراً من الأكاذيب التقليدية مثلاً : أى ليست في المنزل .

— أنا سعيدة لرؤيتك .

— لقد قضيت وقتاً ممتعاً في حفلتكم ؟

مثل هذه الأكاذيب لعبتها نسبة أكبر من البنات عن البنين « ضرورية » ، كذلك اعتبرت نسبة أكبر من البنات الأكاذيب الإجتماعية « ضرورية » لـ نسبة ٣٣ ٪ في مقابل ١٨ ٪ من الذكور ، ومن أمثلة الأكاذيب الاجتماعية « الكذب للإحتفاظ بالأسرار » و « الكذب لحماية من السرقة » وما إلى ذلك .

وفي دراسة شيلي sheely (١٩٣٨) التي تناولت ٨٠٠ طفلاً تتراوح أعمارهم من ٩: ١٦ سنة، وجد أن الذكور أكثر عدوانية ومسيطر، وأقل خوفاً، وأكثر تفاخراً، عن الإناث اللاتي كن أكثر شكا وخيالا وأكثر خضوعاً وطاعة للضوابط الاجتماعية. ولقد وجدت نسبة الذكور إلى الإناث في الأحداث الجانحين الأمريكيين تساوى ٩ - ١.

ولكن يجب أن نلاحظ أن هناك فروقاً كبيرة في نوع الجرائم التي يرتكبها أفراد كل جنس، كذلك هناك فروق في المستويات الخلقية التي يضعها المجتمع على أفراد كل جنس. فالمعروف أن الأسرة أكثر تسامحاً في قبول المخالفات التي يرتكبها الولد الذكر - كذلك فإنه يفترض أن الأب - أكثر من الأم - هو الذي يمثل السلطة الخلقية الرئيسية في الأسرة، وأنه أيضاً الموضوع الخلق الذي يتفهمه الولد والبنت على السواء - أن الأب أكثر تمثيلاً للمعايير الاجتماعية، وهو أكثر قدرة على القيام بعملية الضبط والربط في الأسرة.

وفي هذا الصدد افترض (فرويد) أن الذات العليا أو الضمير في النساء أضعف منها في الرجال، ويرجع السبب في ذلك في نظره إلى بقاء البنات مدة أطول عن البنين في مرحلة جمود «عقدة الكترا Electra» (٥).

وخلافاً لوجهة نظر فرويد هذه، يعتبر (نيرمان وتيلور) أن البنات يتشأن أكثر من البنين لقواعد الآباء والسلطة. كذلك يعاني البنات من مشاكل مدرسية

(٦) تشير هذه الحالة إلى ارتباط الفتاة بأبيها مع كراهية الأم والشعور بالغيرة نحوها وتقابل عقدة أوديب في الطفل الذكر التي تشير إلى ارتباط الطفل جنسياً بأمه والغيرة من الأب وما يصحب ذلك من شعور بالذنب والصراع الإنفعالي لدى الطفل.

ومنزلية أقل من البنين ، وأن نسبة جنوح الأحداث بينهن أقل من مثيلتها عند البنين - وفي دراسة ثرستون وكيف Thurstone and chafe عن الاتجاه نحو الكنيسة وجد أن النساء أكثر استعداداً للذهاب للكنيسة عن الرجال (١) ،

ويروى فرويد Freud أن الإحساس بالعدل وغيره من القيم الخلقية أقل في النساء منه في الرجال . ويرجع ذلك في نظره ، إلى طرق تكوين الذات العليا عندهن ويقول فرويد : « إن السمات الخلقية التي أنارها النقاد ، في كل الأزمنة ، ضد النساء - أي أن إحساسهن بالعدل أقل من إحساس الرجل وأهن أقل استعداداً للخصوع لضرورات الحياة الهامة . وأهن أكثر تأثراً في أحكامهن بمشاعر الحب والعداوة - كل هذا يفسر بالرجوع إلى التعديلات التي تحدث في تكوين ذواتهن العليا ، .

ويبدو أن تعاطف الإناث ينتج من جوانب شخصية أكثر من المبادئ والقيم الموجبة . وفي هذا الصدد يقال إن النساء يتأثرن في الأحكام الخلقية والجمالية بالأسلوب وبالشعور أكثر من التأثر بالعقل .

واقصد وجهت إنتقادات عديدة لفكرة وراثية الاخلاق ، فعلى سبيل المثال وجد ( هارتشون وماي ) أن الامانة تختلف باختلاف المواقف . فالطفل قد يكون أميناً في المدرسة خائناً في المنزل . ويؤكد الاتجاه البيئي في نمو الاخلاق الدور الذي تقوم به الأمرة والمدرسة والمسجد أو الجماعات البشرية ، كجماعات الأصدقاء والزلاء ووسائل الإعلام والاتصال الجماهيري كالراديو والتليفزيون والسينما والمسرح والصحف والمجلات ، ، ما يؤكد أثر المنزل على الاخلاق .

---

(1) Thrustone, L. and Chave. E., The measurement of attitudes. The University of Chicago press 1951.

ما وجد في إحدى الدراسات من ٨٧ ٪ من الإناث الجانحات أتين من بيوت محطمة ، حيث يقل تأثير المنزل وتقل فرص تدريب الطفل على السلوك الخلقى .

وفي دراسة أخرى وجد أن ضعف التدريب والتأديب كان سبباً في ٩٠ ٪ من الانحرافات السلوكية . ولاشك أن الطفل يبنى مفهومه عن الصواب والخطأ من الأمثلة التي يتلقاها من الكبار الراشدين . وأقصد وجدت معاملات (\*) لإرتباط كبيرة نسبياً بين فكرة الأطفال عن الصواب والخطأ وبين أفسكار الكبار المحيطين بهم وكانت معاملات الارتباط كما يلي : -

#### معامل الارتباط

|                          |      |
|--------------------------|------|
| — الأطفال والآباء        | ٠.٥٥ |
| — الاطفال والأصدقاء      | ٠.٣٥ |
| — الاطفال ومعلمو الاندية | ٠.١٤ |
| — الاطفال والمدرسون      | ٠.٠٦ |

ويبدو أن الآباء لهم أكبر قدر من التأثير في تكوين مفهوم الطفل عن الخطأ والصواب . ولقد تبين أنه كلما زاد اتصال الطفل بالتصاميم بالكبار زاد تأثيرهم عليه ، وعلى سلوكه ، وتلعب علاقات الحب والعطف والحنان والدفء دوراً هاماً في تنمية الضمير القوي في الاطفال .

فأسلوب التربية القائم على أساس الحب هو الذى يؤدي إلى تنمية الضمير .

---

(\*) يعرف معامل الارتباط بأنه تحديد إحصائي لكم وكيف الهـ للاقة بين متغيرين أو أكثر

أما الحماية الزائدة أو الخضوع لرغبات الطفل المبالغ فيها ، فإنها يؤديان إلى زيادة نزعات الطفل نحو العصيان والمبالغة في المطالب . أما الأطفال اللذين خضعوا لسيطرة الآباء والتمسك الزائد والتأنيب المبالغ فيه والذين كانوا يمنحون المكافآت لخضوعهم ، أصبحوا منسجيين وخجولين (١) .

ويعتبر المنزل من أقوى المؤسسات الاجتماعية في نقل ثقافة المجتمع للطفل لأنه يكمل وظائف المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، كالحكومة والمدرسة والمسجد . بل إنه يبدأ في عمله هذا ، قبل أن يبدأ الطفل في الإحساس بدور هذه المؤسسات . كذلك تلعب المدرسة دوراً هاماً في نمو السلوك والقيم الخفية في الطفل .

فقد لوحظ أن السلوك الخلقى للأطفال يتدهور عندما تضعف الإدارة المدرسية .

ولكى يمارس الطفل السلوك والصواب لا بد من معرفة الصواب والخطأ والتمييز بينها ، وليس هذا التمييز أمراً سهلاً ، إذ يختلف الأفراد في تقدير الصواب والخطأ . ففى إحدى الدراسات قررت ٩٠ ٪ من مجموعة من الأطفال الصغار أن ٩ مواقف من مجموع ١٤ موقفاً مدرسياً هي مواقف صحيحة أو صواب ، وعندما حكم المدرسون على هذه المواقف قرروا أن ١٢ موقفاً صحيحاً فقط ، وقرر هذه النتيجة ٩٠ ٪ من المدرسين أو على الرغم من أن المعرفة النظرية بالصواب والخطأ لا تضمن ، بحد ذاتها ، ممارسة الصواب وتجنب الخطأ إلا أن المعرفة مهمة ، لأن الفرد لا يختار الصواب فى موقف لا يعرفه ، اللهم بعض الصدفة البهتة (٢) .

---

(1) Mussen, P.H, op. cit. p. 356.

(2) Ibid.



ومن العو امل المؤثرة فى السلوك الخلقى لإرتياد أماكن العبادة ، فلقند وجد أن للخبرة الدينية أنرا كبيرا على النمط القيمى لأطفال ولأشباب ، ولقد وجد « هارتشون وماى » أن مقدار الغش يقل بارتيساد أماكن العبادة ، كذلك وجد أن الأطفال الذين يرتادون أماكن العبادة يحصلون على درجات أعلى فى إختيار « مساعدة الغير » أو النزعة نحو مساعدة الآخرين .

وبالنسبة لآثر المجتمع والحياة الإجتماعية ككل يقول عالم الاجتماع الفرنسى دوركايم Durkheim إن الحركة الإجتماعية العظيمة هى التى تخلق الجريمة ، وفى الماضى كان الناس يرتبطون بروابط وثيقة بأسرهم التى كانت توجه وتضبط سلوكهم (١).

ولقد أدى النمو الإجتماعى إلى النزوح للندن الكبرى لتعطيم الروابط الاسرية القديمة ، وأصبحت الوظيفة أو المهنة تمارس بعيدا عن دائرة الأسرة ولقد تحللت القيم القديمة دون أن يتكرر غيرها ، وأصبح هناك فراغ قيمى يحتوى الفرد المعاصر . لقد أصبح أبناء المجتمع الحديث أكثر عزلة وانسحاباً ، ومن ثم ضعف التأثير الإجتماعى عليهم .

كذلك تؤثر الطبقة الاجتماعية على نوعية الأخلاق التى تنمو فى الطفل ، فلقند وجد أن هناك أطفال الطبقات الإجتماعية والاقتصادية الدنيا تسلطاً فى اتجاهاتهم ، فطالبوا بانزال العقاب ، كمعلاج لعمل الخطأ أكثر من أطفال الطبقات العليا . كما وجد أن أطفال الطبقات الدنيا ينظرون للسلوك فى ضوء الصبح والخطأ ، بينما يحكم أطفال الطبقات العليا على السلوك طبقاً لنتائج العملية . كذلك وجد أن أطار الطبقات الاجتماعية الدنيا كانوا أكثر قبولا وتسامحا أزاء الأفعال

---

(1) Ibid.

المخاطبة ، وذلك بالمقارنة بأطفال الطبقات العليا ، وعلى سبيل المثال عندما سئلوا عما إذا كان « السكر » خطأ كانت هناك النسب المئوية الآتية التي أقرت أن السكر خطأ .

|                                    |      |
|------------------------------------|------|
| — أطفال مناطق نصف قذرة             | ١١ ٪ |
| — أطفال الطبقة الاجتماعية المتوسطة | ٢٠ ٪ |
| — أطفال الطبقة الاجتماعية العليا   | ٣٤ ٪ |

ولقد فسر هذا بأن أبناء المناطق الشيوعية المتدنية أكثر ألفة مع السكر عند زيارتهم من أبناء الطبقات العليا .

ويعتقد « بريكتريدج Breckenridge » ، العوازل الآتية كأساس للنمو الأخلاقي الجديد :

١ — صحة جسمية جيدة لمقاومة الإغراء ، وللتحرر من الشعور بالمرارة أو النقص ومن وجود دوافع الانتقام .

٢ — الأمان الانفعالي لتمكن الشعور بالحب تجاه الآخرين .

٣ — توفر وظيفة مناسبة ومنافذ للتعبير أو التصريف .

٤ — تدريب مستمر في التحكم وال ضبط الذاتي للمساعدة في التخلص من البراءات الطفلية .

٥ — وجود أفق اجتماعي مستمر للإتساع لتنمية القدرة على اكتساب المعارف وعلى التسامح والتعاطف ، الفهم ، وتنمية الرغبة الإيجابية لتقدير حقوق الناس الآخرين وواجباتهم .

٦ — الطموح نحو الرغبة "قوية في عمل الصواب بحيث يجد الفرد الشعور

بالرضا والسعادة نتيجة لعمل الصواب ، وفي الغالب ما ينمو هذا الطموح نتيجة  
للتعاليم الدينية (١) .

ولا يمكن تخيل حدوث للنمو الخلقى بمحض الصدفة . بل أنه يحتاج إلى هود  
وأساليب مدروسة ، ويتطلب تخطيطاً دقيقاً للمواقف حتى تضمن التعاون والضبط  
الذاتى ، ونمو روح الجماعة . كذلك ينبغي تشجيع الطفل على تعميم المبادئ  
الخلقية ، ويمكن إشراك التلاميذ فى مشروعات خدمة البيئة لتنمية الشعور بتحمل  
المسؤولية ، وتقدير الصالح العام وحمايته . وإلى جانب المؤثرات الخارجية فى  
مرحلة المراهقة توجد دوافع داخلية نحو التعاون ، ونحو تقدير العدالة ، ونحو  
الشعور بالولاء للجماعة ولقواعدهم وغير ذلك من المبادئ السلوكية المثالية ،  
فى المراهقة تنمو النزعات المثالية والنزعة نحو إصلاح العالم ونحو البذل والتضحية  
الذاتية ، وينبغى توجيه هذه المثالية نحو السلوك الخارجى الحقيقى كما ينبغى إشعار  
المراهقين بأنهم مرغوبون ومطلوبون ، كما ينبغى أن يجدوا المنافذ الإيجابية للبناء  
لتصرف طاقتهم الزائدة .

وأخيراً فإننا فى معرض الجدل بين تأثير البيئة والوراثة ينبغى أن نؤكد  
بأن الإنسان يتأثر بكل من البيئة والوراثة معاً ، وأن العلاقة بين البيئة والوراثة  
هى علاقة تفاعل ، أى تأثير متبادل قسوى ، ولكننا ينبغى أن نضع مزيداً من  
الأهمية للعوامل البيئية ، لأن ذلك سوف يوسع من قدرتنا على مساعدة الأطفال  
نحو النمو الجيد والايان بإمكان إصلاح الإعوجاج . إن إرجاع السلوك الإنسانى  
إلى العوامل الوراثية وحدها يضيّق من إمكانية تعديل السلوك المنحرف وتوجيهه

(1) Breckenridge, M. and Vincent, R. Child development, W.B  
Sends Co., 1949, pp. 488,

محو الصواب، ولا شك أن ما يولد به الطفل من استعدادات وإمكانات يمكن صقلها وتشكيلها وتوجيهها وحسن إستغلالها عن طريق الخبرات التي يمر بها الطفل والفرص التي تتاح له والإشراف الذي يلقاه .

### المثال والقوة :

كيف يختار الطفل الصغير مثاله الأعلى الذي يقتدى به ؟

نتيجة لإلتصاق الأطفال بآبائهم ، فإنهم يختارون منهم مشاهم الأعلى . وفي إحدى الدراسات وجهت للأطفال الاسئلة الآتية :

١ — من هو الشخص الذي تعجب به أشد الإعجاب ؟

٢ — من هو الشخص الذي ترغب أن تشبهه من هؤلاء الناس الذين تعرفهم أو سمعت أو قرأت عنهم ؟

ولقد أختار الأطفال الصغار ( سن ٦ - ٧ سنوات ) مشاهم الأعلى من بين أفراد الدائرة الضيقة لمعارفهم كآباء والأمهات . وعلى حد قول فالتين ، :

بازدياد السن تلتسع خبرات الطفل ، وبذلك يصبح الأشخاص الذين يختارهم الطفل مثالا أعلى من بين الأشخاص الذين قرأ عنهم في التاريخ أو في الأدب أو في الكتب الدينية ، أو من بين الأشخاص العامة الشهيرة (١) .

على كل حال ، وجد أنه بعد سن الثالثة عشرة يعود الطفل للإختيار من دائرة المعارف المقربين . ومن المعروف أنه بالتقدم في السن ينمو إتجاه التسامح نحو

---

(1) Valentine, G., The Normal Child and some of his abnormalities, Penguin Book, p. 201.

المذاهب الدينية المختلفة وأربابها كما تنمو نزعات الشك والنقد تجاه العقائد الدينية التي تعلمها الطفل من قبل .

كذلك كلما تقدم المراهق في السن زادت قدرته على التفكير في الأمور المجردة ، وكلما قلت نزعته نحو « الأخلاق الموضوعية » أو الواقعية أو المطلقة وحلت محلها الأخلاق « النسبية » ونمت نزعات التحرر والمرونة في وجهات النظر .

#### مراحل النمو الخلقى :

على الرغم من أننا نستطيع أن نحدد مراحل معينة للنمو الخلقى ، إلا أن النمو الخلقى كغيره من مظاهر النمو الأخرى ، يحدث تدريجياً فجائياً وليس هناك الانتقال فجائى أو طفرى من مرحلة إلى أخرى ، فالطفل لا يتحول من الطفولة إلى المراهقة بين عشية وضحاها ، بل إنه من الممكن أن يحدث نوع من التكرار regression أو الإرتداد من مراحل متقدمة إلى مراحل سابقة عندما يتعرض الفرد لصعوبات نفسية حادة ، فالنمو لا يسير باستمرار في خطوات مضطردة .

كذلك هناك فروق فردية واسعة individual differences في الوصول إلى أى من هذه المراحل ، ولا توجد فواصل حاسمة وقاطعة بين هذه المراحل ، ولكنها تتداخل فيما بينها (١) . ففي المراهقة تظل هناك رواسب من الماضى الطفولى ، وفى الشباب تبقى بعض المراهقة . ويصف « جيرسيلد Jersild » حركة الانتقال من مراحل أقل نضوجاً إلى المراحل الأكثر نضوجاً في النمو الخلقى بما يلى :

١ — المقهور العام لما هو صواب ولما هو خطأ يحل محل القواعد النوعية المحددة .

---

(١) د عبد الرحمن عيسوى ، معالم علم النفس ، دار المطبوعات الجامعية — الاسكندرية .

٢ — المعايير الداخلية تحمل تدريجياً محل الطاعة للأوامر والنواهي الخارجية .

٣ — نمو قدرة متزايدة واستعداد أكبر لاختذ الظروف المحيطة بالسلوك الخاطئ .  
في الاعتبار بدلاً من الحكم الآلى على العمل الخلقى .

وبالنسبة للسلوك الإنسانى ، ككل ، يمكن النظر إليه على أنه يسير تبعاً للمستويات أربع ، يمكن أن تتخذ دليلاً على النمو الخلقى للطفل ، هذه المستويات هى :  
١ — السلوك غير المتعلم أو السلوك الغريزى ويتعدل بالنتائج الطبيعية للسلوك ، ومن أمثلة ذلك تعلم الطفل تلقائياً ألا يصدم رأسه ضد الأشياء الحادة أو الساخنة .

٢ — الثواب والعقاب يمارسها الآباء والمعلمون وغيرهم من الكبار ، أى من إبط الخارجية .

٣ — القبول وعدم القبول الاجتماعى وخاصة من قبل الجماعة التى ينتمى إليها الطفل .

٤ — الإيثار حيث يتحرك الفرد وتسيره الرغبة فى عمل الخير العام ، ويمثل هذا أعلى المستويات الخلقية .

وفى الطائفة المبكرة يكون سلوك للطفل ليس خلقياً أو لا أخلاقى . إن حاجات الطفل الرضيع تشبه حاجات الحيوان ، بمعنى أنها فى قيمة حسية ومباشرة ، فيحاول أن يحصل على الاشباع المباشر لحاجاته ، وأن يتجنب الألم ، وفى محاولاته لإشباع حاجاته يكون الطفل الصغير أنانياً منسلطاً ومن خلال شعوره بالذنب والبرد والإمتلاء والفراغ يحصل على الشعور بالخبرات الجيدة

- ١٦٥ -

والخبرات (١) الرديئة :

وقد ميز « بياجيه Piaget » بين نوعين من الأخلاق :

١ - النوع الأول : الذى يظهر مبكراً ، أو هو ما أطلق عليه اصطلاح (الأخلاق الموضوعية Objective Morality ) ، وهنا تكمن الصحة والخطأ فى بعض مظاهر السلوك ، ويمكن إدراكها موضوعياً ، وهما بينان أو واضحان بذاتهما ، فالطفل الصغير يعتقد أن أى شخص يستطيع أن يدرك « خطأ أخذ أى شيء يخص الغير أو يخص شخصاً آخر » وتبعاً لرأى بياجيه ، فإن الأطفال فى سن الثمانى سنوات يحكمون على أى سلوك تبعاً لنتائجه بصرف النظر عن الدوافع أو النوايا التى تكمن وراء السلوك . وعلى ذلك ، فالطفل الذى كسر عرضاً أو مصادفة أو قضاء وقدرًا ، عشرة أطباق هو أكثر « شقاؤه » أو خطئاً أو مشدوبة من ذلك الطفل الذى كسر عامداً متعمداً كوباً واحداً ، وبمرور الزمن يصبح الطفل قادراً على إستيعاب الأفكار المجردة حول الخير والشر بوجه عام .

ويعتقد بياجيه أن هناك إنتقالاً من الضبط الخارجى ومن الواقعية الخلقية إلى النسبية الخلقية . حيث يصبح حكم الطفل الخلقى نسبياً وليس حقيقياً .

يبدأ الطفل فى تكوين فكريته عن الصواب والخطأ عن طريق اكتشافه أن إشباع حاجاته فى الحب والدفء لا يتأتى إلا عن طريق إرضاء أمه ، وعن طريق الحصول على موافقتها وهذا يضع الأساس الأولى نحو التعامل مع الناس . فموافقة أو رفض الآباء تمثل الجذور الأولى للمعايير الخلقية .

أما عن تطور الحكم العائلى عند الطفل ، ففي مرحلة الطفولة المبكرة يسير الطفل

---

(1) Lngleby, A., Towards maturity, Robert Hale, Ltd., London, p. 37, 1966.

حسب ما أسماه يياجية ( الخلقية الموضوعية ) ومعنى ذلك أن العالم عبارة عملة  
نشاهده فقط ، وليس هناك نسبية ، فالاشياء أما بيضاء أو سوداء ، صواب أو  
خطأ ، فعلى قدر فهم الطفل ، فإن الآباء فى نظره يعرفون كل شيء ، فإذا قال :  
« أن هذا خطأ » فإنه خطأ فكل ما يقوله الآباء أو يفكرون فيه فهو صواب .

فالاطفال يحكمون على الاشياء حكماً موضوعياً أى دون أخذ الدوافع فى  
الاعتبار ، تلك الدوافع التى دفعت الطفل نحو هذا السلوك بدون اعتبار للظروف  
المحيطة والملايسات ، بل يتبعون ( حرفية النص الخلقى ) وحرفية المساعدة فى  
العاجم . فالعقاب يتناسب مع حجم الخسارة للمادية التى أحدثها الطفل ، وليس  
وفقاً لدوافع الطفل أو نواياه أو ( سبق الاصرار والترصد ) (\*) .

وعلى كل حال ، طبقاً لمنطق يياجية ، فإن الطفل بالتدريج يتعلم أن القواعد  
الاشخائية التى يضعها الكبار ليست مطلقة ، وبذلك يمكن تعديها لكى تناسبه  
الظروف المحيطة بموقف معين .

فى المراحل المتقدمة تظهر المرونة فى الاحكام الخلقية ، وعندئذ يدرك الطفل  
أن القاعدة الخلقية يجب أن تتعدل طبقاً للظروف ، بحيث تحقق الصالح العام .  
والخير الاكثر ، فالطفل الذى تأمره الأسرة بالعودة فوراً بعد الخروج من المدرسة  
والذى ينفذ ذلك فى حالة تعطل المواصلات العامة ( بالشعبطة ) فى إحدى سيارات  
النقل ، وبذلك يعرض حياته لخطر الموت فى سبيل تنفيذ تعليمات الأسرة يلقى

---

(\*) يشير الصراع لحالة نفسية فيها تجاذب الفرد بين هدفين أو مشيرين قد  
يكون احدهما مثير جيداً والآخر ضاراً أو كلاهما ضاراً ، أو كلاهما خيراً الصراع  
الفرد بين الرغبة فى الثراء والخوف من العقاب أو تأنيب الضمير . وهناك صراع  
الاقبال والاشحام ، وصراع الاقبال — الاقبال ، وصراع الاشحام —  
الاشحام .



حقاباً غير مفهوم بالنسبة له ، ففي هذه المراحل المتأخرة يدرك الطفل أن الحكمة في طاعة القوانين والقواعد الخلقية تكمن في تنفيذ روح القانون أكثر من حرفية القانون (١) .

وفي دراسة « هارتشون » و « ماى » وجد أن الاطفال من سن تسع سنوات يعملون طبقاً للخير العام ويتعاونون فيما بينهم وتثيرهم دوافع الإحسان .  
ويقرران أن الطفل عند سن ثمان سنوات يستطيع أن يميز بين الخطأ والصواب - الخير والشر ، وفي الفترة ما بين ٥ ، ٧ سنوات يحدث زيادة في السلوك التعاوني وفي إدراك حقوق الآخرين .

وعلى الرغم من أن الجنوح يزداد إنتشاره في مرحلة المراهقة ، إلا أن جذوره الأولى ترجع إلى الطفولة المبكرة ، ولا شك أن النمو الخلقي الداخلي عامل أساسى .  
يحدث في إزالة السلوك الجانح . في الطفولة المبكرة لا يدرك الطفل الصراع بين الأمانة والولاء للأصدقاء . وكلما تقدم الطفل في السن ، كان أكثر وعياً وإدراكاً لهذا الصراع ، وكلما تقدم سن الطفل أيضاً كان أكثر قدرة على إدراك المطالب الثقافية والثقوبات الاجتماعية .

#### علاقة الذكاء بالاخلاق :

في بعض الدراسات وجد أن نسبة ذكاء مجموعة من الاطفال الأحداث الجانحين ٩٢.٥ بينما كانت نسبة ذكاء مجموعة مماثلة من غير الأحداث الجانحين ١٠١.٨  
إلا أن انخفاض الذكاء ليس عاملاً أساسياً في حدوث معظم حالات الأحداث

---

(1) Brackenridge, M.E. and Vincent, E.E. Child development physical and psychological growth. The School years, W.B. Saunders Co., London. 1949.

## الجانحين (١) .

لقد أجرى عدد كبير من الدراسات لتحديد كم وكيف العلاقة بين الذكاء والاختلاق . وفي مثل هذه الدراسات يقارن الأطفال أصحاب الذكاء المرتفع بالأطفال متوسطى أو ضعيفى الذكاء ، يقارنون فى مستوياتهم الخلقية ، فى إحدى الدراسات التى أجراها يترمان Terman على ٥٣٢ طفلاً ذكياً يزيد نسبة ذكائهم عن ١٣٠ وجد أنهم يتفوقون فى السلوك الخلقى على المجموعة الضابطة من الأطفال أرباب الذكاء المتوسط ، ولقد استنتج ( يترمان ) أن الأطفال المتفوقون عقلياً يتفوقون عن الأطفال متوسطى الذكاء على اختبارات الامانة والصدق والسمات الخلقية المشابهة . وهنا يجب أن نتحفظ فى تفسير هذه الفروق وإرجاعها إلى الذكاء وحده ، ذلك لأن أحداً لا يستطيع أن ينكر تأثير البيئة المنزلية وغيرها من العوامل الاجتماعية على الانحراف وعلى النمو الخلقى . لقد درس تأثير الذكاء على المستوى الخلقى عن طريق مقارنة نسبة الأطفال ضعاف العقول بين جماعات الأحداث الجانحين . وعلى سبيل المثال وجد ( بيرت ) Burt ٨ ٪ فقط من الأطفال ضعاف العقول بين الأحداث الجانحين . ( نسبة ذكاء أقل من ٧٠ ٪ ) (\*) واقعد وجد كل من ( هيلي وبروند ) فى دراستها عن الأحداث فى شيكاغو - يستون ١ ٪ من ضعاف العقول ، أما هذه النسبة فى المجتمع العام فلا تتجاوز ٢ ٪ ١ ٪ (٢) .

(1) Brooks, [A., Child Psychology; Methuen and Co, London 1951, [p. 409.

(\*) من المعروف أن نسبة الذكاء ١٠٠ تشير إلى الطفل متوسط الذكاء وهو الطفل الذى يساوى عمره للعقل عمره الزمنى .

(2) Jones, V., op. cit., p. 793.

وفى نفس الوقت وجدت نسبة الجنوح إلى الصحبة السيئة عند ٦٢ ٪ من الحالات . كذلك وجدها ( هارتشون — ماى ) معامل ارتباط قدره (٠.٥٥٠) بين الذكاء والغش ، بمعنى أنه كلما زاد الذكاء قل الغش ، وكلما قل الذكاء زاد الغش . ويبدو أن تأثير الذكاء على الأخلاق نوعياً أكثر من كونه تأثيراً عاماً ، فالأطفال الأكثر ذكاء كانوا أكثر تعاوناً من الأطفال الغيبياء والمتوسطين ، ولكن العلاقة بين الكرم والذكاء كانت ضعيفة ، أما العلاقة بين الامانة والذكاء فكانت عالية (١) .

وفى إحدى الدراسات وجد أن طفل التسع سنوات الموهوب عقلياً يصل إلى مستوى نمو خلقى يعادل طفل الرابعة عشر من الأطفال غير المنتقين . ولكن الذكاء يساعد فى سرعة حدوث النمو منها كان الإتجاه الذى يتخذه هذا النمو ، فأما : ( أخلاق حسنة أو له جرائم خطيرة ) . كذلك فلقد وجد أن الأطفال الأكثر ذكاء أقل غشاً فى إمتحاناتهم ولكن ليس بالضرورة لأنهم أكثر خلقاً ، بل ربما لأنهم أكثر قدرة على حل أسئلة الإمتحان بدون اللجوء إلى الغش . ويبدو منطقياً أن نتول إن الطفل الذكى والطفل الغيبى يختلفان فى قدرتهما على التنبؤ بنتائج أعمالهما ، كما يختلفان فى قدرتهما على الرؤية البعيدة للمزايا البعيدة فى الأهداف المرتقبة ، وتنضيل ذلك على الإشباع المباشر لحاجاتهم الراهنة .

وكما زاد ذكاء الفرد كان أقدر على إختيار العناصر الصالحة من بيئته وعلى تشكيلها وتسخيرها بما يخدم أغراضه ؛ كذلك لا يتعلم الذكى والغيبى بالتساوى

---

(١) راجع كتاب المؤلف ( القياس والتجريب فى علم النفس التربوى ) دار النهضة العربية — بيروت — لبنان ( لتحديد الارتباط والعلمية والفرق بينهما ) .

حق من نفس الموقف ، أو من نفس البيئة والمفروض أن يساعد الذكاء الفرد على الاستفادة من بيئته إلى أقصى حد ، وعلى تعديلها إذا كانت غير مواتية ، وعلى تكييف نفسه للواقف الجديدة . وقد دلت دراسة « تيرمان » على أن الأطفال الموهوبين يتفوقون على الأطفال المتوسطين في السمات والقيم الموجهة نحو النجاح الذاتى أكثر من السمات والقيم الموجهة نحو المسئوليات والخدمات الاجتماعية ، فاللاحظ أيضاً أن الاذكيا يرتفع عندهم مستوى الطموح . ولقد تفوقت المجموعة الموهوبة على المجموعة المتوسطة تفوقاً أكثر دلالة في الإدارة والمثابرة ، وتفوقت أقل من المشاركة الوجدانية والركة ، كذلك وجد « هارتشون » - ماى « معامل ارتباط قدره ٠١٦ بين الذكاء ومساعدة الآخرين ، ومعامل الارتباط قدره ٠٠٩ بين الذكاء وروح التعاون .

ولكن لا ينبغي الاعتقاد بأن الضعف العقلى أو الغباء يؤديان بحد ذاتهما إلى الجنوح ، هناك دائماً عوامل متوسطة كثيرة فانخفاض الذكاء مثلاً قد يقود إلى الفشل والاحباط ، كما يقود إلى الكثير من الصعوبات فى التحصيل المدرسى ، كذلك فان مستوى طموح الفرد ينخفض فى حالة الضعف العقلى .

### كيف ينمو ضمير الطفل :-

يظهر الضمير ، أو الذات العليا فى اصطلاحات التحليل النفسى ، فى سلوك الفانل تدريجياً . فى بداية حياة الطفل يرغب فى الإشباع المباشر لدوافعه أو لحاجاته بصرف النظر عن الإعتبارات الخلقية أو العملية ، فهو يطلب الطعام ويطلبه الآن وفى هذا المكان .

وبالتقدم فى العمر يتعدى السلوك الإندفاعى خلال الخبرة فيتعلم الطفل أن بعض إستجاباته سوف يعاب عليها ، وأن بعضها الآخر سوف يجلب له العقاب ،

وأن بعض مطالبه لا يمكن تلبيتها في الحال ، وأن بعضها الآخر لا يمكن تحقيقه . مطلقاً . وبمرور الوقت يصبح تجنب بعض مظاهر السلوك الذي كان يحدث نتيجة لقوة خارجية يحدث الآن نتيجة للسلطة الداخلية ، فيكشف العطف عن الايمان بالسلوك الخاطيء حتى في غياب الكبار ، ممثلى السلطة الخارجية للطفل ، وهنا يشعر الطفل بالذنب عندما يفشل في مقاومة الأغراء .

وتبعاً لنظرية التحليل النفسى ، هناك فى كل شخص منطقة من الدوافع غير المستأنسة تشبه الحيوان فى طبيعتها ، وعند الميلاد تحتوى هذه المنطقة على مجموعة من البواعث الغريزية ، وهى ما أطلق عليه إسم الذات الدنيا . فى هذا الدافع توجد قوتان مختلفتان هما .

١ — الدافع نحو الحياة ونحو الخلق والحب ، وهو الذى يسميه « فرويد » .  
رغبة الحياة أو غريزة الحياة .

٢ — والدافع العدوانى الهدام ، وهو ما أطلق عليه رغبة الموت أو غريزة الموت ، والطفل تحكم « أانا الدنيا » حياته . فهو بلا قيود أو شعور بالأسف ويسعى لتحقيق لذاته ، ويعبر عن دوافعه نحو موضوعات العالم الخارجى ،

وتشير الأنا الدنيا إلى الطبيعة البدائية وغير المفكرة واللامعقولة ، والتى تشتهد إشباع الغرائز مباشرة إشباعاً كلياً وعلمياً ، ولكن بمرور الوقت ينمو تحكم الطفل ، فى البداية يكون الطفل غير خلاق وغير إجتماعى ، ولا يتوقف عن السلوك غير المقبول إلا فى حضور الكبار أصحاب السلطة فى العقاب .

أما العنصر الثانى فى الشخصية الإنسانية فهى الذات الوسطى Ego ، وهى عبارة عن القدرة على التعامل عقلياً أو بمعقولية مع الواقع ، وتنمو الذات الوسطى من الذات الدنيا ، وتتمشى مع مبدأ الواقع وتمثل العالم الخارجى وقيوده وتكاليفه

بفروضه ومستلزماته ، وهى القوة التى تدرك الحدود أو الفواصل الواقعية التى تمنع من حدوث الإشباع المباشر لدوافع ( الذات الدنيا ) فتبعاً لمنطق الذات الوسطى هذه فإن تأجيل الإشباع يضمن لنا إشباع أكثر كلاً فى المستقبل ، وتحتوى الذات الوسطى على أجزاء شعورية وأخرى لا شعورية ، وهى التى تتصل دائماً بالعالم الخارجى ، وتتم بما يجرى فى بيئة الفرد ، وعليها أن تنفى بمطاب الواقع ، ومن ثم فإنها تنادى الطفل الصغير قائلة : إنك ينبغي أن تطيع أمك ، لأنها سوف تصفحك إن لم تفعل ذلك ، وعليها أن تشبع المطالب الداخلية للذات العليا ، وتقاوم ضغوط الذات الدنيا التى تدعو للإفراط . وعلى ذلك فللذات الوسطى ثلاث أسيا دى :

١ — البيئة أو الحياة الخارجية أو المجتمع .

٢ — الضمير ٣ — الذات الدنيا .

وعلى ذلك فكلما نجحت الذات الوسطى فى التعامل مع هذا المثلث تعاملت حسناً وتحسن توازن الشخصية أو إوازنها النفسى ،

أما العنصر الثالث فى تكوين الشخصية فهو الضمير أو الذات العليا . وهنا تتساءل وكيف يتكون أو ينمو ضمير الطفل الصغير ؟ .

كأنما الطفل تمت المماير الداخلية تلك المعايير التى نسميها صوت الضمير الذى يرشد الفرد فى سلوكه وفى أحكامه الخلقية .

ويمثل الضمير معايير الفرد وقيمه ومبادئه ومثله العليا . إنه السلطة الضابطة العليا فى الإنسان ، فإذا لم يستجيب الفرد لندائه ، فإنه سوف يعاقبه عن طريق قوة داخلية من خلال الشعور بالذنب وكرهية الذات وبهذا . وتعطى مدرسة

التحليل النفسى أهمية كبرى لنمو الضمير فى نضج الفرد ، فالفرد يظل غير ناضج حتى يصبح لديه ذوق جيد ، ويطيع القانون ، ويحترم حقوق الآخرين ويشعر بالواجب .

ويلعب الضمير دور الأب ، أو الأمر أو المراقب أو الملاحظ أو الشرطى . كما أنه يعمل كقاضٍ للأخلاق يحكم تبعاً للبادئ « المثالية » أكثر من المبادئ « الواقعية » ، أنه يعمل من أجل الوصول بتصرفاتنا نحو الكمال المثالى . ويقال إنه يحدد السلوك ، يقيمه أو يمنعه ، ويتحكم فى ضبطه ، وعلى الرغم من طبيعة الضمير الخلقية إلا أنه إذا أصبح حاداً أو قاسياً أكثر من اللازم ، فإنه يظل يخوف ويؤنب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة بل حتى على مجرد الافكار السيئة ، حتى تلك الافكار التى ينجح الفرد فى إخفائها على الناس لا تنجو من عقاب الضمير عليها ، وتؤدي حدة الضمير إلى تكوين شخصية هيابة مترددة . فاذا زادت سيطرة الضمير فى الشخصية يصبح الفرد عبد المجموعة من العادات والتقاليد ، وعبد المشاعر الذنب والتأنيب القاسية ، الحياة الشخصية تشبه جبل الثلج العائم بغوص معظمه تحت سطح الماء ، وعلى ذلك فالصراعات التى تحدث بين الذات الوسطى والذات العليا تحدث على المستوى اللاشعورى غير الترقى .

والحفاظة على توازن الفرد ينبغي أن تكون العلاقة بين الذات الدنيا والوسطى والعليا علاقة وئام وانسجام وتوازن . ولا ينبغي أن يكون الضمير قسماً واحداً جداً ، لأن ضعفه أكثر من اللازم يؤدي إلى نشأة الانحراف السيكوباتى وصرامته الزائدة تؤدي إلى الشك والخوف .

وأخيراً فإننا ينبغي أن نشير إلى أنه رغم تقسيم فرويد للعقل الإنسانى إلى هذه العناصر الثلاثة إلا أن العقل الإنسانى فى الواقع وحدة ديبامية متكاملة

متفاعلة ، بل أن الإنسان نفسه وحدة جسمية نفسية واجتماعية متكاملة متفاعلة وأن هذه العناصر ليست إلا تجريدات عقلية لوصف أنماط معينة من السلوك وليس العقل البشرى مقسماً إلى موجودات مستقل بعضها عن البعض كما تصور فرويد .

فلا ينبغي أن يقال مثلاً أن الذات الدنيا والوسطى والعليا « كائنات صغيرة » تمكن داخل الإنسان ، وإنما هي مجرد تجريدات يضعها الباحث الملاحظ لوصف أنماط معينة من السلوك .

ولاشك أن فهم الضمير عملية أساسية فى فهم سلوك الإنسان كله ، وهنا نقسام عن العوامل المؤثرة فى نمو الضمير ، وعلى الفور تبرز أمامنا ثلاثة عناصر أساسية هى :

١ — قيم الثقافة أو معاييرها التى تكون جزءاً أساسياً من الشرعية التى تنتقل للطفل عبر الآباء والأمهات ، وتختلف تلك القيم من ثقافة إلى أخرى ، ففى حين نجد أن العدوان سلوك غير مرغوب فيه فى إطار بعض الثقافات نجد أن تأكيد الذات تؤكد وتشجعه ثقافة أخرى ، بينما تشجع ثقافة نالمة الاعتراف بالشخصى .

٢ — نمو الطفل العقلى : فالطفل الأكبر سناً والأكثر نضوجاً من الناحية العقلية أكثر قدرة على إدراك وفهم ما تتوقعه منه ، إنه يستطيع أن يفهم أسباب بعض القيود والمعايير ، كما أنه يستطيع أن يصمم بعض المبادئ ، وأن يطبقها على العديد من المواقف . كذلك فإنه يستطيع ، أكثر من زميله الصغير ، أن يدرك المفاهيم المجردة التى تمكن وراء المسائل الاجتماعية مثل الإيثار أو المساواة أو الحق أو الخير أو الصدق أو الشفقة .



٣ — علاقته بأبويه ، هناك بحوث كثيرة استهدفت معرفة التأثير الوالدى على نمو ضمير الطفل . فى دراسات (التنميط) التى أجراها كلا من سيرز - ماكونى - ليفين Sears, Maccoby and Livin, 1957 طلب من أمهات الاطفال أن يحددن علامات نمو الضمير فى سلوك الاطفال — ولتخذ لذلك معياران هما : -

أ — نزعة الطفل لكى يمثل الدور الأخرى ، أى بمحاولاته تعليم أخوانه ، وأصدقائه معايير الآباء .

ب — سلوك الطفل الذى يعقب عمل الخطأ ، أى محاولاته الإعراف بهذا الخطأ أو الاعتذار أو بإصلاح ما أفسده . وحدد مقدار نمو الضمير للطفل على هذا المقياس المكون من خمس نقاط هى : -

١ — لا دليل على النمو إطلاقاً : حيث ينكر الطفل ، ولا يبدو عليه عدم السعادة عندما يكون (شقيماً) .

٢ — أدلة بسيطة على وجود الضمير .

٣ — نمو متوسط للضمير : ربما لا يعترف بالخطأ مباشرة ، ولكنه يبدو خجولاً أو جباناً ونادراً ما ينكر أخطاءه .

٥ — ضمير لا يستهان به ونام بدرجة كبيرة .

٥ — ضمير قوى : حيث يشعر الطفل بالتعاسة عندما يكون (شقيماً) ودائماً يعترف ولا ينكر أبداً ، ولديه حاجة قوية للمعقول أو الحصول على تسامح الآخرين .

وتتم عملية امتصاص الطفل لمعايير الكبار عن طريق عملية التقمص أو التوحد،

فالتقصير القوي لشخصية الآباء يساعد على نمو الضمير للطفل ، فلهذا وجد ( تبعاً لدراسات ميسون ودمستر ١٩٦٠ Mussen and Distler ) أن صبيان من الحضانة الذين كانوا أكثر ذكورة ، ربما بسبب تقصيرهم لشخصية آبائهم ، كانوا أيضاً متقدمين في نمو الضمير. كذلك وجد ( في دراسة ستين ) بعض الأدلة التجريبية أن الأطفال في مواقف الإغراء يقلدون النموذج الذى يخضع للإغراء ، ويوحى هذا أن الآباء يعملون كنموذج لابنائهم فيما يختص بالسلوك الأخلاقى ، فقد إهتم البحث العلمى بعاملين أساسيين فيما يتعلق بنمو الضمير :

أ - نوع التأديب الأبوى .

ب - دفء علاقة الأب — الطفل .

فما يتعلق بالنشاط التأديبى فى المنزل . كشفت دراسة التسميط أن الأسلوب السيكلوجى أى الاتجاه الموجه الحب ذلك الذى يشمل بالمدح والغزل ومسح الحب ساعد فى نمو الضمير أكثر من الأسلوب المادى العيىقى المتمثل فى المكافأة المحسوسة والحرمان والعقاب العيىقى .

وفى دراسة ماك كوتون Mackinonon على طلاب الجامعة وجد أن الذين تجاوزوا الممنوعات كانوا أولئك الأطفال الذين كانوا يؤمنون بتبعون نظاماً عيىقىاً فى التأديب أكثر منه نظاماً سيكلوجياً .

ولكن هناك دراسة حديثة نسبياً (١٩٦١) أجراها كل من هيرتون وماكوبى وآلان سميث Burton, Maccoby and Alinsmith على أطفال من الأربع سنوات عن مقاومة الإغراء فى الغش لم تؤيد هذه النتائج ، فى هذه الدراسة الأخيرة كان العقاب البدنى مرتبطاً بمقاومة الإغراء أكثر من العقاب السيكلوجى أو استخدام العقل .

ويبدو أن الأسلوب الفيزيقي والمباشر يؤثر في الطفل الصغير ، ولكن تحمل حله الأساليب السيكولوجية التي تشجع التقمص مع الآباء بتقدم الطفل في السن ، وبحصوله مزيد من النمر المعرفي Cognitive development ويشبه التمييز بين مناهج التأديب الفيزيكية والنفسية التميز بين أسلوب الإستقراء وأسلوب الإحساس

• induction and sensitization

وقد قام بهذه المحاولة أرنو فريد سنة ١٩٦١ Arno Freede من بين الأساليب الإستقرائية استخدم الإستدلال مع الطفل أو إهماله أو نبذه أو إستخدام الشرح والتفسير . وتثير مثل هذه الأساليب في الطفل ردود فعل لتجاوزاته وربما تصبح ردود الفعل هذه مستقلة عن المصادر الأصلية للعقاب وعلى سبيل المثال ، فإن الإستدلال مع الطفل الصغير بشرح النتائج والمترتبات لفعل ما ، سوف تشجعه على فحص وإختصار تصرفات ، وعلى قبول المسؤولية عن هذه الأفعال .

وعلاوة على ذلك فإن هذا المنهج ينمى قدرة الطفل على التعاطف أو وضع نفسه في مكان الغير والإندماج ذهنياً في موقف الشخص الآخر عن طريق تحديد الآثار الضارة لسلوكه بالنسبة لوالديه وللآخرين .

أما أسلوب الإحساس أو الحسامة فيتمص العقاب البدني والذجر والتعنيف والتوبيخ : هذا الأسلوب يجعل الطفل شديد التأثير للخوف من العقاب الخارجى الذى يعقب تجاوزاته أو أخطائه ، كما يعطى أهمية كبرى لمطالب الآخرين وتوقعاتهم ، وعن طريق إستخدام منهج إستكمال القصص ، مع أطفال الصف السادس فى إحدى المدارس الأمريكية وجدت علاقة بين نوع الإستجابة الحلقية للطفل وأسلوب أمه فى التأديب ، فإطفال الذين أستخدمت أمهاتهم الأساليب

الاستقرائية كانوا أكثر ميلاً لاستخدام أفكار عن الإصلاح أو الترميمية وفكرة القبول في قصصهم ، بينما الاطفال الذين استخدمت أمهاتهم الأسلوب الحسى عبروا عن نتائج خارجية لتجارزاتهم في قصصهم .

وبصدء أسلوب الآباء التأديبي أيضاً ميز « هوفان » سنة ١٩٦٣ Hoffman بين التأديب التوكيدي القوي والتأديب غير التوكيدي وغير القوي. النوع التوكيدي يتضمن العقاب البدني والحرمان المادي ويؤدي هذا الأسلوب إلى توجيه خلقي خارجي قائم على أساس الخوف من العقاب ومن الإكتشاف .

أما النوع الثاني ، فيتضمن سحب الحب ، وأنماط من التأديب الإستقرائي يؤدي إلى تكوين اتجاه خلقي يتميز بشعور قوي بالذنب ، ولقد وجد « هوفان » تأيد فكرته بأن المنهج الإستقرائي يؤدي إلى ضمير أكثر قوة من منهج سحب الحب ، نظراً لفشل هذا الأسلوب الأخير في تفكير الطفل في الآلام التي يشعر بها الآخرون نتيجة لأخطائه . إن الإدراك أو الوعي بمشاعر الآخرين والتحقق من أن الطفل هو المنسبب في عدم راحة الآخرين ينبغي أن يعمل على تنمية ضوابط داخلية قوية .

لقد وجد أن الأساليب الموجهة بالحب تنتشر بين أمهات الطبقة الاجتماعية الوسطى ، أما الأنماط الفيزيقية من التأديب تنتشر بين أمهات الطبقات الاجتماعية الدنيا . وفي دراسة « آرنو فريد » اختارت أمهات الطبقة الوسطى « الإستقراء » بينما اختارت « الإحساس » أمهات الطبقة الدنيا . إن الأسلوب الفيزيقي المنتشر في بيوت الطبقة الدنيا لا يشجع التقمص ولا يؤدي إلى تقوية الضوابط الداخلية The inner controls ولم تسفر الجهود ، التي بذلت لربط الضمير بممارسات محددة نوعية لتربية الطفل ، عن نتائج واضحة ربما لأن الجو

للسيكولوجى العام فى المنزل هو الأكثر أهمية عن أى أسلوب محدد فى تربية الطفل .

فلقد وجد أن التهديد بإنسحاب الحب ، وهو منهج سيكولوجى ، ليس له تأثير كبير إذا كانت الأم باردة نفسياً ، أو كانت نابذة لطفلها أصلاً .

وعلى العكس من ذلك فإن هذا المنهج أثبت فاعلية كبيرة عندما كانت علاقة الطفل بأمه علاقة قبول ودفء ، إنه الطفل غير المقبول ليس لديه ما يحسره بممارسة العمل غير المقبول .

لقد وجد ١٨ ٪ فقط من الاطفال المنبوذين هم الذين حكم عليهم بأن لديهم ضمير قوى بالمقارنة مع ٣١ ٪ من المجموع المقبول . كذلك وجد أن الاطفال الذين يقبلهم آباؤهم كان لديهم ضمير أقوى عن الاطفال الذين ينبذهم الآباء .

ولقد وجد ان هناك سميتين فى الاسرة ترتبطان بنمو الضمير أو الذات العليا فى الاطفال ، أى بوجود ضمير فعال يوجه السلوك ويرشده ، وهاتان الصفتان هما :

١ — الثبات أو الديمومة consistency

٢ — إتحاد بين الثقة المتبادلة والقبول .

فالنمط الثابت للضبط الأبوى وللتوقعات يعطى مراقف واضحة جلية لنمو السلوك الإيجابى ، وعلاوة على ذلك فإن جو الثقة المتبادلة يساعد الطفل لإمتصاص قيم الآباء وما يبره فيقبلها الطفل على أنها معايير هو .

أن نمو الضمير ينبغى أن يفهم ، لكنى يفهم نمو الشخصية برمتها . ذلك لأن الطريقة التى يحمل بها الفرد صراعاته الخلقية هى جانب ثابت من جوانب شخصيته .

— ١٨٠ —

وليس هناك أقوى من توفير جو من الحب والدفء والحنان في العلاقة بين الآباء والأمهات في نمو الضمير وإمتلاك الضوابط الداخلية وتبني قيم الآباء ومبادئهم تلك التي تعكس بدورها قيم المجتمع ومعاييره .  
وفي بداية المراجعة تلعب الثقة المتبادلة والقبول والثبات المتحد مع الدفء تلعب دوراً هاماً في نمو الضمير القوي ٥

## الفصل الثالث عشر

تعريف عملية التطبع الاجتماعي وأهميتها





## الفصل الثالث عشر

### تعريف عملية التطبع الاجتماعى وأهميتها

أن تحديد النمو الاجتماعى مسألة صعبة ، وذلك نظراً لتعدد الدراسات التى تناولت موضوعات يمكن أن تندرج تحت هذا العنوان ، فدراسة الإفعالات والطموح والقيم والعادات السلوكية والعلاقات الاجتماعية واللغة ، ودراسة موضوعات مثل الغضب والعدوان والغيرة والأمان والسعادة والضحك والتعاطف والسلوك الجنسى ، كلها تتصل بالنمو الاجتماعى ، كذلك هناك دراسات متعددة تتناول موضوعات النمو الاجتماعى دون أن تحمل هذا العنوان ، ومن أمثلة ذلك دراسة جنوح الأحداث ونمو الاخلاق .

أما السلوك الاجتماعى فيقصد به السلوك الذى يتأثر بوجود الآخرين وبسلوكهم ، أو ذلك السلوك الذى ينظمه المجتمع ، أو السلوك الذى يقصد به التأثير فى الآخرين كاتقادة (\*) مثلاً فهو سلوك يقصد به التأثير فى اتجاهات الآخرين وفى سلوكهم . أما النمو الاجتماعى Social growth فيقصد به نمو الفرد فى السمات التى تسهل التفاعل الاجتماعى Social interaction أى الإخذ والعطاء والتأثير والتأثر بالجماعة .

أما التطبع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية Socialization فيقصد بها العملية التى يكتسب الطفل بموجبها الحساسية للثيرات الاجتماعية ، كالضغوط الناتجة من

---

(\*) للزيد عن القيادة راجع كتاب المؤلف « علم النفس الاجتماعى » داد النهضة العربية بيروت .

حياة الجماعة والتزاماتها ، وتعلم الطفل كيفية التعامل والتفاهم مع الآخرين ، وأن يسلك مثلهم فى العملية التى يصبح الطفل بموجبها كائناً اجتماعياً وتتضمن هذه العملية تعليم العادات الاجتماعية والاستجابة للثيرات الرمزية كما تعرف أنها العملية التى تساعد الفرد على التكيف والتلاؤم مع بيئته الاجتماعية ويتم إعراف الجماعة به ويصبح متعاوناً معها وعضواً كفواً فيها .

أما التوافق الاجتماعى فيقصد به تلاؤم الفرد وسلوكه لظروف المجتمع ومتطلباته ، بذلك يصبح التكيف الاجتماعى Social adjustment حالة تلاؤم للمجتمع الذى يعيش فيه أو البيئة الاجتماعية والوفاء وشروطه ومتطلباته .

ويتضمن التأثير الاجتماعى Social influence نوعية الأشخاص الذين يعرفهم آباء الطفل والذين يتبادلون وآبائهم الزيارة - ويقدر الطفل آباءه ، وخاصة طفل الطبقة الاجتماعية الوسطى ، لمن يعرفونهم من أشخاص ولما يبدو أنه من حكمة ومعرفة يقول الطفل : بابا ليس ضخماً أو قوى الجسم ولكنه يمسك يدي ويصرف الكثير والناس المهمون يدعونه ليرونهم ويحضر أسبوعياً مبلغاً ضخماً من المال (١) . وربما يرجع لهذا السبب خضوع أطفال الطبقات الوسطى للضبط الأبوى ويبدو أن التعليم الاجتماعى عموماً يتقدم أسرع عندما تفوق نسبة التعزيزات الإيجابية أى المكافأة نسبة العقاب فى تعليم الطفل .

كذلك وجد أن الثبات والديمومة فى معاملة الطفل ل تساعد فى تعلمه حيث يتعرف على أساليب تعديل سلوكه بحيث يحصل على ما يريد ويتحاشى ما يرغب فى تجنبه .

---

(1) Mc Candless, B.R. Children Behaviour and Development  
Second - Ed - Holt, Rinehart and Winston N.Y. 1961.

### أهمية عملية التطبيع الاجتماعي :

لا شك أن عملية التطبيع الاجتماعي هي أكبر إنجازات الفرد ، بحيث يؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الناس حياة يائسة تمسه ويعانون من سوء التكيف Maladjustment كما يخلقون البؤس لغيرهم من الناس . بل إن الحروب ليست إلا نتيجة للفشل الذريع لعملية التنشئة الاجتماعية في الجماعات وتحدث الصعوبات والأمراض الآتية نتيجة للفشل في عملية التنشئة الاجتماعية :

- ١ — الذهان العقلي أى المرض العقلي أو الجنون Psychosis
- ٢ — آدمان الكحول Alcohol addiction
- ٣ — الجنوح أو الانحراف السلوكي Delinquency
- ٤ — السيكوباتية والجريمة Psychopathy
- ٥ — الجنسية المثلية Homosexuality
- ٦ — بعض أنواع الضعف العقلي Mental deficiency
- ٧ — العصاب النفسي ( المرض النفسي ) Neurosis

ولسوء الحظ فإن أكثر المجتمعات تقدماً من ناحية العلوم الطبيعية والإنتاج التكنولوجي ما زال ينتقل إلى علم صحيح للتنشئة الاجتماعية ، كما يحدث في المجتمع الأمريكي الذي تنتشر فيه مثل هذه الاضطرابات والجرائم أكثر من غيره على الرغم مما حققته من تقدم علمي وتقني . أننا في حاجة إلى علم يحدد معالم عملية التنشئة الاجتماعية ؛ ولذلك نجد من يقول إن كل علم النفس هو عبارة عن علم نفس اجتماعي ، ومن أكبر الفروض التي ينبغي اعتناقها أن عملية التطبيع الاجتماعي عملية تعلم في المحل الأول ، فليس الخير أو الشر فطرياً في الإنسان . ويحدث هذا التعلم نتيجة لتوجيهات الآباء ، ونتيجة للخبرة الشخصية للطفل ، ونتيجة

للنضج الجسمى والعقلى والنفسى والاجتماعى ويحدث التعلم على المستويين الشعورى واللاشعورى .

ومن المبادئ الهامة فى عملية التطبيع أن هناك فروقاً فردية واسعة فى مدى تطبيع الأفراد أو خضوعهم لعملية التطبيع . ولقد سقطت فكرة « البذرة السيئة » التى كانت توحى بالإتقال الوراثى لسيمات الشخصية الإجرامية والسيكوباتية ، بل إننا لم نحصل على صلات واضحة بين الحالة الوراثية ومعظم الأمراض العقلية والنفسية بل حتى الضعف العقلى ، ولكن هناك تفاعلاً قوياً وفعالاً بين الجبلة أو الإستعدادية وبين البيئة الاجتماعية والمادية ، هذا التفاعل قد يجعل من السهل أو الصعب على طفل ما أن ينمو راشداً سوياً منضبطاً عاقلاً .

ولقد لاحظ بعض الباحثين تأثير حالة الحمل والولادة على شخصية الطفل فقد لاحظ سوتتاج ١٩٤١ أن الأطفال الذين مروا بحمل صعب كانوا أكثر نشاطاً أو اندفاعاً وتهميماً ، كذلك كشفت الدراسات الطولية للبنو Longitudinal studies أن التفاعل بين البيئة المادية والاجتماعية من ناحية والتكوين الجسمى Physique وكذلك وقت الوصول إلى النضج الجسمى ومستوى النشاط يؤدي إلى تأثيرات مختلفة على الشخصية .

وتلعب العوامل الآتية دوراً هاماً فى عملية التطبيع الاجتماعى :

- ١ — مركز الطفل أو ترتيبه فى وسط أخوته : فالطفل الوحيد غير الطفل الوسيط والطفل المرغوب فيه غير المنبوذ ، والوحيد على عدد من البنات غير الموجود مع عدد كاف من البنات غير الموجود مع عدد كاف من الذكور .. الخ .
- ٢ — سن الآباء فطفل الآباء المتقدمين فى السن غير طفل الآباء والشبان .
- ٣ — البيئة المادية والاجتماعية المحيطة بالطفل .

٤ — الذكاء فالطفل ضعيف الذكاء أقل حساسية للمؤثرات التي تؤثر في تنشئة الاجتماعية .

٥ — التكوين الجسمي للطفل ، فالطفل القوي البنية غير الطفل الضعيف .

٦ — العلاقة بين الآباء والاطفال ونمط معاملة الطفل .

٧ — المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة .

٨ — انتماء الأسرة إلى جماعات الاكثرية أو الأقلية في المجتمع .

تنبع الدوافع الاجتماعية من المواقف التي يمتص فيها الفرد المؤثرات الاجتماعية هذه. المؤثرات تكوين في أول الأمر خارجية بالنسبة للفرد ومن خلاله عملية النمو والتعليم والتفاعل الاجتماعي يمتص الفرد Internalization المؤثرات الاجتماعية ، وبذلك تصبح مثيراته هو شخصياً وذوقه ورغباته هو هذه العملية هي عملية التطبيع الاجتماعي (١) .

أن النتيجة النهائية لتنشئة الفرد الاجتماعية تظهر في اتجاهاته الاجتماعية Social attitudes وأفعاله وأقواله في التعبير عن هذه الاتجاهات . كما تظهر في تعامله اليومي مع غيره من الناس وتفاعله مع الجماعات الأخرى ، ومع نواحي ثقافته . ويؤدي مثل هذا الإحتكاك إلى نشأة اتجاهات محددة نحو هذه الأشياء . فالإنسان لا يولد رأسمالياً أو شيوعياً أو جمهورياً أو ديمقراطياً الخ .. وإنما هو يتعلم أن يكون أيًا من هؤلاء بالخبرة والتجربة (٢) .

---

(١) Sherif, M, and Sherif. G. An outline of Social Psychology Harper and Row, N.Y, 1956.

(٢) راجع باب الاتجاهات في كتاب المؤلف « علم النفس الاجتماعي » د. النهضة العربية بيروت .

### مراحل النمو الاجتماعي :

يذهب إيركسون Erikson ( ١٩٥٦ ) إلى القول بأن عملية التطبيع الإجتماعي تمر بثماني مراحل أو أطوار ، وهو في ذلك متأثر بعمق بإتجاهات فرويد في هذه المراحل ، ولقد افترض هذه المراحل ليس بناء على أعمال تجرييدية ، ولكن من خلال عمله المطول بالعلاج النفسي ، وخاصة مع الأطفال والمراهقين ، ومن أبناء الطبقات الاجتماعية الدنيا والوسطى والعليا . وهذه المراحل مرتبطة أقل بالنظام العضوي عنها عند فرويد ، ولسكنها أكثر ارتباطاً بالتعلم الذي يحدث في المراحل المختلفة . ويعتبر إيركسون أن كل مرحلة عبارة عن أزمة نفسية تتطلب الحل قبل الوصول إلى المرحلة اللاحقة . ويعتبر هذه المراحل كالتتابع المعيارية : فالتعليم المرضي وحل كل مشكلة ضروري إذا كان للطفل أن يمر بالمراحل اللاحقة بنجاح بالمثل فإن أساس المنزل يعد ضرورياً بالنسبة للطابق الأول منه ، الذي ينبغي أن يكون قوياً بدوره لتعصيد الطابق الثاني .. وهكذا .

### وهذه المراحل الثمانية هي :

- ١ — تعلم الثقة في مقابل عدم الثقة Mistrust - trust وتقابل هذه المراحل مرحلة الرضاعة ، وتشمل العام الأول أو الثاني إذ تناولنا الطفل تناولاً حسناً وتمت تغذيته وحبه ، فإنه ينمى في نفسه الشعور بالثقة والأمان والشعور الأساسي بالتفاؤل - وإذا عومل معاملة سيئة - فإنه يفقد الثقة والأمان وجدير بالذكر أن فرويد أطلق على هذه المرحلة اسم المرحلة الفمية ( \* ) .
- ٢ — تعلم الذاتية أو الإستقلالية في مقابل الشعور بالعار ، ويعتقد إيركسون .

---

( \* ) لمعرفة المزيد عن مراحل فرويد في النمو - راجع كتاب المؤلف ( معالم علم النفس ) .

أن الازمة النفسية الثانية تحدث في الطفولة المبكرة (من ٢ — ٤ سنوات) وتقابل المرحلة الشرجية عند فرويد ، وهي المرحلة التي يحدث فيها أكثر مظاهر التعليم وضوحاً وضبطاً ، وتعنى بها التدريب على عادات الإخراج ، ويخرج الطفل الذي يلقي معاملة والديه حسنة من هذه المرحلة متأكداً من ذاته سعيداً مبهتاً بتمكنه من الضبط الجديد القوي ، ويشعر بالفخر أكثر من شعوره بالعار .

٣ — تعلم المبادأة Learning initiative في مقابل الشعور بالذنب . ويعتقد ايركسون أن هذه الازمة تحدث في سن اللعب أو سنوات ما قبل المدرسة، وتبدأ تقريباً من سن الثلاث سنوات ونصف . وفي أثناءها يتعلم الطفل الذي ينمو نمواً صحيحاً ، أن يتخيل وأن يوسع مهاراته من خلال اللعب النشط من كل الأنواع بما في ذلك اللعب الخيالي ، كما يتعلم التعاون مع الغير ، وأن يقود غيره بالمثل كما يتبع أو ينقاد للغير . أما إذا أعاقه الشعور بالذنب ، فإنه يصبح ضائعاً يقف دائماً على هامش الجماعات ، ويستمر في الإعتماد على الكبار بدون حاجة فعلية إلى ذلك ويعاق نموّه في مهارات اللعب Play skills وفي الخيال .

٤ — تعلم الإجتهاد في مقابل الشعور بالنقص Inferior . وتحدث في سنوات المدرسة الابتدائية ، وقد تمتد لتشمل بعض سنوات المدرسة الإعدادية وهنا يتعلم الطفل إتقان المهارات الأكثر رسمية "الازمة للحياة" ، كال تعامل مع الجماعة تبعاً للقواعد ، والتقدم من الألعاب الحرة إلى اللعب المنتظم عمداً أو المشكل طبقاً للقواعد . وقد يتطلب فريق للعب وكذلك إتقان الدراسات الإجتماعية والقراءة والحساب . وهنا يشعر الطفل أن عمل الواجبات المنزلية أصبح ضرورياً ، وأن التأديب الذاتي يزداد تدريجياً ليصبح الطفل الذي فقد

الثقة ، شكاً في المستقبل ، والطفل الذي يشعر بالذنب من المراحل السابقة يشعر الآن بالهزيمة والنقص .

٥ — تعلم الهوية Identity في مقابل اضطرابات الهوية ، وتحدث هذه الأزمات النفسية في نظره في سن المراهقة من حوالي ١٣ — ٢٠ سنة . فقد أصبح الطفل الآن مرافقاً ، يستطيع أن يجيب إجابة مرضية سعيدة للتساؤل من : أنا ؟

ولكن أحسن المراهقين تكيفاً يعانون من بعض الإضطرابات في الهوية Identity diffusion ، وخاصة الذكور ، حيث يعانون من جنوح بسيط يظهر في شكل عصيان أو تمرد rebellion ومن الخجل والشك وهنا تنمو نظرة المراهق للزمن — ويكتسب اليقين في مقابل الشك والحساسية . فيقوم بأدوار إيجابية في الغالب بدلا من اعتناق الهوية السلبية ( كالجنوح ) فيحاول المراهق الناجح أن يحصل على بعض الانجازات بدلا من الشك من جراء مشاعر النقص . وفي المراهقة المتأخرة ( يكتسب المراهق الرجولة وتكتسب المراهقة الانثى - صفات النسائية ) وأحيانا يسعى للقيادة والتدريج ينمي نمطاً من المثل المرغوبة ، وفي الغالب ما يلعب المراهق عدة أدوار حتى يجد أكثرها ملائمة له .

٦ — تعلم الصداقة الحميمة Intimacy في مقابل العزلة . لأول مرة يشعر المراهق الناجح بالصداقة الحميمة والحقة .. التي يمكن أن يقوم على أساسها الصداقة المستدامة .

٧ — تعلم الإنتاجية generativity في مقابل الاستغراق في الذات Self-absorption في مرحلة الشباب المبكرة يتطلب النمو النفسي تعلم الإنتاج سواء في الزواج أو الأبوة وفي العمل وفي الإبداع أو الابتكار .



٨ — تعلم التكامل Integrity في مقابل اليأس Dépair إذا مرت  
اللازمات السبع الماضية بنجاح ، فإن الشباب الناضج يصل إلى قمة التكيف أى  
التكامل . فهو الآن يثق فى نفسه ، ويشعر بالإستقلال ، ويعمل بجدية . ويجد  
لنفسه دوراً محدوداً فى الحياة ، وينمى فى نفسه مفهوماً عن الذات Self « Concept  
يكون سعيداً بهذا المفهوم ، ويصبح ودوداً دون توتر أو ذنب أو أسف أو  
بعد عن الواقعية ، ويصبح فخوراً بما يبتكر أو ينتج من أولاد وبعمله أو  
أورباياته . أما إذا فشل فى حل أى من الازمات السابقة فإنه يشعر باليأس .

هذه المراحل ليست إلا وصفاً لفظياً لكيفية نمو الشخصية . ذلك لأن المهم  
هو تحديد الظروف البيئية التى تساعد الطفل على نمو هذه الصفات الإيجابية  
وغيرها .

أن التطبع الاجتماعى هو عملية تعلم تحويل الكائن البشرى من حالة الطفولة أو  
الرضاعة ، ومن حالة الضعف والانانية إلى حالة الراشد المثالى الذى يدين  
بالإمتثال المعقول Sensible Conformity مع وجود سمات الإستقلال  
والإبتكار (١) والإبداع .

#### التنشئة الاجتماعية فى الطفولة المبكرة :

تستخدم المجتمعات طرقاً مختلفة فى العناية بالطفل ، بل إنه فى داخل المجتمع  
الواحد تختلف هذه الطرق من طبقة إلى أخرى ، أن المؤثرات الثقافية تبدأ فى  
التأثير فى شخصية الطفل فى اليوم الأول من ميلاده .. وتؤثر الالم فى الطفل

---

(1) Erikson, Eh., The problem of ego identity, J. Amer  
Psychoanal ism 1956. 4,56 — 121.

عن طريق أسلوب معاملتها لإيلاء في التغذية وطرق إطعامه والمعروف أن الأم تسعى لتحقيق هدفين من وراء تغذيته هما :

أ — تغذيته .

ب — تدريبه على تناول الطعام بطريقة صحيحة .

التغذية مسألة فسيولوجية وهناك بعض الثقافات التي تفضل الطفل الممتلئ الجسم ، بينما هناك ثقافات أخرى تفضل الأطفال النحילים ، وتستهدف د أم ، الطبقة المتوسطة في المجتمعات الغربية أن يتدرب طفلها على تناول طعامه بدون ضوضاء أو إحداث أصوات ، وبدون أن يسكب على نفسه ، وأن يأكل كل الطعام من طبقه وأن يستخدم ملعقة وشوكة وسكيناً بطريقة سليمة . بل أن نظام تغذية الأطفال يتغير داخل المجتمع الواحد بمرور الوقت ، فقد تغيرت هذه العادات في المجتمع الأمريكي منذ عام ١٩٢٠ حتى يومنا هذا عدة مرات ، على القليل فيما يختص بعدد الوجبات وموعد كل وجبة . ففي العشرينات كان أطباء الأطفال يوصون بإتباع نظام في تغذية الأطفال مكون من ٣ وجبات يومياً — أما المستشفيات فكانت تتبع نظام تقديم ست وجبات يومياً هي كالتالي :-

١ — الساعة ٦ صباحاً      ٢ — الساعة ١٠ صباحاً

٣ — الساعة ٢ بعد الظهر      ٤ — الساعة ٦ مساءً

٥ — الساعة ١٠ مساءً      ٦ — الساعة ٢ صباحاً

أما الآباء فكانوا يرغبون في إتباع نظام يشبه نظام الكبار في الطعام ، ولذلك حذفوا وجبة الساعة الثامنة صباحاً ، ولكن الثقافة لا ينبغي أن تتجدد نمو الطفل عن طريق وضع أنظمة صارمة في تغذيته ، وبالطبع لم يكن نظام الست وجبات هذا ملائماً لكل الأطفال ، وكان على الآباء أن يتحملوا بعضاً من صراخ الطفل قبل الوجبات .

<sup>١</sup> وفي الأربعينات بدأ يتحول الإتجاه نحو نظام الطلب الذاتي Self - demand Schedule ، وبموجب هذا النظام يقدم الطعام للطفل كلما بكى طلباً له . والتقيد الوحيد الذى وضع فى إحدى الدراسات كان ضرورة إنقضاء ساعة كاملة بين أى وجبة والإستجابة لطلب الطفل للطعام . ولقد تبين أن معظم الاطفال كانوا يطلبون الطعام بعد ثلاث ساعات ونادراً ما كانت تصل هذه المدة إلى أربع ساعات وخاصة فى الأسبوع الأول من الميلاد وكانت هذه المدة أطول أثناء الليل عنها أثناء النهار ( ٣٦ فى مقابل ٢٩ ساعة ) وبالطبع يتغير النظام المرغوب بتقديم الرضيع فى السن . واستمر هذا الإتجاه فى التزايد حتى أصبح هناك حاجة إلى الإستفادة من نظام الإتنظام فى الوجبات ومزايا الطلب الذاتى أى الإيمان بنظام معين دون أن تكون عيباً لهذا النظام مع مراعاة فردية كل طفل . والمقصود من خضوع الطفل لنظام الوجبات الثلاث أو الأربع ، هو خضوعه للمعايير الحضارية فيما بعد ، ويؤثر الغذاء تأثيراً أعمق فى شخصية الطفل إذا لاقى صعوبات فيما يختص بالغذاء حيث يشعر بعدم الأمان . ولا يحتاج الطفل فقط لتفريغ زجاجة الطعام فى جوفه بطريقة آلية ، بل إنه فى حاجة إلى المص . ولقد وجد أن الطفل فى حاجة إلى الإمتصاص لمدة ساعتين يومياً وإلا يضطر إلى مص أصابعه أو ملابسه أو لبه أو أشياء أخرى ، كذلك لعملية النظام أثر نفسى قوى إذا تمت بطريقة فجائية أو قاسية تؤدى إلى صعوبات إنفعالية يعانى منها الطفل (١) .

---

(1) Hilgard, E.R. introduction to Psychology Ruhert Hart - Davis ondo, 1962.

## «المؤسسات التي تسهم في عملية التطبيع الاجتماعي :

من أول هذه المؤسسات التي تؤثر في نمو الطفل الأسرة ؟

### دور الآباء :

أن عملية التطبيع الاجتماعي لا تعتمد على الطفل وحسب بل الآباء أيضاً ،  
لأنها على القليل بمفهوم الضبط الاجتماعي ، لا تحدث إلا إذا كان الآباء يعززون  
سلوك الطفل ، أو يكافئونه عليه فإذا لم يقيم الآباء بدور تقديم التعزيزات  
والمكافآت للطفل ، فإن عملية التطبيع الاجتماعي سوف تتأخر أو تعاق ويتحقق  
تعريف سلوك الطفل عن طريق عناية الآباء بجسمه وبتدفئته ومأكله ومشربه على  
شروط أن يتم ذلك بطريقة رقيقة في أثناء تغذيته وتنظيفه وإستحمامه وتغيير  
ملابسه ووضع في الفراش على شرط ألا يتم ذلك بهرود أو بطريقة آلية  
ميكانيكية ، وإنما يصاحبه تقبيل الطفل أو التودد إليه والتربيت عليه ولمس جسمه  
وتدليك والغناء له حتى ينام .

ولقد وجد رينجولد ( ١٩٥٦ ) Rheingold أن حاجات الطفل المصحوبة  
بالمثيرات الاجتماعية بما في ذلك الإتصال الجسمي به ، يؤدي إلى تكوين طفل أكثر  
إستجابة من الناحية الاجتماعية عن قضاء هذه الحاجات بطريقة فازة باردة  
وبكفاءة ، ولكن دون علاقات شخصية ومثل هؤلاء الاطفال يسرعون في النمو  
الاجتماعي عندما يتغير نمط معاملة الآباء معهم ، ويشعرونهم بالرغبة والرعاية  
والرقة والحب ، كذلك وجد أن الرضيع يصبح قادراً على الإستجابة الاجتماعية  
وتزداد عنده عندما إستجيب الكبار بطريقة إجتماعية لإستجابات الطفل الصوتية  
المعبرة Vocal response وينبني تدريب الطفل على الإستجابة الاجتماعية  
أو توجيهها إلى القنوات الصحيحة عندما يبدأ في إظهار مثل هذه الإستجابات ،

وذلك حتى تصبح مقبولة لدى الآباء والأخوة والأخوات ، ثم المجتمع ككل بحيث يظهر الطفل الإستجابات الملائمة في السن الملائم ، فإستجابات الغشاء وإشارات دباى دباى ، مناسبة لسن عام واحد ولسكنها غير ملائمة لسن مدرسة الحضانة كذلك تبلييل الفراش مقبول في سن عام واحد ، وكذلك غير مقبول في سن الأربع سنوات . وبالمثل البكاء من أجل الطعام مناسب في سن ٩ شهور ، ولكنه غير ملائم في سن ٩ سنوات . فهناك حاجة إلى مزيد من الضبط والتوجيه لسلوك الطفل منذ الوقت الذى يبدأ فيه فى عمل الإستجابات الإجتماعية حتى يصبح مدنياً أو متحضراً خاضعاً للقانون . ونسبياً راشداً كبيراً وغيرياً أو غير أمانى .

وتبدأ عملية الضبط الإجتماعى والتكيف والتلاؤم مع تفاعل الطفل مع الآباء ثم مع أسرته ثم تستمر مع زملاء اللعب والأقارب والمدرسين وينبغى على أى مؤسسة تعمل لتحقيق التطبيع الإجتماعى أن تقدم نمطاً من الآتى : —

#### التطبيع الإجتماعى



بحيث يكون الطفل الإتجاه نحو طاعة القانون واللياقة الإجتماعية فى سن الرشد ، وبحيث يصبح سعيداً وهادئاً وقادراً على القيام بدور الذكر أو الانثى المطلوب من هم فى مثل سنه ، وقادراً مهنيّاً على كسب رزقه .

نظم الآباء فى التعزيز :

للمرور فى مراحل النمو المبكرة هناك حاجة ماسة إلى توجيه "طفل" ، ومن

البديهي أن يكون المنزل هو المصدر الأول لتقديم مثل هذا التوجيه، ويمكن تمييز منهجين في مثل هذا التوجيه هما : —

١ — إتجاه سيكولوجي قائم على الحب والمكافآت غير المادية . وهنا يسحب الحب أو يهدد بسحبه ، كما لا تعطى للطفل زجاجة الطعام في نفس اللحظة التي يطلبها فيها . وإذا أصبح « شقياً » ، ينعزل عن الآباء وهو يشترك في النشاط واللعب . لكن يبقى لبعض الوقت داخل عربته أو حجرته ، يرى الطفل مثل هذه النماذج من الحرمان كتهديد بإسحاب الحب ، ولذلك فإنه يعمل ، فيما بعد على تعديل سلوكه لكي لا يفقد هذا الحب . وهناك أشكال أكثر تعقيداً من التهديد بسحب الحب كالحرمان من الملاطفة أو العناق أو التريبت أو الإبتسام أو كلمة المديح التي يتوق إليها الطفل .

٢ — يعتمد المنهج الثاني على الأشياء المادية ، ويتراوح ما بين إزال العقاب البدني إلى حرمان الطفل من الطعام لتحويله إلى السلوك الطيب .

أما المنهج السوء ، فإنه يعلم الطفل الخوف من الأشياء المحسوسة المادية وهنا يقول الطفل لنفسه لا بد أن تكون حسن السلوك حتى لا ينكشف أمرك . وتنال العقاب . فالضبط هنا من خلال الشعور بالعار . أما في منهج الحب فالضبط من خلال الشعور بالذنب ، ولكن إذا كان الشعور بالذنب قاسياً جداً فإنه يشل حركة الطفل ونشاطه . أما الشعور بالعار فيعتمد على « توقع رجل الشرطة » ، في كل مكان « يترصد » الطفل للإمساك به .

ولقد إتضح أن منهج الحب أكثر فاعلية من الناحية الاجتماعية بحيث يتجنب . الطفل الخطأ في غيبة الكبار أو ممثلي السلطة ، ويمكن تمييز نوعين من التمييز في . معاملة الآباء للطفل : —

١ — تعزيز إيجابي Reinforcement ويتمثل في عبارة الأم « ماما تحبك »  
« لأنك عملت كذا وكذا .. أو ماما سوف تعطيك كذا وكذا إذا عملت كذا .. » .

٢ — تعزيز سلبي ، ويتمثل في قول الأم لطفلها « ماما لن تحبك إذا عملت  
كذا وكذا .. أو ماما سوف تصفحك إذا عملت كذا وكذا .. » .

وواضح أن التعزيز الإيجابي يمنح المكافآت ، أما السلبي فيعطى العقاب ،  
وهنا تساؤل ، أيهما أكثر فاعلية في تعليم الطفل الشواب أم العقاب ؟

هناك أدلة تجريبية مؤداها أن الطفل يتعلم أسرع إذا تلقى كلا من الشواب  
والعقاب في التعزيز ، فالتعزيز الإيجابي لتعليمه ما ينبغي أن يعمل به ، والتعزيز  
السلبي يعلمه ما لا ينبغي عمله . وعلى ذلك فإذا تلقى الطفل تعزيزات في النوعين  
فإنه يحاط علماً ، بصورة أكثر شمولاً ، مما لو تلقى تعزيزات من نوع واحد .

وتتضح هذه الفكرة من أبحاث كل من مارتوب ومور وسيجار  
Martup Moore and Seger (١٩٦٣) الذين وجدوا أن الاطفال الذكور  
الصغار يتعلمون الأدوار الجنسية الملائمة إذا منحت لهم المكافآت على السلوك  
بطريقة فيها ذكورة ، ويبحثون عن اللعب الذكورية ، ويعاقبون عندما يعملون  
أعمالاً بنائية أو أنثوية أو يبحثون عن لعب ودمى البنات ، وبالنسبة للإناث ،  
على العكس من ذلك ، فكانت تعطى لهم المكافآت عندما يبحثون عن الأشياء  
« البنائية » بما في ذلك اللعب ، وكن يعملون عندما يتصرفون بطريقة « صبيانية »  
أو يسعين للحصول على لعب الصبيان ، بل إن فاعلية التعزيزات تتوقف على  
الطريقة أو الأسلوب الذي يمنح به التعزيز ، فلو وجد أن التعزيز سواء كان  
إيجابياً أم سلبياً عندما يمنح مباشرة وبشبات أو ديمومة واستمرارية وبسخاء  
أم بكرم فإن التعلم يتم بسرعة أكثر منه عندما يكون مؤجلاً أو بدون ثبات أو

عندما يكون ضعيفاً أو هزئياً أو قليلاً ولكن هذا الفرض يحتاج إلى كثير من الدراسات ، لأن كمية التعزيزات تبعاً لهذا الفرض ، تغير كمية التغيير في السلوك ، ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نضاعف من السلوك الحسن في سلوك طفلي ما ، فإننا نضاعف من مقدار ما نعطي له من مكافآت. كذلك فإن التعزيز الجزئي يجعل الطفل تواقاً إلى المزيد من التعزيز فيواصل العمل الجيد ، أما إذا حصل على كل التعزيز ، فإنه ينقذ الإهتمام بمزيد من تحسين السلوك .



## أثر وجود الأب في الأسرة

ما هو التأثير الذي يتركه وجود الأب في الأسرة على شخصية الطفل ، لقد أجريت دراسات كثيرة منها دراسة سيرز Sears (١٩٥١) ووجد أن الصبيان الذين نشأوا في بيوت مع الآباء كانوا أكثر عدوانا ، على القليل في خيالهم ، عن زملائهم الذين غاب الأب عن منزلهم.

كما كانوا أكثر ثقة ، وكانوا أكثر استعداداً لتأجيل الحصول على مكافآت صغيرة في سبيل الحصول على مكافأة أكبر ، ولكنها مؤجلة ، كذلك وجد أن الأطفال الأكبر سناً والأكثر ذكاء كانوا أكثر استعداداً لتأجيل الإشباع المباشر. كذلك وجد مولتون Moulton (١٩٦٦) أن الآباء الأكثر قوة وحباً هم أكثر قدرة على إنتاج أطفال يضبطون أنفسهم بواسطة ضمائرهم ، وأن الأطفال الذكور الذين يمتاز آباؤهم بالقوة والحب كانوا أكثر ذكورة عنهم عندما تكون الأم هي الشخصية القوية والمحبة . كذلك وجد جروسيك Gursec (١٩٦٦) أن الكبار الذين يكافئون كثيراً يجعلون الطفل أكثر استعداداً لنقد نفسه (أكثر مما يلوم الآخرين مثلاً) وذلك بالمقارنة بالآباء الذين لا يكافئون أطفالهم سواء كانت المكافأة بالعطاء أو العقاب .

### مصادر القوة في عملية التنشئة الاجتماعية :

يحدد ولوتز Wolowtz (١٩٦٥) مصادر القوة التي يتم خلالها تقديم التعزيزات بأنها : —

- ١ — القوة الفيزيائية ويدركها الطفل مبكراً ويعتقد أن والده يمتلكها أكثر من والدته .
- ٢ — القوة الجنسية ولا يدركها الطفل إلا متأخراً نسبياً حيث يدرك أن

والديه يمثلان قوة جنسية ، إذا كانت العلاقات الجنسية مجرد علاقات شهوانية أو  
بهيمنية ، فإن فكرة الضفل عن الجنس تنمو سيئة .

٣ — الحكمة ، وللأسف فإن الحكمة في المجتمع الحاضر لا تبدو محترمة  
كما ينبغي .

٤ — التأثير الإجتماعى ، ويتضمن نوعية الأشخاص الذين يعرفهم آباء  
الطفل والذين يتبادلون وأياهم الزيارة ، ويقدر الطفل آباءه وخاصة طائفة الطبقة  
الإجتماعية الوسطى بمن يعرفهم من أشخاص ، ولما يدونه من حكمة ومعرفة ،  
يقول الطفل .. « بابا ليس ضنخا أو قوى الجسم ، ولكنه يعرف الكثير ، والناس  
المهمون يعزموه لبيوتهم ، ويحضر للبيت أسبوعيا مبلما ضنخا من المال » (١)  
وربما يرجع لهذا السبب خضوع أطفال الطبقات الوسطى للضبط ويبدو أن التعليم  
الإجتماعى عموما يتقدم أسرع عندما تفوق نسبة التعزيزات الإيجابية أى المكافآت  
نسبة العقاب . كذلك وجد أن الثبات أو الديمومة فى المعاملة تساعد فى تعلم الطفل  
حيث يتعرف على تعديل سلوكه بحيث يحصل على ما يريد ويتحاشى ما يرغب  
فى تجنبه .

#### تفسير عملية التطبيع الإجتماعى :

هناك نظريات كثيرة لتفسير عملية التطبيع الإجتماعى . أن نمو الفرد يتوقف  
على مدى رؤيته وردة فعله لقوى التطبيع الإجتماعى التى يستخدمها المجتمع معه .  
يضع المجتمع الصورة التى يرغب أن يكون عليها نساؤه ورجاله . ويضع عدة  
قواعد لإرشاد الآباء والمعلمين فى ذلك ، ولكن كيف يرى الطفل هذه العملية ؟

---

(1) Mc Candless, B.R. op. cit

. وما هي المفاهيم والقوى التي تمكن في داخل الطفل والتي تحدد نوع إاستجابته لهذه المؤثرات الإجتماعية ؟

هناك إتجاهان نظريان في عملية التطبيع الإجتماعي هما :

أولاً : نظرية التحليل النفسي ونظرية التعلم الإجتماعي فكلاهما يرى أن الراشد الكبير هو المحصلة النهائية لعملية تعلم الأسرة والبيئة كما يراها الطفل وكما تؤثر فيه أي تعاليم الأسرة والبيئة . فإذا كانت هذه القوى معتدلة كان الطفل سعيداً وإذا كانت مؤذية أو ضارة كان الطفل تأساً . فالكائن الحي تصقله وتشكله خبراته فيصبح جيداً أو سيئاً تبعاً لجودة أو سوء مثل هذه الخبرات .

تصنع النظرية التحليلية تأكيداً أكثر من نظرية التعلم الإجتماعي ، على بعض مراحل النمو التي تؤثر فيها الخبرات أكثر من غيرها من المراحل . وهذه السن تبدأ من الميلاد حتى سن السابعة . أما نظرية التعلم الاجتماعي فتري أن الطفل كائن قابل للتعديل والتغيير في أي سن كانت .

ثانياً : يذهب الإتجاه الثاني إلى الزعم بأن قوى النمو في داخل الكائن البشري هي في الأساس خلافة ، فإذا كان الطفل مقبولا وإذا لم توصد الأبواب أمام إشباع حاجاته ، فإنه ينمو شخصاً سعيداً خلقياً واجتماعياً . مثل هذه النظرية لا تقلل من أثر التعلم ، وإنما هي فقط تدعى أنه إذا كان الطفل يعيش ظروفًا بناءة فإنه سوف يوجه نفسه نحو القنوات البناءة ويتخذ التعلم النشاط دوراً أقل في هذه النظرية عنه عند فرويد وفي نظرية التعلم الإجتماعي . والعنصر الأساسي في بيئة الطفل هو القبول ، وكان جان جاك روسو هو أول من قال بمثل هذه النظرية في كتابه (أميل) وما زال يعتنقها كثير من علماء النفس من أمثال كارل روجرز وماسلو Maslow, Rogers وجيزل Gesell وإن كانوا يختلفون عنه في بعض التفاصيل .

ويمكن تشبيه هاتين النظريتين بحالات من مجال البستنة، فالنظرية الأولى ينطبق عليها المبدأ القائل: كما ينشئ الجذع تنمو الشجرة على غرارهِ .

وعلى ذلك يوصى بتوفير البيئة الجيدة ذات التربة الصالحة والضوء والماء والتخصيب الضروري ، ولكن التعليم أو التشذيب الفعال والتشكيل والتطعيم والتسميد لا بد من ممارستها ، والنظرية الثانية أيضاً تطالب ببيئة ذات تربة ملائمة وضوء وماء وربما أيضاً سماد ، ولكنها تميل إلى الاعتقاد بأن الطبيعة لديها أفضل معرفة عن كيف تنمو الشجرة .

فالتعليم والتطعيم والتشكيل والتسميد والتلقيح التهجين تترك محلهما للمجرب الطبيعي للأحداث وللطبيعة الفعارية للكائن . النظرية الأولى تنادى بزبد من التعلم النشط كعمل مرغوب ، والثانية تنادى بقليل من هذا التعلم .

وطبقاً للنظرية الأولى ، فإن الطفل سوف يصبح اجتماعياً وغيرياً وإشارياً وواقعاً من نفسه للحد الذي يلزمه لكي يكتيف نفسه مع الآخرين ، ولكن بشيعة حاجة . وتتوقف سهولة هذه العملية على مدى كفاءة المعلم ومهارته وعلى مدى ملائمة وكفاءة وفاعلية عملية التدريس ، وطبقاً للنظرية الثانية فإن بذور عملية التنشئة الاجتماعية تكمن فى الناس ، وسوف تصل إلى أقصى درجات النضج فى بيئة تمتاز بالقبول والطف ، ولكنها بيئة سالبة . وربما يضع جيزل كثيراً من الأهمية للاستعدادية الموروثة أكثر من كارل روجرز . فجيزل لا يقبل القول بأن إعطاء الفرد البيئة المناسبة سوف يؤدي إلى نموه النمو الملائم .

والواقع أننا لا نعرف الصحيح من هاتين النظريتين ، بل ربما لا نعرف إذا كان كلاهما صحيحاً أم خطأ ، فكلما يضع وزناً كبيراً على جوانب البيئة فى التنشئة الاجتماعية ، فالنظرية الأولى يمكن وصفها بأنها نظرية تعليمية بينما النظرية

الثانية إرتقائية . ويمكن اعتبار فرويد ممثلاً للنظرية الأولى وجيزل ممثلاً للثانية النظرية الفرويدية تؤكد دائماً النزعة الاجتماعية الفطرية فى الإنسان ، بمعنى أن أن الطفل الصغير الانانى يجب أن يتحول إلى شخص راشد كبير إيثارى قادر على تأجيل لذاته .

وهكذا يكشف فرويد دائماً عن نزعته التشاؤمية نحو الإنسان ، فهو يعتبر الإنسان أنانى بطبعه ، بل إنه يشكك فى كثير من القيم والمشاعر كحب الطفل لابويه أو حب الآباء والامهات لابنائهم عندما يفسر هذا الحب بإرجاعه إلى ما أسماه عقدة أوديب وعقدة ألكترا . ونظرية التعلم الاجتماعى لا تضع إفتراضات إزاء هذه المسألة ، ولكنها تفترض أن الإيثار وتأجيل إشباع الذات يتم تعلمها أكثر من كونها فطريتين ويضع جيزل كما يضع فرويد تأكيذاً كبيراً على تواضع ونواتج النمو ، ولكن فرويد لا يضع كل الأهمية -- كما يفعل جيزال -- للوراثة. كعامل يحدد للفروق الفردية بين الناس .



## الفصل الرابع عشر

دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية .





## الفصل الرابع عشر

### دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية

يمكن وصف عملية التنشئة الاجتماعية Socialization بأنها العملية التي تتشكل خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه وإتجاهاته وسلوكه Standards, skills, motives, attitudes and behavior لكي تتوافق وتتفق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنة لدوره الراهن أو المستقبل في المجتمع . وتبدأ هذه الحماية الحيوية منذ اللحظة التي يرى فيها الطفل الحياة على هذه الأرض ، ويستقبل الحياة أما عن طريق أم تتم بإرضاعه وتدنيته وإشباعه أو أم تتركه يبكي . ومؤدى هذا أن عملية التنشئة الاجتماعية تتضمن مهارات الفرد إلى جانب قيمه ومثله ومعايير ، وأنماط سلوكه ، وهي تبدأ منذ أن يولد الطفل وتستمر مدى الحياة .

وهناك كثير من الجماعات والمؤسسات التي تلعب دوراً رئيسياً في عملية التنشئة الاجتماعية ، من ذلك الآباء والأمهات ، والأخوة والأخوات والأصدقاء والمعلمين والمعلمات يسهمون في نقل القيم Values وفي توجيه سلوك الطفل وتعديله . ومن الأهمية بمكان أن نتعرف على الوسائل التي تستخدم في تعديل هذا السلوك وذلك الإتجاه . وتهتم كذلك بهذه العملية مؤسسات اجتماعية أخرى كالمسجد والجمعيات الدينية والمنظمات القانونية بنقل مظاهر الثقافة Culture والاخلاق الاجتماعية وتعمل على الإبقاء على السلوك المقبول خلقياً وقيماً .

• Valued

وعلى ذلك ينظر البعض لعملية التنشئة الاجتماعية على أنها العملية التي يتعلم

من خلالها الأعضاء الجدد في المجتمع قواعد لعب مباراة الحياة The rules of the game . ومعظم مؤسسات التنشئة الاجتماعية تستهدف جذب أعضاء جدد لكي يقوموا بأدوار « اللعبة » ، وفقا للطريقة التي يرغبون فيها ، وكأن هذا الإلتزام هو الكفيل بتنفيذ شروط العقد الاجتماعي Social Contract . ولكن الطفل الصغير لا يرى هذه الحماية من هذا المنظور ، وإنما يعتبرها قواعد تعسفية Arbitrary [ بل يعتبرها أداة من أدوات الحرمان والمنع من الإشباع gratification من ذلك القواعد التي عليه أن يراعيها في المأكل والمشرب والملابس وفي مراعاة حقوق الآخرين وملساكتهم ، وفي إتباع القواعد الخاصة بالانظافة عند قضاء الحاجة ، وضرورة الإلتزام بالهدوء في أثناء الإستماع إلى شرح المعلم . وتتضمن التنشئة الاجتماعية نوعا من التضحية أو تأجيل اللذة والمتعة وقبول المعايير ، ومراعاة سعادة ورفاهية الآخرين welfare of others في مقابل السعادة الذاتية .

وإذا كانت المؤسسات التي تسهم في هذه العملية تختلف في أدوارها ، إلا أنها تشترك جميعاً في تشكيل قيم الطفل ومعتقداته وسلوكه ، بحيث ينحون نحو النمط المرغوب فيه دينيا وخلقيا وإجتماعيا . وتضع هذه المؤسسات قواعد وتفرضها عن طريق بسط العقاب على مخالفتها ومنح الثواب والجزاء الحسن على إتباعها . وكل جماعة من جماعات التنشئة الاجتماعية تمارس نمطا معيناً من السلوك ، يستطيع أن يكتسبه الطفل عن طريق (١) التعلم الذي يسمّى عن طريق الملاحظة observational learning . ويوفر المنزل والمدرسة وجماعة الأنداد وتوفر المواقف التي تتضمن الفرص السانحة لكي

---

(1) Hetherington, E.M., Child Psychology, 1979.

يمارس الطفل المهارات الاجتماعية المرغوبة . وتعمل هذه الجماعات من أجل النمو الخلاق في الطفل ومن أجل تنمية قدرته الذاتية على الضبط والتحكم في نفسه ، ومن أجل قمع العدوان aggression وفي نفس الوقت تشجيع السلوك المرغوب اجتماعيا ، أو التحصيل ، وتشجيع السلوك الملائم لجنس الطفل ذكرًا أم أنثى . وعلى الرغم من أن وجهة النظر القديمة كانت تنظر إلى عملية التنشئة الاجتماعية على أنها عبارة عما يقوم به الآباء والأمهات والمعلمون والمعلمات ورجال الوعاء والإرث والدين .. من تشكيل لقيم الطفل وأنماط سلوكه ، إلا أن وجهة النظر الحديثة تعتبر أن هذا التشكيل عملية متبادلة mutual ذلك لأن الأسرة يمارس أعضاؤها وظائف معقدة ومتداخلة حيث يؤثر كل عضو من أعضائها في وظائفها ، كما يتأثر كل عضو بوظائف الأسرة ككل .

تختلف أساليب التنشئة الاجتماعية من مجتمع إلى آخر ، ومن عصر إلى عصر ، كما تختلف داخل المجتمع الواحد ، باختلاف الطبقات الاجتماعية . بل أن ما يعتبر معياراً مطلوباً في مجتمع ما قد يعد مرضاً أو شذوذاً أو إنحرافاً في مجتمع آخر . ونحن إذا ما قارنا أساليب تنشئة الأطفال في مجتمعنا العربي منذ مائة عام وتلك الأساليب الآن لوجدناها مختلفة إختلافاً جوهرياً .

كذلك تختلف هذه الأساليب باختلاف الطبقات الاجتماعية . وهناك ظروف إجتماعية طرأت على مجتمعنا أدت إلى تغيير هذه الأساليب ، من بينها إشغال المرأة ، وارتفاع المستوى الإقتصادي للأسرة ، وارتفاع نسبة التعليم والهجرة من الريف إلى المدن ، وظهور الأسرة الصغيرة الحجم ، وارتفاع مستوى الطموح ، واتخاذ مظاهر الحضارة الغربية ، وزيادة الاتجاه نحو قبول المساواة بين الرجال والمرأة في الحقوق والواجبات ، وظهور النهضة الصناعية ، واستقدام

التكنولوجيا الغربية ، وزيادة وسائل النقل والمواصلات والاتصال .

ولقد أثرت هذه الظروف في أنماط تربية الطفل حيث خفت حمدة إتجاه الصرامة والشددة والحزم وفرض العقاب ، وزيادة الإتجاه نحو التسامح والتدليل ، والإتجاه نحو قبول كثير من أوجه النشاط التي لم تكن مقبولة بالنسبة للطفل كالنشاط الرياضي والترويحى ، وزيادة الميل نحو أخذ ميول الطفل فى الاعتبار ، وزيادة الإقبال على التعليم وخاصة تعليم البنات .

على كل حال يحمل الآباء بمثابة المصفاة التي تصفى أو تنقى القيم قبل نقلها إلى الطفل filters ، ويمثل الآباء دور المعلم فى عملية التنشئة الاجتماعية ، كما يمثلون اذج أو مثلاً عليا models أمام الاطفال يقتدون بها ويتقمصونها ويقلدونها . ومن هنا كانت أهمية تربية الآباء أنفسهم ، وحسن إعدادهم وتكوينهم وتزويدهم بالعلم والمعرفة والإيمان والعقيدة وآداب إسلامنا الحنيف .

— ولقد دلت البحوث التي أجريت على أطفال المجتمع الأمريكى على أن هناك عدة أساليب يتبعها الآباء فى التنشئة الاجتماعية منها الدفء warmth أو العدوان أو الإعتداء Hostility ، وإتجاه التسامح permissiveness وإتجاه الانضباط Control . وقد تبين أن الآباء الذين يمتازون بالدفء والذين يستخدمون متبجاً معتدلاً فى تقييد سلوك الطفل ، ويتبعون نظاماً ثابتاً قائماً على أساس الحب مثل هؤلاء الآباء فينشأ أبنائهم وهم قادرون على إظهار وممارسة كثير من أوجه السلوك المرغوب فيها من ذلك التكيف أو الملاءمة والمرونة واحترام الذات Self-esteem والكنامة أو المقدرة ، والضبط الذاتى والشجيرة بالنسبة لزملائه ويتضمن منهج الدفء هذا والتأديب القائم على الحب أنشطة مثل الشرح والتفصيل والتأويل والإستدلال أو التعقل ، التفكير والإفناع وسحب الحب أو العطف .

الأطفال يميلون إلى تقليد أفعال كثيرة من سلوك الآباء . ولكن ما الذى يساعد على تسهيل عملية التقليد . يساعد على ذلك الدفء warmth والسيطرة dominance من جانب الآباء تساعد على عملية التقليد . تؤثر السيطرة على التقليد فيما يتعلق بنشاط التفكير فى حل المشكلات problem solving ويؤثر داف الآباء فى تقليد البنات أكثر منه عند البنين .

المعروف أن الآباء فيما مختلفة باختلاف الطبقة الاجتماعية التى ينتمون إليها ، وتؤثر هذه القيم فى عملية التنشئة الاجتماعية لدى أبناء كل طبقة . فالآباء الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الأدنى يقدرون الاحترام والطاعة والإمتثال والدقة والتأدب

responsibility, obedience, conformity, neatness, and politeness<sup>١</sup> فالآباء فى هذه الطبقة الاجتماعية يفضلون أن يكتسب أبنائهم هذه القيم ويقدرونها فيهم . ويهتم مثل هؤلاء الآباء بالنتائج المباشرة لسلوك أبنائهم ، أكثر من إهتمامهم بالدوافع التى تكمن وراء هذا السلوك . والكى يحقق هؤلاء الآباء هذه الأهداف فإنهم يتسمون بالشدّة والحزم ووضوح القيود مع أطفالهم الصغار بينما يمتازون بالتسامح مع أطفالهم الأكبر سناً .

أما آباء الطبقات الاجتماعية الوسطى فيركزوا لإهتمامهم نحو النمو الدخلى للطفل وعلى نمو الشعور بالمسؤولية وتحملها ، وعلى الضبط الذاتى للطفل وعلى دوافع التحصيل والإنجاز .

ولقد دلت التجارب التى أجريت فى البيئة العربية على إهتمام الأسرة الزائد بتوجيه الطفل والمراهق نحو التحصيل الدراسى وتركيزه على هذا النشاط والإلحاح

(1) Ibid. p. 466.

على النجاح فيه ، واعتباره أهم جوانب شخصية المراهق .

وهناك بعض العوامل البنائية والتركيبة التي تؤثر في نمو الطفل والمراهق ، من ذلك حجم الأسرة ، ونوع الطفل ذكرا كان أم أنثى ، وعدد الأخوة والأخوات الذكور والإناث ، كذلك فإن مجيء الطفل بعد فترة طويلة من حرمان الأسرة من الإنجاب يؤثر في عملية النمو ، أو وجود طفل واحد ذكر بين عدد كبير من الإناث ، أو ميلاد طفل بعد أن تكون الأسرة قد أصيبت بموت عدد من الأطفال ،

فالعلاقة الآباء بالطفل الأول تبدو أكثر إلتصافا وقرباً ، ويتطلب الآباء منه كثيراً من التحصيل والإنجاز ، ولكن مثل هذه العلاقة قد تؤدي لميل الطفل نحو الإصابة بالقلق Anxiety وتعرض الأسرة الأمريكية مثلاً لكثير من المتغيرات من أهمها إشتغال الأمهات خارج المنزل ، والإفصال أو الطلاق .

وتدل الدراسات الحديثة على أن الطفل الذي يترى مع أحد الوالدين فقط قد يشب سوياً ، ولكن إذا ظهرت آثار الطلاق أو المعيشة مع أسرة مكونة من أحد الأبوين فقط ، فإن الأطفال الذكور يكونون أكثر تأثراً عن الإناث . فلقد لوحظ لدى هؤلاء الأطفال نقص في النمو المعرفي أو العقلي ، ونقص في الضبط الذاتي في الأطفال الذكور ، لضعف الإشراف الوالدي من قبل الأم ؛

أما بالنسبة لتأثير إشتغال الأم فلم يلاحظ إتجاهات عامة ، وإنما تتوقف نتائج إشتغالها على إتجاهات الأسرة وسماتها وعلى الظروف الإجتماعية والإقتصادية للمنزل بالذات ،

هذه النتائج بالطبع ليس من الضروري أن تنطبق على الأسرة العربية التي  
تمتاز بقوة الروابط العاطفية بين أعضائها ، ومن ثم فإن إشغال الأم العربية  
خارج المنزل وحرمان أبنائها من رعايتها وعطفها قد تكون له نتائج سلبية خلافا  
لما هو عليه الحال بالنسبة للأسرة الأوروبية أو الأمريكية التي تتمتع العلاقات  
بين أعضائها بشيء من البرود أو الفتور العاطفي .

على كل حال هذه المسألة جديرة بأن توجه إليها أنظار الباحثين في مجتمعاتنا  
العربية للوقوف على وجه الحقيقة فيها واقتراح البرامج الكفيلة بحماية أطفال  
الأممات العاملات .

## دور جماعة الرفاق

### في عملية التنشئة الاجتماعية

في الآونة الأخيرة إزدادت أهمية جماعة الرفاق Peers في عملية التنشئة الاجتماعية ، وذلك نظراً لزيادة معدلات إشتغال الأم ، ومع زيادة احتمال التعلم فيما قبل المدرسة ، ويشير إصطلاح الرفاق إلى هؤلاء الاطفال الذين يشبهون الطفل في المستوى الإجتماعى والإقتصادى والتعليمى وفي صفات أخرى كالسن . وظهر حديثاً إتجاه مؤداه أنه يمكن تصنيف الاطفال في جماعة رفاق معينة على أساس من تفاعلهم على نفس المستوى السلوكى من التعقيد أكثر من التصنيف على أساس عامل السن . وذلك لأن السلوك يتوقف على مستوى نضج الطفل أكثر مما يتوقف على عمره الزمنى . ولذلك نجد طفلاً متقدماً في السن يلعب مثلاً في أطفال أصغر منه سناً ، وبطبيعة الحال فإن علاقة الطفل بأسرته تختلف عن علاقته بجماعة الرفاق ، حيث تنقسم علاقته بالوالدين بالكثافة والديمومة والإستمرار أكثر من علاقته بالرفاق .

ويبدى الطفل بعض مظاهر المشاركة الوجدانية مع غيره من الاطفال من سن مبكرة جداً ، قد تبدأ في عامه الأول ، حيث يلاحظ غيره من الاطفال ، وقد يبكى إذا شاهدتهم يبكون . ويزداد تأثير الرفاق في سن ما قبل المدرسة ، حيث يطرأ على سلوك اللعب عند الطفل تغير ظاهر هو الإنتقال من اللعب الإنعزالى isolated play إلى اللعب الإجتماعى Social play ويلاحظ أن هناك تفضيلاً للعب مع الرفاق عن اللعب مع الكبار Adults .

أما عن أهمية اللعب بالنسبة للطفل ، أو الاهداف التى يحققها فى كثيرة ، ومن ذلك تسهيل النمو المعرفى Cognitive development واهم فى إشباع .



حاجات الطفل في حب الإستطلاع ورغبته في إستكشاف موجودات العالم الخارجى المحيط به ، كما يسهم في تنمية الكفاءة الإجتماعية لدى الطفل . وللعلم الخيالى imaginative play أهمية خاصة ، وحدث أى اضطراب في نمو اللعب الخيالى لدى الطفل يؤدي إلى السلوك المضاد للمجتمع antisocial behaviour وإلى نمو الإعتدال على الغير أو التواكل وإلى عدم النضوج الإجتماعى .

وتحقق العلاقات مع جماعة الرفاق كثيراً من الاهداف من بينها تعليم الطفل كيفية اللعب وفقاً لقواعد المباريات الإجتماعية ، وتساعد في تزويد الطفل بالمعلومات والحقائق ، وتقديم للطفل التعزيزات أو المكافآت على سلوكه الطيب . وتوفر له المثل الأعلى أو النموذج المثالى الذى يقتدى به ، كما تقدم له معايير المقارنة الإجتماعية ، كما توفر فرصاً جيدة للتقليد .

وإذا كان لجماعة الأنداد هذه الأهمية ، فإننا نتساءل مع القارىء الكريم ، وما الذى يؤدي إلى تمتع الطفل بالشعبية في وسط أنداده ، أو غير يصبح المراهق أو الطفل محبوباً بين أقرانه ؟

لا توجد صفة واحدة أو إجابة بسيطة على مثل هذا التساؤل ، ذلك لأن أطفال كل طبقة إجتماعية يقدرّون نوعاً خاصاً من السمات في رفقاء العمر . فالسلوك العدواني ، مثلاً ، قد يقود إلى الشعبية والمساكنة بين أبناء الطبقات الإجتماعية الدنيا ، بينما نفس هذا السلوك يقود إلى النبذ والطرْد بين أبناء الطبقة الوسطى . ولقد وجد أن أسماء الاطفال ، وسماتهم الفيزيائية وجاذبيتهم ترتبط بقبول الرفقاء . فالذكور أصحاب الاجسام ذات العضلات يتمتعون بشعبية أكثر من الاطفال النحاف . بينما لم تكن معدلات النضج عند الشباب لا ترتبط بالشعبية والتمتع بالمساكنة الإجتماعية . ولقد وجد أن الاطفال الجسديين فيزيقياً

مقبولون أكثر من جانب الأطفال الآخرين ومن جانب الكبار أيضا . ويقدرين أكثر بطريقة إيجابية ، أى ينظرون إليهم نظرة أكثر إيجابية ولقد بدا على هؤلاء الأطفال أنهم يسلكون بصورة أكثر كفاءة من الناحية الاجتماعية .

ولقد تمت دراسة الظروف التي تؤدي إلى الإرتقاء بتكوين الجماعة ، من بين هذه الظروف التعاون من أجل تحقيق الأهداف المشتركة . ولقد وجد أن المنافسة داخل الجماعات تؤدي إلى تماسك الجماعة ، ولكنها تزيد من العداء والصراع بين الجماعات . ولكن عندما تعمل الجماعات المتنافسة لتحقيق أهداف مشتركة ، فإن معدلات العداء تنخفض . ولقد وجد أن التنظيم الهرمي يظهر مبكراً بين الجماعات ، كما تظهر الأدوار وتحدد لكل عضو ، فأما أن ينحو الطفل نحو القيادة أو نحو الإنصياع لغيره .

ومن الأهمية بمكان أن يتعرف القارئ الكريم على العوامل التي تساعد على إمتثال الطفل للجماعة التي ينتمى إليها .

من بين هذه العوامل سن الطفل، حيث لا يخضع جميع الأطفال لأرباب الاعمال المختلفة بنفس الدرجة للجماعة . فلقد وجد أنه في المواقف الغامضة ، يمثل الرفقاء أكثر كلما تقدموا في السن : ولكن تأثير الجماعة ينخفض كلما تقدم الطفل في السن وذلك في المواقف التي يعرف الطفل تماماً الاستجابة الصحيحة . ولجنس الطفل ومكانته دور في الإمتثال . فالاطفال يتأثرون أكثر بالافراد أصحاب المسكنة الاجتماعية المرموقة أو العالية .

## دور المدرسة

### في عملية التنشئة الاجتماعية

لا يوجد أى مدرسة اجتماعية تمتلك من النرص مثل ما تمتلك المدرسة في تشكيل نمو الطفل والمراهق . فبعد دخول الطفل المدرسة ، تصبح نسبة كبيرة من وقته بل من حياته تخضع للمدرسة . حتى والطفل بعيد عن المدرسة ، فإن المدرسة تؤثر فيه عن طريق ما تعطيه إياه من التعيينات أو الواجبات المدرسية التي يتعين عليه إنجازها في المنزل home assignments والواجبات الاجتماعية والروابط التي تربط الطفل بنادى المدرسة وغير ذلك من الأنشطة .

وفي دراسة التأثير التربوى للمدرسة ، ندرس حجم المدرسة ، وحجم الفصل المدرسى وطريقة جلوس الطلاب ، وكذلك نظام الدراسة كالنظام المفتوح أو الفصول التقليدية ، ودور المعلمين باعتبارهم العمود الفقري للمدرسة وطرائق التدريس المتبعة في المدرسة ، وكذلك الكتاب المدرسى ، والفصول الخاصة بضعاف العقول وتلك الخاصة بالمتفوقين .

والواقع أن جميع مظاهر الحياة داخل المدرسة يمكن دراستها عند تأثير المدرسة في التنشئة الاجتماعية كالإدارة المدرسية وأوجه النشاط الحر والمنظم وإمكانات المدرسة من الألفية والحدائق والمسابع والملاعب والمسارح والمكتبات وأثر الجمعيات المدرسية وغير ذلك من مظاهر الحياة داخل المجتمع المدرسى .

وتتضح أهمية المدرسة من زيادة عدد الساعات التي يقضيها الطالب فيها عن ذى قبل ، كذلك فإن هناك زيادة في عدد أيام الدراسة ، حيث يبلغ متوسطات عدد الساعات اليومية خمس ساعات ، لمدة ١٨٠ يوما سنويا . بينما كان عدد هذه

منذ نحو مائة عام (١٨٨٠ م) ٨٠ يوما . كذلك فإن نسبة أكبر من مجموع السكان يذهبون إلى المدرسة كما أنهم يكتثون في المدرسة لاعمصار أطول ، ويبدؤون الذهاب إليها في سن أكثر تبكيرا . بل إننا نلاحظ هذه الزيادة في السنوات ، لاخيرة ، ففي عام ١٩٦٥ كان هناك ٢٧ ٪ من مجموع الاطفال الذين تتراوح أعمارهم ٣ - ٥ سنوات كانوا مقيدين بالمدارس، وارتفعت هذه النسبة إلى ٤١ ٪ في عام ١٩٧٣ (١) .

ولقد ظهرت أهمية المدرسة كقوة مؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية، من خلال العديد من الدراسات من بينها دراسة استهدفت قيم الاطفال وطموحاتهم والمعروف أن دراسة كيرت ليفين Kurt Lewin ١٩٣٩ - حول تأثير الانماط المختلفة من القيادة على جو الفصل المدرسي ذات أهمية كبيرة في مجال التنشئة الاجتماعية . في هذه المدرسة تم تقسيم عدد من الاطفال الذكور، من تتراوح أعمارهم حول سن السنوات العشر إلى مجموعات كل مجموعة مكونة من خمسة اطفال وذلك في أنشطة النشاط الترويحي recreational ووزعوا على عدد من القواد ، كلف كل قائد بأن يتبع في تعامله مع هؤلاء الصبية أحد الانماط القيادية الآتية : —

١ — النمط الدكتاتوري التساطي الفردى Authoritarian .

٢ — النمط الديمقراطي democratic .

٣ — نمط الحرية المطلقة Laissez-faire أو التسامح المتعاقب .

ولقد أسفرت هذه التجربة على أن النمط الديمقراطي أفضل من النمطين الآخرين . حيث كان الصبيان أكثر إنتاجا حتى في غيبة القائد، وكانوا أكثر مساعدة مع بعضهم البعض ومع قائدهم ، وأقل عدوانا نحو بعضهم البعض . وأدى

نمط التحرر المطاق إلى حالة من الفوضى وعدم النظام disorganization ، وأكثر هلا ، وأقل كفاءة inefficiency وأكثر ميلا للشجار ، أما أطفال القيادات الاستبدادية فكانوا أكثر سلبية أو أكثر تمرداً وعصياناً rebellious وكانوا أكثر عدواناً في تفاعلهم الجماعي ، وأقل إنتاجاً في غيبة القائد (١) ولقد تأيدت هذه النتائج من خلال دراسات حديثة أجريت في بريطانيا على الفصول المفتوحة. وجدير بالملاحظة أن التربية الإسلامية عرفت ما يطلق عليه الآن مصطلح التربية المفتوحة أو الفصول المفتوحة ، حيث يدرس كل طالب على مستواه وحسب رغباته وليس من الضروري أن يعمل جميع طلاب الفصل في وقت واحد وفي عمل واحد .

ولقد أسفرت الدراسات الميدانية أن حجم المدرسة يؤثر في إمكاناتها القيام بالأنشطة الخارجية عن المنهج المدرسي الرسمي extracurricular activities ولقد وجد أن أطفال المدارس الصغيرة يشتركون أكثر من غيرهم ويحتلون مكانة مرموقة وهامة وسط المجموعة . كما أن ظاهرة تسرب التلاميذ من المدرسة قليلة في المدارس الصغيرة . كما يزداد إسهام الطفل في نشاط الفصل في الفصول الصغيرة. وكذلك الجلسة في مقعدة الفصل أو في الوسط . ولقد وجد أن التلاميذ يفضلون الجلسة في الوسط أو في الفصول المفتوحة حيث يتمكنوا من الإسهام في اتخاذ القرارات . وتؤدي هذه الاوضاع إلى زيادة اللعب الخيالي وإجابات التلميذ الجديدة وإن كان التحصيل التقليدي لا يتأثر . ولكن هذه الآثار ليست مطلقة ، ولكنها تتوقف على نوع شخصية التلميذ نفسه .

ويلعب المعلمون الأدوار الآتية في داخل المجتمع المدرسي :

- ١ — التقويم أى تقويم أعمال التلميذ ونشاطه وشخصيته وسلوكه .
- ٢ — التأديب وفرص النظام والطاعة ومنح الثواب والعقاب .
- ٣ — أن التماذج أو القدوة الحسنة أو المثال الطيب الذى يقتدى به .

إن توقع المعلم وإنطباعاته حول احتمال نجاح الطالب تؤثر فى تقدم الطالب التلاميذ ينجحون عندما يتوقع لهم معلمهم أنهم سوف يحسنون أعمالهم وعندما يتوقع المعلمون أن تلاميذهم سوف يرسبون فإن أداء التلاميذ يأتى ضعيفا .

ولا شك أن الإمتحانات وما يحيط بها من ظروف إجتماعية وإدارية وتربوية تؤثر على أداء الطالب (١) .

والواقع أن هناك حاجة لوضع برامج لتعديل سلوك الاطفال داخل قاعات الدرس، وتعتمد هذه البرامج على تعزيز السلوك الإيجابى المرغوب ومنع الطالب مكافأة كلما مارس النشاط المرغوب .

ويلعب المعلم دور النموذج الاجتماعى ، ولقد أسفرت الدراسات فى هذا الصدد ، أن التلاميذ يميلون إلى تقليد المعلم أكثر إذا كان يعطى التعزيزات أو المكافآت أكثر من المعلم السلبى . ويقلد التلاميذ معلمهم فى أسلوبه فى التفكير فى حل المشكلات .

وتذهب الدراسات الحديثة إلى القول بأن هناك نظاما يبشر بالخير مؤداه تعيين أحد التلاميذ ليقوم بدور المعلم Peer - teacher وفى الغالب ما يكون أكبر التلاميذ سنا ، ويقوم على مساعدة المعلم ويكلم بتعليم صغار التلاميذ

---

(١) مشكلة الإمتحانات والتقويم فى التعليم الجامعى ، دراسة حقيلية ، مجلة الاتحاد العام للجامعات العربية ١٩٧٧ م ،

ويستفيد من هذا النظام كل من الطفل الكبير ، المعلم ، والصغير ، التلميذ ، ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام عرفته التربية الإسلامية ويعرف باسم « العريف » وهو أكبر التلاميذ سنا وأكثرهم قدرة على ضبط سلوك التلاميذ في غيبة المعلم .

ولقد تبين أن الكتاب المدرسي له أهمية كبيرة في عملية التعليم وفي تدعيم الاتجاهات attitudes والقيم الاجتماعية وكشفت دراسات كثيرة أن الكتاب المدرسي الأمريكي غير ملائم وغير قادر على تقديم صورة صادقة عن الثقافة الأمريكية . وليس هذا مجرد رأى الكبار ، بل إن إختيارات الاطفال في الكتب التي يرغبون في قراءتها تكشف عن هذه الحقيقة .

ولا شك أن الاطفال أصحاب الصعوبات الخاصة يحتاجون إلى معاملة خاصة ..

أيضا ، وبالمثل الاطفال الموهوبين gifted children .

## نمو الشعور الخلقى وضبط الذات

كيف تنمو القيم الخلقية والسلوك الخلقى لدى الأطفال ، وكيف يصبح الطفل قادراً على الضبط الذاتى وعلى مقاومة الإغراء temptation ، وكيف يصبح قادراً على ممارسة التضحية Sacrifice من أجل رفاهة الآخرين ؟ إهتم العلماء بدراسة الإيثار ، والحكم الخلقى والعلاقة بينه وبين السلوك الخلقى ثم الشعور بالذنب . وتساءل العلماء متى يبدأ الإيثار فى الظهور عند الطفل .

من أهم وظائف التنشئة الإجتماعية نقل المعايير الاخلاقية للطفل وتدعيمها وتعزيز السلوك الحميد . على الرغم من اختلاف القيم الاخلاقية من مجتمع إلى آخر إلا أن جميع المجتمعات لديها معايير للصواب والخطأ rightness and wrongness . وعمل الطفل أن يتعلم هذه القواعد أو تلك المعايير ويتوقع منه أن يشعر بالذنب إذا انتهك هذه القواعد ، وكيف يشعر بالرضا عندما ينجح فى الإمتثال لها .

فى بداية حياة الطفل ياتزم الطفل بالقواعد الاخلاقية خوفاً من العقاب الخارجى أو لإعتبارات إجتماعية خارجية أو لمجرد وجود أى من أرباب السلطة . ولكن بالتقدم فى العمر يتم ضبط سلوك الطفل بتأثير ضوابط داخلية أو معايير داخلية internalized standards حتى فى غيبة السلطة الخارجية . وتعرف هذه العملية باسم عملية الإمتصاص internalization وفى دراسة النمو الخلقى أستطاع العلماء تمييز العناصر الثلاثة الآتية :

### عناصر الاخلاق





يتضمن العنصر المعرفى cognitive معرفة القواعد الأخلاقية والحكم على الخير والشر في الأطفال . ويتضمن العنصر السلوكى ، السلوك الفعلى في المواقف ذات الطابع الأخلاقى ، ولقد إهتمت معظم الدراسات ببحث أنماط من السلوك لا يرضى عنها المجتمع مثل : -

|               |                        |
|---------------|------------------------|
| cheating      | الغش                   |
| lying         | الكذب                  |
| gratification | العجز عن إرجاء الإشباع |
| temptation    | مقاومة الإغراء         |
|               | ضبط العدوان .          |

و لقد تضمنت الدراسات الحديثة بعضا من مظاهر السلوك الإيجابى منها : -

- ١ - المشاركة
- ٢ - التعاون
- ٣ - الإيثار
- ٤ - مساعدة الغير

ويتضمن العنصر الانفعالى دراسة أمور مثل الشعور بالذنب والى تقاسم الجلاإعتراف confession ، وكذلك الشعور بالقلق .

ويعتقد أصحاب مدرسة التحليل النفسى أن السلوك الخلقى وكذلك الشعور بالذنب المصاحب لإتهاك القواعد الأخلاقية يرجع إلى الذات العليا Superego التى تتكون من خلال عملية لا شعورية هى عملية التقمص identification . أما نظرية التعلم الإجتماعى فتفترض أن الاخلاق يتم تعلمها وفقا لنفس الأسس التى يتم بها التعلم الشرطى ، الذى يعتمد على تقديم المكافآت والتعزيزات لتشجيع السلوك الحميد ، ومن خلال فرض العقاب على السلوك المطلوب لإزالته .

ولقد إهتم العلماء بدراسه العلاقة بين الحكم الخلقى وبين السلوك الخلقى ؛

بمعنى هل يلتزم الطفل بالسلوك الخلقى الحيد عندما يحكم نظرياً بأن هذا السلوك سلوك حميد ؟

وفي تفسير نمو الحكم الخلقى يقلل جان بياجيه Piaget من دور الآباء ولكن معظم الدراسات تؤكد التأديب اثبات والمستمر والذي يتضمن العقل أو الاستدلال والشرح وتوجيه الإهتمام لمشاعر الآخرين يؤدي إلى مزيد من الأحكام الخلقية الناضجة وإلى مزيد من الضبط الذاتي .

ولقد تبين أن النش يربط بعوامل دافعة مثل الحاجة إلى التحصيل الدراسي وأمكانية الحصول على المكاسب ويرتبط كذلك بالخوف من إنكشاف أمر الطفل وهو يغش . وتتأثر الامانة بما يبر الجماعة التي ينتمى إليها الطفل وسلوك الآخرين المحيطين بالطفل . ويذهب البعض إلى القول بأنه من الخطأ الحكم على الناس بأنهم أخلاقيون أو غير أخلاقيين ، ذلك لأنه - كما دلت التجربة - كل من الحكم الخلقى والسلوك الخلقى والشعور بالذنب واللوم وكلها جوانب من النمو الخلقى ، تتأثر بالمواقف أو بالعوامل الموقفية . فالإنسان قد يكون أميناً في بعض المواقف وغير أمين في غيرها . وكلما زاد الموقف تشابهاً كلما مال السلوك الخلقى إلى الثبات . ولقد وجد أن الثبات يزداد بين عناصر السلوك الخلقى كلما تقدم الفرد في العمر .

وخلافاً لما كان يشاع قديماً ، فقد تبين أن السلوك الإشاري يظهر منذ من مبكرة جداً في الطفل ، حيث يبدأ رغبته في مشاركة غيره وهو في عامه الثاني وفي مساعدتهم وتظهر على الطفل علامات الإهتمام عندما يرى غيره في حالة غير مريحة أو في حالة ألم . ويؤثر الآباء في السلوك الإشاري عن طريق تدريسهم

الكبار وبأقوالهم بصفة عامة د وكلما توفرت للطفل فرص تحمّل المسؤولية كلما  
نما عنده الشعور بالايثار. ويتأثر الايثار بالعوامل الثقافية، كلما زادت المنافسة  
كلما قل الايثار في المجتمع .

وفيما يتعلق بنمو النزعات العدوانية ، فإن تغيراً كبيراً يطرأ عليها حيث ينتقل  
العدوان من الاتجاه نحو الاشياء في الاطفال الصغار ، إلى العدوان تجاه الاشخاص  
وذلك تبعاً لتقدم الطفل في العمر . أما عن الاسباب التي تؤدي إلى ميل الطفل  
للعدوان ، فقد يؤدي اتباع الآباء منهج العقاب الفيزيقي أي البدني إلى العدوان  
في الطفل . كذلك في عروض العنف في وسائل التثقيف الجماهيرية كالتلفزيون  
والاذاعة والصحافة ترتبط بزيادة السلوك والاتجاه العدواني : إن كثرة مشاهدة  
العدوان على الشاشة تجعل الاطفال أكثر تسامحاً في قبول العدوان في الحياة الواقعية .

ولعل هذه النتيجة تجعلنا نهم في مجتمعنا العربي بفحص ما يعرضه التلفزيون  
للتأكد من خلوه من الشوائب ومن معه من مظاهر العنف والعدوان. لا بد أن تكون  
البرامج هادفة ، ولا بد أن تخضع لتقويم الخبراء في علم النفس وآراء رجال الدين  
والقربية والاجتماع والاعوان .

وهناك بعض الدراسات الحديثة التي ترى أن منهج تصريف العدوان أو تفريغ  
الشحنات العدوانية في الفرد عن طريق إسقاطها على موضوعات آمنة هذا المنهج  
غير مجد ( catharsis ) وهناك أساليب أفضل من ذلك :

- ١ — تشجيع السلوك المزيّد للمجتمع أو السلوك الذي يرضى للمجتمع (prosocial)
- ٢ — عرض مواد فكاهية بدلا من عروض العنف والعدوان .
- ٣ — تنمية وعي الطفل وإدراكه بالآثار الضارة للعدوان (١) .

(1) Hetherington E.M., Child psychology, Mc. Graw - Hill  
Book Co. 1979.



## الفصل الخامس عشر

### الأنماط السلبية والإيجابية

في تربية الطفل والسائدة في المجتمع العربي



## الفصل الخامس عشر

### الانماط السلبية والإيجابية

في تربية الطفل والاساندة في المجتمع العربي

د دور الأسرة في عملية النمو وتكوين الشخصية

تتبع الأسرة عدة أنماط في تربية الطفل والتي تؤثر على نموه وهي : —

أولا — الانماط السلبية :

النمط الأول :

من الانماط السيئة الإسراف في تدليل الطفل ، والإذعان لمطالبه ، مها كانت شاذة أو غريبة ، وإصراره على تلبية مطالبة أينما وكيفها ومتى يشاء دون مراعاة للظروف الواقعية أو عدم توفر الامكانيات .

— أضرار هذا النمط :

- ١ — عدم تحمل الطفل المسئولية .
- ٢ — الإعتداد على الغير .
- ٣ — عدم تحمل الطفل مواقف الفشل والإحباط في الحياة الخارجية حيث تعود أن تلبى كافة مطالبه .
- ٤ — توقع هذا الإشباع المطلق من المجتمع فيما بعد .
- ٥ — نمو نزعات الانانية وحب التملك للطفل .

## النمط الثاني :

الإسراف في القسوة والصرامة والشدة مع الطفل ، وإنزال العقاب فيه بصورة مستمرة ، وصده وزجره ، كل أراد أن يعبر عن نفسه .

### — أضرار هذا النمط :

١ — قد يؤدي بالطفل إلى الإنطواء أو الإنزواء أو الإنسحاب من معترك الحياة الاجتماعية .

٢ — يؤدي لشعور الطفل بالنقص وعدم الثقة في نفسه .

٣ — صعوبة تكوين شخصية مستقلة نتيجة منعه من التعبير عن نفسه .

٤ — شعوره الخاد بالذنب .

٥ — كره السلطة الوالدية ، وقد يمتد هذا الشعور إلى معارضة السلطة الخارجية في المجتمع باعتبارها البديل عن السلطة الوالدية .

٦ — قد ينتهج هو نفسه منهج الصرامة والشدة في حياته المستقلة عن طريق عمليتي التقليد أو التقمص لشخصية أحد الوالدين أو كلاهما .

### النمط الثالث :

هذا النمط المتذبذب بين الشدة واللين ، حيث يعاقب الطفل مرة في موقف . ويثاب مرة أخرى في نفس الموقف مثلاً .

### — أضرار هذا النمط :

١ — يجد صعوبة في معرفة الصواب من الخطأ .

٢ — ينشأ على التردد وعدم الحسم في الأمور .



٣ — يمكن أن يكف عن التعبير الصريح عن آرائه ومشاعره .

#### — النمط الرابع :

الإعجاب الزائد بالطفل ، حيث يعبر الآباء والامهات بصورة ، مبالغ فيها  
عن إعجابهم بالطفل وحبّة ومدحه والمباهاة به .

#### — أضرار هذا النمط :

١ — شعور الطفل بالغرور الزائد والثقة الزائدة بالنفس .

٢ — كثرة مطالب الطفل .

٣ — تضخيم في صورة الفرد عن ذاته ، ويؤدي هذا إلى إصابته بعد ذلك  
بالإحباط والفشل عندما يصطدم مع غيره من الناس الذين لا يمنحونه نفس القدر  
من الإعجاب .

#### — النمط الخامس :

فرض الحماية الزائدة على الطفل ، وإخضاعه لكثير من القيود ومن أساليب  
الرعاية الزائدة ، والخوف الزائد على الطفل ، وتوقع تعرضه للاخطار من أى  
نشاط ، ولذا قد تمنعه الأسرة من الذهاب في الرحلات .

#### — أضرار هذا النمط :

١ — يخلق مثل هذا النمط من التربية شخصاً هيباً يخشى إقتحام المواقف  
الجديدة .

٢ — عدم الإعتماد على الذات .

### — النمط السادس :

لإختلاف وجهات النظر في تربية الطفل بين الأم والاب كأن يؤمن الاب بالصرامة والشدّة ، بينما تؤمن الأم باللين وتدليل الطفل أن يؤمن أحدهما بالطريقة الحديثة والآخر بالطريقة التقليدية .

### أضرار هذا النمط :

- ١ — قد يكره الطفل والده ويميل إلى الأم وقد يحدث العكس بأن يتقمص صفات الخشونة من والده .
- ٢ — ويجد مثل هذا الطفل صعوبة في التمييز بين الصبح والخطأ أو الحلال والحرام كما يعاني من ضعف الولاء لأحد الوالدين أو كلاهما .
- ٣ — وقد يؤدي ميله وارتباطه بأمه إلى تقمص صفاتها الانثوية فتبدو عليه علامات التخنث .

### النمط السابع :

يتمثل في استخدام أحد الطرفين أى الأم أو الاب إستخدامه للأطفال سلاحاً يشهره في وجه الطرف الآخر فيسمى إلى ضم الأطفال في « معسكرة » لكي يقفوا في « حربة » ضد الطرف الآخر ، وهو في سبيل تحقيق هذا التكتل ، يمدق العطاء والتدليل على الأطفال ويتهاون معهم ويتساهل حتى يكسب رضاهم .

### أضرار هذا النمط :

- ١ — قد يتكون لدى الطفل فكرة سيئة عن الحياة الأسرية ، ويعتقد أنها مجرد ميدان أو ساحة للقتال .
- ٢ — قد يكون الطفل إيجاباً معادياً نحو أحد الوالدين أو كلاهما .

— ٢٢٣ —

٣ — يضعف مثل هذا الجو من شعور الطفل بالولاء .

٤ — يشوه مثل هذا المنهج صورة الأب أو الأم في ذهن الطفل .

٥ — يتعلم أسلوب المعاملة، والتبعية وكيف يبيع تأييده للغير نظير الحصول على النفع ، ويعد هذا النمط من أسوأ أنماط التربية الاسرية على وجه الإطلاق وله آثاره مدمرة على شخصية الطفل ، وعلى الحياة الاسرية برمتها .

#### النمط الثامن :

عدم توخي المساواة والعدل في معاملة الأطفال ، فلقد تميزت الاسرة بين الولد والبنت ، أو الاول والاخير أو أبناء الرجل من زوجات مختلفة . وتبدو عدم المساواة هذه في منح العطف والحب والحنان والعطاء المادى والإهتمام وفرض القيود والتسامح .. الخ .

#### النمط التاسع :

وفيه يترن الطفل على الاعتماد على غيره في قضاء حاجاته وإشباعها .

#### أضرار هذا النمط :

١ — عدم الإعتداع على النفس .

٢ — العجز عن مواجهة مواقف الحياة فيما بعد .

هذه بعض الأنماط السيئة ، ولكن هناك أنماط أخرى جيدة .

## الاسلوب المثالى فى التربية الاسلامية للطفل

يتمثل هذا الاسلوب فى التوسط والاعتدال فى معاملة الطفل وتحاشى القسوة .  
الوائدة والتدليل الزائد ، وكذلك تحاشى التذبذب بين الشدة واللين والتوسط  
فى إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والمعنوية . بحيث لا يعانى من الحرمان  
ولا يتعود على الإفراط فى الإشباع وبحيث يتعود على قدر من الفشل والاحباط  
وذلك لأن الحياة لا تعطيه بعد ذلك كل ما يريد .

كما يمتاز النمط المثالى بوجود تفاهم بين الأب والام على أسلوب تربية الطفل  
وعدم المشاجرة أمامه .

ويقتضى النمط المثالى كذلك معرفة قدرات الطفل الطبيعية وعدم تكليفه بما  
لا طاقة له به وفى نفس الوقت عدم إهمال مطالب النمو حتى لا تفوت فرصة  
التعليم على الطفل . ومؤدى ذلك أننا لا نتعجل النمو بمعنى أن نرغب الأم مثلاً  
أن يمشى أبناً قبل نضوج عضلات وعظام الساقين كذلك لا نهمل رغبة الطفل فى  
الامساك بالقلم وتعلم الكتابة ، ومن سمات التربية المثالية كذلك الايمان بما يوجد  
لدى الاطفال من فروق فردية ، والتي توجد فى جميع السمات الجسمية كالطول  
والوزن والعرض وفى القدرات العقلية مثل الذكاء وكذلك السمات الانفعالية فكل  
طفل له سرعته الخاصة فى النمو ومعدلاته الخاصة فى الطعام وما إلى ذلك .

ومن شأن مراعاة مبدأ الفروق الفردية أننا لا نتوقع أن يكون جميع الاطفال  
نسخة واحدة ، وإنما يعتبر كل طفل عالماً قائماً بذاته ويؤدى الايمان بهذا المبدأ  
إلى أن يكلف كل طفل حسب قدراته ، ولا نكافئه بما لا طاقة به حتى لا يشتر  
بالحرمان والفشل والاحباط وحتى لا يفقد الشعور بالثقة فى النفس أو يكره

المدرسة والمواد الدراسية من سمات التربية الحديثة أنها تربية متكاملة بمعنى أنها لا تعنى بعقل الطفل وحده ، كما كان يحدث فى الماضى وإنما تهتم بجميع جوانبه . شخصية الطفل الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية بحيث يشب شخصية متكاملة . ولقد كان فى الماضى يقتصر الاهتمام على عقل الطفل ، ولذلك كانت تستهدف التربية حشد الكثير من المعلومات فى ذهنه وإعطائه كثير من المسائل والتمرينات الرياضية بقصد تدريب ذهنه على التفكير وإعطائه حشد كبير من المعلومات ليحفظها بقصد تدريب ملكة الذاكرة عنده .

أما الآن فلقد أصبحت التربية تنظر للطفل نظرة تكاملية وبدلاً من تسكين المعلومات فى ذهنه أصبحت تهتم بشكوين الاتجاهات وتنمية القدرات والاستعداداته لدى الطالب .



## قائمة عامة بالمراجع العربية

- الدكتور أحمد الخشاب، علم الاجتماع الدينى مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العلمية ١٩٧٠ مكتبة القاهرة الحديثة .
- الدكتور أحمد زكى صالح ، علم النفس التربوى ، مكتبة النهضة المصرية .
- الدكتور أحمد زكى صالح ، التعلم أسسه ونظرياته ، ١٩٥٩ مكتبة النهضة المصرية .
- أحمد زكى محمد وعثمان لبيب فراج ، علم النفس التعليمى ١٩٦٧ مكتبة النهضة المصرية .
- الدكتور أحمد عبادة سرحان والدكتور صلاح الدين طلحة : مقدمة الإحصاء ١٩٦٦ دار المعارف .
- الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة والدكتور عبد السلام عبد الغفار ، علم النفس الاجتماعى ، دار النهضة العربية .
- الدكتور أحمد عزت راجح ، علم النفس الصناعى ١٩٦٥ ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- الدكتور أحمد عزت راجح ، علم النفس الصناعى ١٨٦١ مؤسسة المطبوعات الحديثة .
- الدكتور أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ١٩٥٥ دار الطالب النشر ثقافة الجامعات الاسكندرية .

— الدكتور أسحق رمزي ، مشكلات الأطفال اليومية ١٩٤٤ م ، دار المعارف بمصر .

— الدكتور السيد محمد خيرى ، علم النفس الصناعى وتطبيقاته المحلية ، دار النهضة العربية .

— الدكتور السيد محمد خيرى ، الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية - ١٩٥٧ - دار الفكر العربى .

— براون ، ترجمة الدكتور السيد محمد خيرى وآخرين ، علم النفس الاجتماعى فى الصناعة - دار المعارف بمصر .

— تاج أندروز أشرف على الترجمة الدكتور يوسف مراد ، مناهج البحث فى علم النفس - ١٩٥٩ - دار المعارف بمصر .

— الدكتور جابر عبد الحميد والدكتور يوسف محمود الشيخ ، علم النفس الصناعى - ١٩٦٨ - دار النهضة العربية .

— جان مايرز بلير ، مستيورات جوتر ، سيكولوجية المراهقة للربين - دار النهضة العربية .

— جوردون أولبورت وليو بوستان ، ترجمة د. صلاح نخيمر وعبد ميهائيل دزق ، سيكولوجية الاشاعة - ١٩٦٤ - دار المعارف بمصر .

— جى مينيوار ، ترجمة محمد مصطفى زيدان وحلى عزيز قلادة ، التوجيه المهنى - ١٩٦٦ - مكتبة الانجلو المصرية .

— الدكتور حلى المليجى ، سيكولوجية الابتكار - ١٩٦٩ - دار المعارف بمصر .



- الدكتور حلمى المليجى ، القياس السيكولوجى فى الصناعة - ١٩٦٩ - دار المعارف بمصر .
- ركس نايت ومرجريت ، ترجمة د. عبد على الجسمانى والدكتور عبد العزيز البسام ، المدخل إلى علم النفس الحديث - ١٩٧٠ - دار النهضة بغداد ، دار القلم بيروت .
- الدكتور سعد جلال ، فى الصحة العقلية ، الأمراض النفسية والعقلية والإحراقات السلوكية ، ١٩٧٠ م ، دار المطبوعات الجديدة .
- الدكتور سعد جلال ، المرجع فى علم النفس ، ١٩٦٢ ، دار المعارف مصر .
- الدكتور صلاح بخيمر ، عبده ميخائيل رزق ، المدخل إلى علم النفس الاجتماعى ١٩٦٨ مكتبة الانجلو المصرية .
- الدكتور صموئيل مغاريوس ، مشكلات الصحة النفسية فى الدولة النامية ، مكتبة النهضة المصرية .
- دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، الايديولوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها ، الدار القومية ١٩٦٣ .
- دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى والاستاذ على عبد الحميد ، صحتك النفسية والجنس .
- دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى والدكتور جلال شرف ، سيكولوجية الحياة الروحية فى المسيحية والإسلام منشأة المعارف .
- دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، دراسات سيكولوجية ، منشأة المعارف الاسكندرية .

— ٢٤٠ —

- دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، علم النفس فى الحياة المعاصرة ، دار المعارف الاسكندرية .
- دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، اتجاهات جديدة فى علم النفس الحديث ، دار الكتب الجامعية الاسكندرية .
- الدكتور عبد العزيز القوصى ، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ١٩٦٤ م مكتبة النهضة المصرية .
- الدكتور عزيز حنا داود والدكتور زكريا زكى إثناسيوس ، دراسات فى علم النفس - ١٩٧٠ - مكتبة النهضة المصرية .
- الدكتور عزيز فريد ، الامراض النفسية العصابية - الشركة العربية للطباعة والنشر .
- الدكتور فؤاد البهى السيد ، علم النفس الاجتماعى - ١٩٥٥ - دار الفكر العربى .
- الدكتور فؤاد البهى السيد ، الذكاء ، ١٩٦٩ - دار الفكر العربى .
- الدكتور فؤاد البهى السيد ، الاسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة - ١٩٦٨ - دار الفكر العربى .
- الدكتور فؤاد البهى السيد ، علم النفس الاجتماعى وقياس العقل البشرى - ١٩٥٨ - دار الفكر العربى .
- الدكتور فؤاد أبو حطب والدكتور سيد أحمد عثمان ، مشكلات فى التقويم النفسى - ١٩٧٠ - مكتبة الانجلو المصرية .
- دكتور كمال إبراهيم مرسى ، التخلف العقلى وأثر الرعاية والتدريب فيه - ١٩٧٠ - دار النهضة العربية .

— ٢٤١ —

- الدكتور لويس كامل مليكة ، سيكولوجية الجماعات والقيادة ، ١٩٦٣ ، مكتبة النهضة المصرية .
- الدكتور محمد خليفه بركات ، تحليل الشخصية ، مكتبة مصر .
- الدكتور محمد عثمان نجاتي علم النفس الصناعي ، ١٩٦٤ ، دار النهضة المصرية .
- الدكتور محمد عثمان نجاتي علم النفس الصناعي ، ١٩٦٠ ، مكتبة النهضة المصرية .
- المستشار محمد فتحي ، علم النفس الجنائي ، ١٩٧٠ ، مكتبة النهضة المصرية .
- الدكتور محمد البـيـوني ، سيكولوجية رسوم الاطفال ، ١٩٥٨ ، دار المعارف .
- الدكتور مصطفى فهمي ، علم النفس الاكلينيكي ، ١٩٦٧ ، مكتبة مصر .
- الدكتور مصطفى فهمي ، سيكولوجية الطفولة والمرأة ، مكتبة مصر .
- منير وهيبه الخازن ، مصطلحات علم النفس دار النشر للجامعيين .
- ويلارد اولسون ترجمة للدكتور ابراهيم حافظ ، تطور نمو الاطفال ، ١٩٦٢ عالم الكتب .
- الدكتور يوسف محمد الشيخ ، والدكتور صابر عبد الحميد صابر ، سيكولوجية الفروق الفردية ، ١٩٦٤ دار النهضة العربية .
- يوجين ولف ، ترجمة الدكتور محمد عبد الفتاح هديره ، التشريح للقانونية . ١٩١٠ مكتبة النهضة المصرية .



## فهرست الكتاب

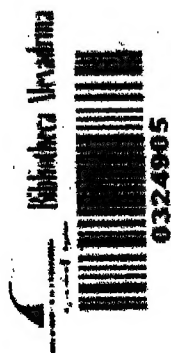
| الموضوع                                                              | الصفحة |
|----------------------------------------------------------------------|--------|
| إهداء                                                                | ٠      |
| مقدمة                                                                | ٠٠     |
| الفصل الأول : أيها أكثر تأثيراً في شخصية الفرد : البيئة أم الوراثة ؟ | ١١     |
| • الثاني : أهمية دراسة نمو السكان البشري                             | ٢١     |
| • الثالث : مراحل التميز                                              | ٣٧     |
| • الرابع : النمو في مرحلة الطفولة والمراهقة                          | ٥١     |
| • الخامس : نمو الانفعالات                                            | ٧١     |
| • السادس : نمو القدرة على الإبداع                                    | ٨٣     |
| • السابع : نوم الأطفال                                               | ٩٥     |
| • الثامن : المشي أثناء النوم                                         | ١٠٥    |
| • التاسع : الأمن النفسي في الطفولة                                   | ١١٣    |
| • العاشر : كيف تقاوم الإحباط في الطفولة                              | ١١٩    |
| • الحادي عشر : عملية التماهي أو الإعلاء                              | ١٣٧    |
| • الثاني عشر : ترشيد النمو الخلقى                                    | ١٤٥    |

| الموضوع                                                   | الصفحة |
|-----------------------------------------------------------|--------|
| الفصل الثالث عشر : تعريف عملية التطبيع الاجتماعي وأهميتها | ١٨٣    |
| الرابع عشر : دور الأسرة مرة في عملية التنشئة الاجتماعية   | ٢٠٧    |
| الخامس عشر : الأنماط السلبية والإيجابية في تربية الطفل في |        |
| المجتمع العربي . . . . .                                  | ٢٢٩    |
| قائمة بالمراجع . . . . .                                  | ٢٣٧    |
| فهرست الموضوعات . . . . .                                 | ٢٤٣    |

تم بحمد الله وتوفيقه

رقم الإيداع ٨٤/٢٥٨٠





منشور الطبع والنشر  
دار الفكر الجامع  
٣٠ من سبتمبر عام ١٤٢٥ هـ